

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السّانّيا - وهران -

قسم اللغة العربيّة وآدابها



كلية الآداب واللغات والفنون

أطروحة دكتوراه بعنوان:

جماليات الوقف والتّغيم في قراءات القرآن الكريم سورة الرّحمن أنموذجا

إشراف:

أ.د. عمّيش العربي

إعداد:

هارون مجيد

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ.د. اسطنبول ناصر (جامعة وهران).....رئيساً.
- أ.د. عمّيش العربي (جامعة الشلف)..... مشرفاً ومقرراً.
- أ.د. زراذي نورالدين (جامعة وهران)..... عضواً مناقشاً.
- أ.د. منصور ميلود (جامعة وهران)..... عضواً مناقشاً.
- أ.د. العسال لحضر (جامعة مستغانم)..... عضواً مناقشاً.
- أ.د. بورديم عبد الحفيظ (جامعة تلمسان)..... عضواً مناقشاً.

الموسم الجامعي: 2014/2013



إهداء

إلى

* اللّذين ربّيتني صغيراً ووفّرا لي كل سبل طلب العلم وسهرا
عليّ والديّ الغاليين. الأمر الحنون شفاها الله لنا جميعاً والاب العزيز
حفظهما الله ورضي عنهما ورضاهما عني.

* الزّوجة الكريمة و الإخوة والأخوات اللّذين عاشوا معي مرحلة

بحثي.

* كلّ ساع لخدمة اللّسان العربي والبحث العلمي.

لهؤلاء وأولئك أهدي ثمرة جهدي المتواضع

شكر وعرّفان

جزيّل الشكر والتّقدير لأستاذي المشرف الدكتور: العربي عميش
الذي شرفت به وسعدت بإشرافه في مرحلة الدكتوراه، إذ أراي رأي
العين أنّه لا بدّ من الإرادة والعزم والإيمان للوصول إلى المراد.

و نشكر كلّ الأساتذة الكرام الذين ساعدونا، ومهدّوا لنا
الطريق وعاشوا معنا مراحل هذا البحث بالنّصح والتوجيه والملاحظة
دون أن يخلوا علينا بأيّ مساعدة.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين، فتبدّت للسامع فوائده وتجلّت للمنتجع مقاصده. أحمده تعالى على نعمة الإيمان به وإسلام الوجه له، حمد من قام بواجب تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، والصلاة والسلام على إمام المقرئين وسيد المرتلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أمّا بعد:

فإنّ القراءات من العلوم الجليلة الشريفة الخادمة لكتاب الله عزّ وجلّ، وهي من الوجوه المبينة لإعجازه، ولما كان علما الوقف والتنغيم من أسمى علوم القرآن منزلةً، ومن أرفع علوم العربية قدرًا رأيت أن أستعمل فيه فكري وأنفق فيه وقتي؛ فهو أحقّ ما يُصرف فيه الجهد لتعلّقه بكتاب الله عزّ وجلّ. إذ تنافس العلماء في تلاوته، يرتلون الحروف ويتخيرون لمعاني آياته أحسن الوقوف؛ فارتبط الأمر به وحياً وتزيلاً، حفظاً وترتيلًا، تفسيرًا وتأويلًا. فباختيار النعمة والوقفة المناسبة يحصل فهم المراد، ويُمكن من استنباط الأحكام، وبهما يُعرف الفرق بين المعنيين المختلفين والقصتين المتنافيتين والآيتين المنفصلتين، والإعرابين المتباينين. فقد أمرنا الخالق عزّ وجلّ في كتابه الكريم بالتدبر وحثنا على التفكير، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بالعلم بمنازل الوقوف وفهم مدلول الأسماء والأفعال والحروف، ثمّ وجب علينا استنباط الأحكام وفق آليات تمكّنتنا من الفهم الصحيح والمراد أهمّها القراءات والوقف والتنغيم، إذ تعدّ معرفتهم جانبًا مهمًّا في أداء العبارة القرآنية؛ فهو يوضّح كيف وأين يجب أن ينتهي قارئ آي القرآن الكريم بما يتفق مع وجوه التفسير، واستقامة المعنى وصحة اللغة، وما تقتضيه علومها من نحو ولغة وصرف حتّى يحقق القارئ الغرض من قراءته؛ وهو الفهم والإدراك.

أجمع القراء وعلماء العربية والمفسرون على أنّهما ظاهرتان صوتيتان مرتبطتان بعلم القراءات والتجويد (كظاهرة الروم والإشمام والإمالة... إلخ)، ويعلم الصوت والصرف والنحو (تنظيم العلائق بين وحدات الجملة وما يترتب عنها)، ويعلم المعاني (تدبر القرآن وفهم مقاصده وإبعاد التوهّم المفسد لمعانيه).

مقدمة

وما قد ننوّه إليه ههنا العوامل الصوتية المؤثرة في جسد النصّ القرآني؛ فلا أحد يستطيع أن ينكر أن الدراسة الصوتية تنحو منحىً جديدًا من خلال التغيّرات التي طرأت عليها في كثير من المستويات والصّعد (تنظيرًا وتطبيقًا). دون إهمال ما هو تراثيّ يعدّ منبعًا نهل منه حديثًا، فإزاء هذه الوضعية لم يكن لدينا من سبيل سوى أن نطرق موضوعنا هذا محمّلين بإشكاليّات ساقت نفسها إلينا، وفرضت علينا تداعيّات الموضوع تناولها، وذلك لما في الدرس الصوتي القرآني من إثارة وحيوية وحلاوة؛ فمن هنا راودتنا فكرة هذا الموضوع كأطروحة معرفيّة نحاول من خلالها الكشف عن أهميّة ظاهرتي الوقف والتّنعيم في قراءات القرآن الكريم؛ إذ هو التّهر الذي تسبح فيه العديد من المؤثّرات الصوتية القائمة على علاقة مغناطيسية مُعتملة وقف قانون المجاذبة وصولاً إلى الدلالة المنشودة. من أجل نيل المرام لا يسلم الباحث من الوقوع في مطبّات، ولعلّ أهمّ ما يقودني من دوافع ذاتية لهذا الموضوع هو حبيّ وشغفي بالدراسات الصوتية القرآنية، الرّغبة في الكشف عن بعض الآليات البانيّة لفهم آي القرآن الكريم منها الوقف والتّنعيم وكذا الرّغبة في خدمة القرآن؛ ومنه الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز القرآنيّ له صلة بمجال التلاوة، قصد نيل الأجر الكثير والفائدة العظيمة. وكذلك رغبتني في الوصول إلى معرفة المبادئ التي يستقيم عندها المعنى القرآني والإعراب على وجه مطابق للسّلف الصّالح، وأهمّ أمر هو ما رأيته في تلاوة بعض القراء الجزائريين من غياب تامّ لقواعد الوقف والتّنعيم، خاصّة عند الذين ألفوا القراءة بالطريقة الجماعيّة- الحزب- وكذلك عند أئمّة بعض المساجد وقراء التراويح فمنه الإتيان بالسّكت في المدّ الفرعي، والوقف بحركة بدل السّكون وإجراء الوقف مجرى الوصل وإفراح ما هو آية حزنٍ والعكس كذلك، وتعلّقي الشّخصي بسورة الرّحمن قصد سير أغوارها أوليست عروس القرآن؟

أمّا عن الدوافع الموضوعيّة فهو وجود فراغ رهيب في الجامعات الجزائرية والعربيّة في هذا المجال خاصّة المزاوجة بين ظاهرتي الوقف والتّنعيم ضمن قراءات مختلفة الروايات، ومنه ضرورة الفصل بين الظّاهرتين وإزالة اللبس المفهوماتي، وكذا البحث عن أهمّ وظائف كلاّ منهما أثناء التلاوة صوتًا وصرّفًا ونحوًا ودلالة وبلاغة.

وكذلك البحث عن الرّوافد الصوتيّة المنعّمة والموقّعة للنصوص القرآنيّة وصولاً إلى المعنى المراد من سور القرآن الكريم خدمة لمناسبتها، ومنه كذلك محاولة الاستفادة من المناهج الحدائيّة

مقدّمة

كالإحصاء (تماشياً وعلمنة الأدب)، لكنّ التوجّه إلى سورة الرّحمن عائد لاستجابتها لمتطلّبات البحث الصّوتي الإيقاعي .

ويجدر بنا أن نشير إلى الدّراسات السّابقة الّتي جعلت البحث الصوتي القرائي من وقف وتنغيم موضوعاً لها في هذا المجال، وهي ما اعتمدت عليه مثل: (إيضاح الوقف والابتداء) للأنباري، (القطع والالتفاف) لإسماعيل النّحاس، (المكتفى في الوقف والابتداء) لأبي عمرو الداني، (منار الهدى في بيان الوقف والابتداء) لعبد الكريم الأشموني، (إملاء ما منّ به الرّحمن) لأبي البقاء العكبري، (علل الوقوف) لابن طيفور السّجاوندي، (الوقف في العربيّة) لخليل مراد الحربي، (ظاهرة الوقف القرآنيّ وأثرها في تغيّر المعاني التّحوية من خلال سورة النّساء) للمبروك زيد الخير، (شرح طيبة النّشر في القراءات العشر) لمحمّد ابن الجزري، (المختسب في تبين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها) لابن جنّي، (إيضاح الرّموز ومفتاح الكنوز) لابن عبد الله القبّاطي، (القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة) لأحمد البايبي، (فواصل الآيات القرآنيّة) لعبد الغني مرسي، وكذا (نظام الخطاب القرآني لسورة الرّحمن) لعبد الملك مرتاض، (نظرات في سورة الرّحمن) لعبد الكريم الخطيب، (التّنعيم في القرآن الكريم دراسة صوتية) لسناء حميد البيّاتي، (أنواع التّنعيم في سورة الزّمر) لامرأة الحسني، (التّنعيم عند ابن جنّي) لأحمد البايبي، وكذلك دكتوراه (الوقف والابتداء وأثرهما في توجيه النّص القرآني) لسعيد ربيع بجامعة الدار البيضاء (المغرب)، ودكتوراه (اختلاف القراءات وأثره على الوقف) للمصطفى سفياني بجامعة محمد الخامس الرّباط (المغرب)، ودكتوراه (في بنية الوقف وبنية اللّغة) لمبارك حنون من الجامعة السّابقة نفسها.

عموماً هذه الدّراسات تطرّقت إلى كلّ من الوقف والتّنعيم بمعزل عن بعضهما، إضافة إلى أنّها وظّفت هاتين الظّاهرتين على عموم القرآن دون الوقوف التّطبيقي على ما تحمله من مهام ووظائف حسّاسة وخطيرة من صوارة وصرف ونحو ودلالة وبلاغة للقرآن الكريم.

ففي ضوء هذا إنبنى بحثنا على تساؤلات افتراضيّة تقودنا إلى محاولة تحريرها، فما الوقف وما التّنعيم في قراءات القرآن؟ وما الاختلافات بين القراء لسورة الرّحمن في تحديد مواضع وطرائق الوقف والتّنعيم؟ وما أهمّيتهما ووظائفهما في تحديد الأغراض الصّوتية والصّرفية والتّحوية والدّلالية

مقدمة

والبلاغية لسورة الرحمن؟ وما روافدهما في عروس القرآن؟ وكيف العمل بهما وصولاً إلى المراد من السورة الكريمة؟

إشكالاتنا هذه جعلتنا نرصد الأرضية الصلبة؛ لإقامة دعائم بحثنا متبعين على إثرها المسار المنهجي الآتي:

إفتحنا بحثنا بمدخل لموضوعنا وسمناه بـ: العربية لغة القرآن المنعمة، وأعقبه بابين كل منهما يتضمن فصلين إندرجت تحتها مباحث تخدم سير الموضوع. حاولنا في الباب الأول (النظري)، في الفصل الأول عرض مفهوماتي لكل من الجمال والصوت وقوفاً على تاريخيهما قديماً وحديثاً ثم إسهام المفردة القرآنية في الجمال السمعي وصولاً إلى الجمال الإيقاعي والبلاغي للقرآن الكريم، وبعدها ولجنا الفصل الثاني بإيضاح القيمة التعبيرية السيميائية للصوت داخل اللفظ الذي يرد فيه، ومنه اشتغال الوقف والتنغيم بالقرآن وجوانبهما السحرية عن طريق تعريف الوقف عند مختلف العلماء وفق تخصصاتهم، ومن ذلك أنواع الوقف وأقسامه فأحكامه ووظائفه، ثم تعريف التنغيم وأنواعه ووظائفه فتباينهما في القراءات القرآنية عموماً، إلى أن فتحنا الباب الثاني (التطبيقي) بفصل ثالث وسمناه بالوقوف في سورة الرحمن، معرفين بالسورة الكريمة وسبب نزولها وفضلها ثم تحديد مواضع الوقوف في سورة الرحمن على اختلاف العلماء انطلاقاً من توضيح أثر الوقف من ناحية الإعراب والمعنى عن طريق وظائفه في توجيه المعاني من تكثير للمعنى، والفصل بين المتباين، وضبط للتوهّمات المفسدة للإعراب والمعنى وصولاً إلى دوره في تحديد العلامة الإعرابية والصيغة الصرفية البلاغية، أما في الفصل الرابع فقد حاولنا استجلاء ملامح الروافد المنعمة لعروس القرآن من جرس ألفاظ، وتكرار (تكرير)، ومقاطع وفواصل، وبُنى إيقاعية متنوّعة؛ ثم الوقوف على وظائف التنغيم من انفعالية تعبيرية، وتركيبية قصد إزالة اللبس الصرفي والتحوي إلى دلالية بلاغية وصولاً إلى تحديد أنواع النعمات من صاعدة وهابطة ومستوية ضمن مرثل الشيخ السديس، فتحديد أهم النتائج المتوصل إليها ختاماً للبحث.

مقدمة

ونظراً لصعوبة ضبط دراستنا بمنهج محدد عمدت إلى مناهج عديدة تراوحت بين التاريخي، والوصفي والموازن والإحصائي والتحليلي لعروس القرآن ضمن ترتيب الفصول الأربعة وفق طبيعة المادة المدروسة، أمّا عن الأهداف المرجوة والمبتغاة من البحث فنحصرها كالآتي:

- المساهمة في خدمة كتاب الله العزيز ولو بالنزر القليل ومنه خدمة قارئه.
- العمل على إيضاح مواطن وطرائق الوقف والتنغيم في سورة الرحمن.
- الوقوف على أهمية الوقف والتنغيم في المستويات اللغوية لسورة الرحمن صوتاً وصرفاً ونحوا ودلالة وبلاغة.

- محاولة حصر وظائف الوقف والتنغيم ضمن قراءات مختلفة لا تقدرح في النصّ القرآني بل تزيده ثراءً وغناءً؛ أمّا عن المشاكل التي اعتورت بحثنا فمنها: المشقة في جمع المادة، قلة الدراسات التطبيقية حول أثر الوقف والتنغيم على وجه الخصوص في جلّ مستويات اللغة من صوت وصرف ونحو ودلالة وبلاغة، رسم بعض المنحنيات تطّلب مجهوداً وتنسيقاً مع بعض مهندسي الدولة في الإعلام الآلي وفق نظام « Excel » إلى المبرمج « Speech analyser »، التنقل عبر جامعات كثيرة خاصة بالمغرب الشقيق لثراء البحث في القراءات القرآنية على مستواهم، وكذلك صعوبة الإطلاع على المخطوطات عدا ما هو مصوّر بالمكتبة الوطنية.

هذه خطوة على درب البحث في مجال صواتة القراءات القرآنية مزاجية بين ظاهري الوقف والتنغيم ضمن سورة الرحمن (عروس القرآن) تحتاج إلى من يكمل الطريق للتوسّع فيها، ويضيف إليها كونها مشروعاً يُغري بالبحث والتنقيب.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أسدي شكري الجزيل إلى كلّ من ساعدني على إتمام هذا البحث وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور العربي عمّيش، كما أتقدّم بالشكر الخالص لأعضاء اللجنة الموقرة قصد تجشّمهم المتاعب في قراءة هذا البحث وقبول مناقشته، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله سبباً للنفع وسلاماً للأجر إن شاء الله.

مدخل

في تلك البقعة الفسيحة المعروفة باسم (الجزيرة العربية)، وفي مكة المكرمة بالذات إقتضت حكمة الله تعالى أن تطلع شمس الهداية على البشرية و أن يصطفى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم؛ ليكون صاحب رسالة سموية خاتمة، وحامل كتاب إلهي خالد وهو القرآن الكريم، إذ لقي رعاية منقطعة النظير من قبل الموحى إليه ، فتضافرت الجهود لتأسيس جملة من المعارف والعلوم بين النحويين واللغويين والفقهاء والقراء على وجه الخصوص. إذ صرفوا جهودهم إلى ضبط ألفاظه، وعدّ آياته والكشف عن وجوه قراءاته وتمييز الحروف الأصلية من الفرعية، والمستحسنة من غيرها ، ويبنوا المخارج و الصفات لكنّ هذا لم يكن كافياً؛ فتطرّق أهل التّجويد إلى الكشف عن أهمّ المعطيات العلميّة الغنيّة، و من ذلك توظيفها لفهم النصّ القرآنيّ واستنباط أحكامه، والوقوف على مقاصده؛ فاللغة العربيّة (لغة القرآن) "لم تعد وسيلة نقل فحسب، بل غدت وسيلة إستبطان و إكتشاف تثير المتلقّي، وهزّه من الأعماق وتغمره بإيجائتها وإيقاعاتها وتأسره بأصواتها"¹. فجُلّ "ما نعمله من التّاريخ الموثوق به، أنّه يكتب للسان العربيّ أن يعمرّ سبعة عشر قرناً محتفظاً بمنظومته الصّوتية والصّرفية النّحوية؛ فيطوّعها جميعاً ليواكب التطوّر الحتمي"².

إذ نجدها عبارة عن متواليّة صوتيّة تتخلّلها أحيار تملأها قطع صوتيّة ، وأخبار تملأها وقوف و نغمات، فبتنغيم الألفاظ وتصويتها تبتّ فيها الرّوح بعد أن تخرج من صمتها إلى صوت فهو "ظاهرة مهمّة من ظواهر اللّغة وعنصر فعّال من عناصرها ، وهي بدونها جثّة هامدة، فاللّغة المكتوبة لا قيمة لها إذا لم تكن معروفة الأصوات"³. لكن هذا لن يتأتّى إلّا بالمسارعة الفوريّة إلى تحصين اللّغة بالقواعد الدّقيقة والأسس العلميّة المتينة قصد بلوغ الفهم والمقصد وإلّا ستؤول إلى الضّعف و التّلاشي التّدرجيّ الذي أصاب الكثير من اللّغات عبر العالم .

¹ أدونيس، مقدّمة الشعر العربي، ط3، دار العودة ، بيروت، لبنان، 1979م ، ص 79.

² سليمان إبراهيم العسكري، أزمة العربية أم أزمة التعريب ، مجلّة العربي، مطابع الشّروق ، القاهرة ، العدد: 545 ، 2004م ، ص 08.

³ عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ط3 ، مكتبة وهبية ، 1996م ، ص 07.

لقد شغلت العلوم القرآنية، والقراءات خاصة أذهان العديد فأسهموا فيها أيما إسهام؛ فكانت "غاية الدراسات اللغوية والنحوية والقرآنية تصبّ في مصبّ واحد مناط به إرساء مركب البحث اللغويّ على شاطئ العرفان المكين ... والمستوحات من القرآن الحقّ الذي بهر أرباب الفصاحة"¹.

أوليس القرآن العجيب الذي قال فيه **الباقلاني**: "إنه بديع النظم، عجيب التأليف، مُتناهٍ في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه"². فكلمًا كان الموقع الإعرابيّ للكلمة واضحًا في ذهن المستعمل للغة كان أكثر دقّة في نطق الجملة وتمثّل معناها، لأنّه يأتي لمعرفة الفروق بين المعاني من حيث أنّ التركيب موضوع لمعرفة أصل المعنى؛ فسياق القرآن الكريم متّسق متضامّ الأجزاء إذ اتّساقه وتناسب عناصره، حتى أنّ الصّورة الجميلة في الواقع نتيجة لتشابك أجزائها في علاقتها فيما بينها"³.

فالدّارس للقرآن الكريم يُدرك أهميّة تقسيم الآيات وفق ضوابط الرّسم المؤشّرة في كلّ مصحف؛ فالدّور المنوط بالآية مهمّ في إظهار المعنى وتحديد معالم الدّلالة في السّياق المتلاحق اعتمادًا على أنواع مختلفة من الوقوف وفق رموز مفردة ومركبة متعدّدة تعدّد الأغراض. ومن المظاهر الموسيقيّة ذات الأثر الحساس في سّياق القرآن الكريم **التنغيم**؛ فقوانين الموسيقى قد لحظت في القرآن تامّة كاملة، والدليل على ما في القرآن من تنغيم معجز، ذلك الأثر الذي أوقعه في نفوس القاسية قلوبهم من أهل الزّرع والإلحاد؛ فكان له دور كبير في تكييف عقل السّامع وتهيئته لتلقّي الدّعوة واستقبال ما جاء به من معان ساميّة؛ بل و"إنّ التنغيم في القرآن يقع في مقدّمة ما جذب العرب إلى القرآن"⁴.

¹ المبروك زيد الحير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيير المعاني النحويّة من خلال سورة النساء، ط1، دار الوعي للنشر والتّوزيع، الرويبة، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 21.

² الباقلاني، اعجاز القرآن، تحقيق: أحمد السيد صقر، دط، دار المعارف، مصر، 1963م، ص 35.

³ عز الدين اسماعيل، الاسس الجمالية في النّقد الأدبي، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984م، ص 125.

⁴ سناء حميد البيّاتي، التنغيم في القرآن الكريم، دراسة صوتيّة، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي للدراسات الإسلاميّة، 2007م، ص 07.

الباب الأول (النظري)

الفصل الأول

جماليات أصوات القرآن الكريم

المبحث الأول: عرض مفهوماتي لكل من الجمال والصوت

1- الجمال لغة واصطلاحاً..

2- الصوت لغة واصطلاحاً.

3- جمال الصوت وصوت الجمال

المبحث الثاني: إسهام المفردة القرآنية في الجمال السمعي

1_ جمال المفردة في الأدب.

2_ خصوصية المفردة القرآنية.

3_ جماليات الحركات والمدود في القرآن الكريم

المبحث الثالث: الصوت بين القديم والحديث:

1- لمحة موجزة عن دراسة الصوت لدى اللغويين والنقاد العرب القدامى...

أ_ مخارج الحروف

ب_ صفات أصوات الحروف.

2- لمحة موجزة عن دراسة الصوت لدى اللغويين والنقاد العرب المحدثين

أ_ مخارج الأصوات

ب_ صفات أصوات الحروف

3- جوهر الدراسة الصوتية ومزاياها.

المبحث الرابع: الجمال في القرآن الكريم.

1_ مدلول الجمال في القرآن عند سيد قطب

2_ جمال اللفظ والمعنى القرآني..

3- موسيقى اللفظ القرآني عند سيّد قطب.

4_ الوزن الإيقاعيّ في القرآن عند سيّد قطب

أ_ الإيقاع لغة

ب_ الإيقاع اصطلاحاً

ت_ الإيقاع الخارجي والداخلي

5_ التّناسب الصّوتي في القرآن

أ_ التّناسب اللفظي و المعنوي

ب_ تناسب الفواصل القرآنيّة.

6- جمال اللغة ولغة الجمال البلاغي الإيقاعي (التّساوق).

المبحث الأوّل: عرض مفهوماتي لكلّ من الجمال والصوت:

كلّما نظر الإنسان من حوله إنبهر بصور الجمال التي تسبّح بعظمة الخالق عزّ وجلّ، وهي تختلف وتتعدّد بتعدّد المواضع والأزمنة والأمكنة، فكلّ شيء في هذه الحياة له إيقاع جماليّ خاصّ يترتّب به، فالطبيعة تكتسي جمالها بمياهها وأشجارها وأصواتها ضمن نسق ربّاني، ولكنّ ما يأسر تفكيرنا في هذه الآونة هو الجمال اللّغوي بصورته وصوته ولفظه، وعليه نوجّه ونسلط عدسات هذا المبحث .

يصرّح علماء الجمال من عرب وغرب بصعوبة تعريفه، وذلك لأنّه "قد يكون من السّهّل أن نرى شيئاً فنصفه بالجمال أو نرى سلوكاً لإنسان في أمر ما؛ فنصف ذلك السلوك بالجمال، ولكن من العسر تعريف الجمال"¹.

وللجمالين العرب شهادات كلّها اعتراف بصعوبة حصر مفهوم الجمال. فصالح أحمد الشامي يرى أنّ "السبب الرّئيسي الذي ترجع إليه صعوبة التّعريف هو أنّ الجمال معنى من المعاني؛ فهو لا يقوم بنفسه وإنّما يقوم بغيره، حيث نستطيع رؤيته في الإنسان وفي الأشياء، وفي الأفعال والتصرّفات... وما دام الجمال معنى فليس بالإمكان ضبطه (بالوصف أو الكمّ أو الكيف) الأمر الذي يحول دون إنتاج تعريف له"².

ويرجع محمد علي أبو ريان صعوبة التّعريف إلى كوننا أمام "ظاهرة تدخل في مجال الوجدان والشّعور لا في مجال القضايا المنطقية"³؛ أمّا محمد زغلول سلام فيعترف بأنّ ماهية الجمال قد "حيرت كثيراً من الفلاسفة والمفكرين من مختلف العصور وما زالوا إلى الآن لم يجدوا لها الجواب الشافي"⁴.

أمّا جبّور عبد النور فيردّ صعوبة التّعريف إلى "كون الجمال في واقعه إحساساً داخلياً يتولّد فينا عند رؤية أثر تتلاقى فيه عناصر متعدّدة ومتنوّعة ومختلفة باختلاف الأذواق"⁵، ولعلّ ما يزيد في

¹ صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص23.

² نفسه، ص24.

³ محمد علي أبو ريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964م، ص75.

⁴ ينظر: إسماعيل علوي إسماعيل، مبحث الجمال في النقد الأدبي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، دكتوراه في كلية الآداب، الرباط، 1989م، 1990م، ص9.

⁵ جبّور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص85.

صعوبة ضبط هذا المفهوم هو اختلافه من علم إلى علم، ومن ميدان إلى ميدان، ومن الفن إلى الفلسفة إلى العلم إلى الدين إلى التصوّف، ومن الأخلاق إلى الحسّ ثم إلى العقل.

ومن الجمالين الغربيين الذين يصرّحون بهذه الصّعوبة نذكر على سبيل المثال لا الحصر الجماليّ الكبير **جان برتيليمي**، ففكرة الجمال حسب رأيه "حاضرة هاربة، والجمال شأنه شأن الحق والخير يعيش فوق العقل والمنطق والعلم، ولهذا فالجمال لا يقبل التعريف؛ بل يفهم من الأشياء الجميلة"¹.

ولكن إلحاح هؤلاء الكتاب والنقاد على صعوبة تعريف الجمال لن يثنيّا عن البحث عن تعريف له، لذا سنسعى إلى تتبّع تعاريفه لغة واصطلاحاً عند القدماء والمحدثين.

1- الجمال لغة:

يرى ابن منظور أنّ "الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمَلٌ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النحل الآية(04)، أيّ بهاء وحسن، ابن سيده الجمال: الحُسْنُ يكون في الفعل والخلق، وقد جَمَلَ الرجل بالضمّ فهو جميل، وجمال بالتخفيف.... وجمالٌ... والجمال بالضمّ والتشديد أجمل من الجميل، وجملة أيّ زينه.... قال ابن أثير: والجمال يقع على الصّور والمعاني"².

أمّا الجمال عند الزّمخشري فهو أنّه: "فلان يعامل النّاس بالجميل، وجامل صاحبه مجاملة وعليك بالمدارة والمجاملة مع النّاس، ونقول إنّ لم يجملك مالك لم يُجد عليك جمالك، وأجمل في الطلب إذا لم يحرص، وإذا أُصبت بنائبة فتجمّل أيّ تصبّر، قال أبو ذؤيب: جمالك أيها القلب القريح* أيّ صبرك، وأجمل الحساب والكلام ثم فصله وبينه... وتقول خذ الجميل وأعطي الجمالة وهي الصّهارة... واستجمل البعير صار جملاً... وناقاة جمالية في خلق الإبل ورجل جمالي: عظيم الخلق ضخماً"³.

¹ جان برتيليمي، بحث في علم الجمال، ترجمة أنور عبد العزيز، دط، دار نهضة مصر، القاهرة، 1970م، ص 10، 11.

² ابن منظور، لسان العرب، مادة جمل، مج: 11، دط، دار صادر بيروت، دت، ص 126.

* البيت كاملاً: جمالك أيها القلب القريح*** ستلقى من تحب فتستريح

³ الزّمخشري، أساس البلاغة، مادة جمل، ج، 1، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ص 134.

وهو بالنسبة للفيروز آبادي: "الحسن في الخلق والخلق"¹. وهو الزينة عند القرطبي وهو كذلك "ما يتجمل به ويتزين... والمرأة جميلة وجملاء أيضا عن الكسائي، وأنشد فهي جملاء كبدر طالع**بذت الخلق جميعا بالجمال"². إلا أن الجمال لدى الراغب الأصفهاني هو "الحسن الكبير واستدل على هذا الفهم بحديثه صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال)"³.
لكننا من خلال التعاريف السابقة نرى أنها كلها لغوية، ما عدا الأصفهاني إذ نجدده لأمس المستوى الاصطلاحي.

الجمال اصطلاحا:

يرى أبو بكر بن العربي المعافري أن "الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال، فأما جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر فيلقيه إلى القلب متلائما، فتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا بسبب لأحد من البشر، وأما جمال الأخلاق فبكونها على الصفات المحمودة: من العلم والحكمة والعدل، والعفة وكظم الغيظ، وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لصالح الخلق وقاضية بجلب المنافع إليهم وصرف الشر عنهم"⁴.
ويميز القدماء بين مصطلح الجمال ومصطلحات أخرى تتداخل معه هي الحسن والبهاء والزينة؛ بل وهناك من ربط الجمال بكل ما هو حسن كما هو الحال بالنسبة لأبي الهلال العسكري: "الفرق بين الحسن والجمال أن الجمال هو ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق، ومن كثرة الحال والجسم والحسن في الأصل للصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصورة"⁵.

ويورد ابن القيم أثناء حديثه عن حقيقة الحسن والجمال "أربعة أقوال في الحسن: 1- أنه تناسب الخلقة واعتدالها واستواءه، 2- أن الحسن هو الحسن في الوجه والملاحظة في العين، 3- أن الحسن

¹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة جمل، ج3، دط، دار الخيل بيروت، لبنان، دت، ص351.

² الكريم القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، دط، دار الكتب المصرية القاهرة، دت، ص70.

³ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، أعدته للنشر: محمد أحمد خلف الله، دط، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص137.

⁴ أبو بكر بن العربي المعافري، أحكام القرآن، ج3، تحقيق: محمد علي البحاي، دط، دار المعرفة بيروت، دت، ص1141.

⁵ أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط07، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1991م، ص257.

مركب من أشياء هي: الوضاعة والصباحة وحسن الشكل والتخطيط والدموية في البشرة. 4- أن الحسن معنى لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف¹.

كما تنوّعت تعاريف الجمال اصطلاحاً بتنوّع الدارسين فكلّ واحد منهم له نظره الجماليّة الخاصّة به التي يتفرّد بها عن غيره ويضع لمسته أثناء تعريفه، فهناك من ينظر إلى الجمال على "أنّه إدراك أو فعلٌ ينعش الحياة في صورها الثلاث: العاطفة والعقل والإرادة؛ وما لذّة الجمال إلّا الشّعور بهذا الانتعاش العام"²، فلو نظرنا إلى الجمال من هذه الزوايا الثلاث لوجدناه يختلف من زاوية لأخرى، وأمّا إذا اجتمعت كلّها فستتحقّق لذّة الجمال، وكلّما تلذذنا به أسرنا أكثر فأكثر، فيسبي عقولنا وأفئدتنا ويستحوذ في أحيان كثيرة على تفكيرنا، ولما كان هذا الأخير-الجمال-لائظاً بالقلوب ووضعت له أسس يقوم عليها "وأهمُّ قاعدة تُبنى عليها الأسس الجماليّة هي الاستعداد الفطريّ أو التلقائي لتقبّل الجمال؛ لأنّه إنّ لم يكن لدينا إحساس وشعور بهذا الجمال فإننا لا ندركه ولو كان يحفُّ بنا من كلّ جانب"³، فعلياً أن نصقّل ونمّي هذه الأسس حتى يتسنى لنا الاستمتاع بكلّ ما هو جميل، ونحسّ به؛ فـ"علم الجمال «Aesthetics» الأستطيقا يعود في أصله إلى اللّغة اليونانيّة وهي مشتقّة من الكلمة اليونانية «Aisthesis» والتي تعني الإحساس أو (عالم الأحاسيس)، وعلم الجمال يبحث في شروط الجمال ومقاييسه ونظريّاته وفي الذّوق العام وفي أحكام القيم المتعلّقة بالآثار الفنيّة"⁴ التي تثبت عبرها صفة الجماليّة، فنيّة كانت أو أدبيّة، جامدة كانت أو ساكنة، فالجمال جمال مهما اختلفت صفاته أو تقاسيمه، وينجذب له كلّ محبّ له؛ لأنّه "اللذّة التي تحدث من إدراك صفات الشّيء سواء لأنّ هذا الشّيء امرأة أو شعراً أو فكرة أو حركة أو عملاً أو غير ذلك..."⁵، فهو متشعب تشعب الرّؤى الجماليّة، والمواقع الدلالية التي يحدث يحدث الإسقاط عليها؛ فهو مرآة عاكسة لما يجول داخل النّفس البشريّة.

1 ابن القيم، روضة المحيّن، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1983م، ص232.

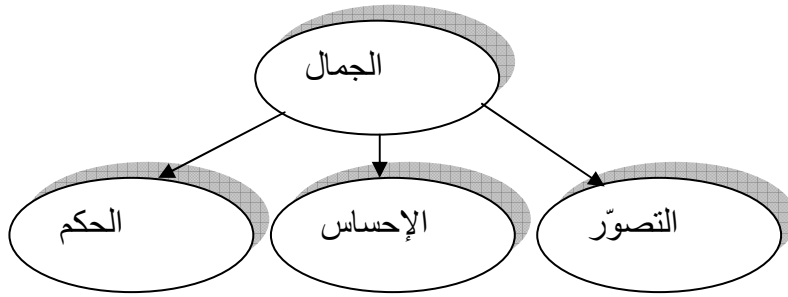
2 جون ماري جويو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، تر: سامي الدروي، ط2، دار اليقظة العربيّة، دمشق، 1965م، ص11.

3 محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي (محاولة نظريّة تطبيقية)، دط، ديوان المطبوعات الجامعيّة، دت، ص18.

4 هالة محجوب خضر، علم الجمال وقضاياها، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م، ص13.

5 أحمد أمين، النقد الأدبي، تقدم محمد طاهر مدور، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1967م، ص42.

هناك من الدّارسين من ربط الجمال بالفلسفة؛ فوسمه بفلسفة الجمال ونظر إليه على أنّه "فرع من فروع الفلسفة الذي يهدف إلى دراسة التّصوّرات الإنسانيّة عن الجمال من جهة، والإحساس بها من جهة ثانية، وإصدار الأحكام عليها من جهة ثالثة. ومن ثمّ يتحوّل التعريف بالجمال إلى ثلاث مراحل هامة يكتمل بها تعريفه هي: مرحلة التّصوّر، ثم مرحلة الإحساس، فمرحلة الحكم¹. وعبر هذه الأيقونات الثلاثة يتشكّل لدينا الحسّ الجماليّ وهذا ما يوضّحه لنا الشّكل الآتي:



من هذه التّرسّيمة نلاحظ بأنّ هناك علاقة وطيدة بين الجمال والإحساس والحكم، فهذه العناصر تكوّن لنا سديما واحداً ألا وهو الحسّ الجماليّ (أو الجماليّة)، وهي دراسة جملة من المسائل مجتمعة أو منفردة²، وبهذا نكون قد انتقلنا من الجمال إلى الجماليّة وهما وجهان لعملة واحدة "لهذا تتعلّق الجماليّة بالتّجربة الجماليّة ذاتها من جهة الشّكل والمضمون، ويمثّل ما أطلق عليه بعض الباحثين (المنهج الجماليّ)، الذي يركّز في أساسه على نظريّة (علم الجمال: الاستيطيقا)³. من خلال هذا المنهج الجماليّ يصدر الباحث أحكاماً؛ فيبدي رأيه بواسطة استخدامه لمصطلحات الجمال، كأن يقول: رائعة، جميلة، ساحرة... إلى غير ذلك من المصطلحات الجماليّة.

وهناك من ينظر إلى الجماليّة على أنّه يعدّ منهجاً تحليليّاً نقديّاً لدراسة البنية اللغوية والأسلوبيّة، وما تؤسّسه من دلائل ووظائف وأهداف؛ لأنّ النصّ الإبداعيّ أيّما كان جنسه يؤكّد خصائصه باتّجاهين: الشّكل والمضمون، ولا فصل بينهما... ممّا يحقّق للنصّ صورته الإيجابيّة المقالة ومن ثمّ

¹ علي عبد المعطي محمد، راوية عبد المعنم عبّاس، الحسّ الجماليّ وتاريخ التذوّق الفنّي عبر العصور، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م، ص 187.

² حسن جمعة، جمالية الخبر والإنشاء _ دراسة جمالية بلاغية نقدية، دط، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق 2005 م، ص 15.

³ نفسه، ص 15.

يجسد حقيقة الجمال بكل خصائصها الدلالية؛ لأن للكلام جسدا وروحا، وكذا لكل جسم جوهر وحقيقة"¹.

فما نرمي لدراسة جوهره، و لبّ لبّه، و واسطة عقده، ونقش فصّه هو كلامٌ متزلّ متزه؛ هو الجمال وهو الجلال. إنّه النصّ القرآنيّ الذي لا نستطيع دمجّه بأيّ شكل كان مع باقي النصوص، وجمال الصّوت فيه مرتبط ارتباطا وثيقا بالتجويد والترتيل؛ لقوله تعالى: ﴿...رَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ الآية 04، سورة المزمل .

2- الصّوت لغة: الصّوت لغة من "صات يصوت بمعنى نادى ..."²، ومن ذلك "صات الشّيء من باب قال، وصوت أيضا تصويئًا... وصات أيضا أي: شديد الصّوت... وربّما قالوا: انتشر صوته في الناس ذاع صيته"³.

اصطلاحاً: فقد حدّده **الجاحظ** بقوله: "الصّوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً إلاّ بظهوره"⁴.

والصّوت اللّغوي هو الصّوت الصّادر عن جهاز النطق الإنسانيّ فالمنطوق منه يعدّ أصغر الوحدات اللغويّة في النصّ الأدبي فضلاً عن أنّه يعدّ المادّة الخام للكلام الإنساني من ناحية ولتركيب النصّ اللغويّة والسيّاقية والدلالية من ناحية ثانية"⁵، وبتساؤلنا عن مصدر الصّوت الإنساني ونشأته نجدّه "ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان؛ فعند اندفاع النّفس من الرّئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي يعدّ صدورها من الفم أو الأنف،

¹ حسن جمعة. جمالية الخبر والإنشاء _ دراسة جمالية بلاغية نقدية ، ص 16 ، 17.

² ابن منظور، لسان العرب، (مادة صوت) ، مج 2، دط، دار صادر، بيروت، سطر 2، ف 1، دت ، ص 57.

³ الجوهري محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي زين العابدين ، مختار الصّحاح، ج 1، دط ، دار الكتب العلميّة ، 2002م ص 21.

⁴ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين، ج 1، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط 5 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1985م ، ص 79.

⁵ مراد عبد الرّحمن مبروك ، من الصّوت إلى النصّ_ نحو نسق منهجيّ لدراسة النصّ الشعري، ط 1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002م، ص 21.

تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن¹. وقد نلمس الأثر الصوتي للغة وأسبقيته حيث أنه "ظاهرة صوتية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها"².

قبل أن يكون الصوت محلًا للدرس والبحث؛ فهو هبة ربانية ونعمة من نعم المولى عز وجل التي لاتعد ولا تحصى، فكلمة صوت واردة في القرآن الكريم أكثر من مرة في:

1- قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ سورة الحجرات الآية 02.

2- وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ سورة الإسراء الآية 64

3- وكذا قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ سورة لقمان الآية 19.

4- وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ سورة طه، الآية 108.

ففي ثنايا هذه الآيات نلمس القيمة الجمالية لكلمة صوت وهي تتردد عبر جداولها مفضية إلى معان خاصة تخدم المشهد القرآني والتسق التعبيري، فهي _كلمة صوت_ تعرف بنفسها وعن مدلولها في كل موضع وردت فيه، والصوت نوعان: عام وخاص" فالصوت العام هو الصوت الطبيعي، والصوت الخاص في اصطلاحنا هو الصوت اللغوي"³. هذا الأخير الذي يُدرس من خلال النصوص الأدبية لكن"الصوت الإنساني لا يخرج عن الصوت الطبيعي من حيث أنه أثر سمعي ينشأ

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1999 م ، ص 29.

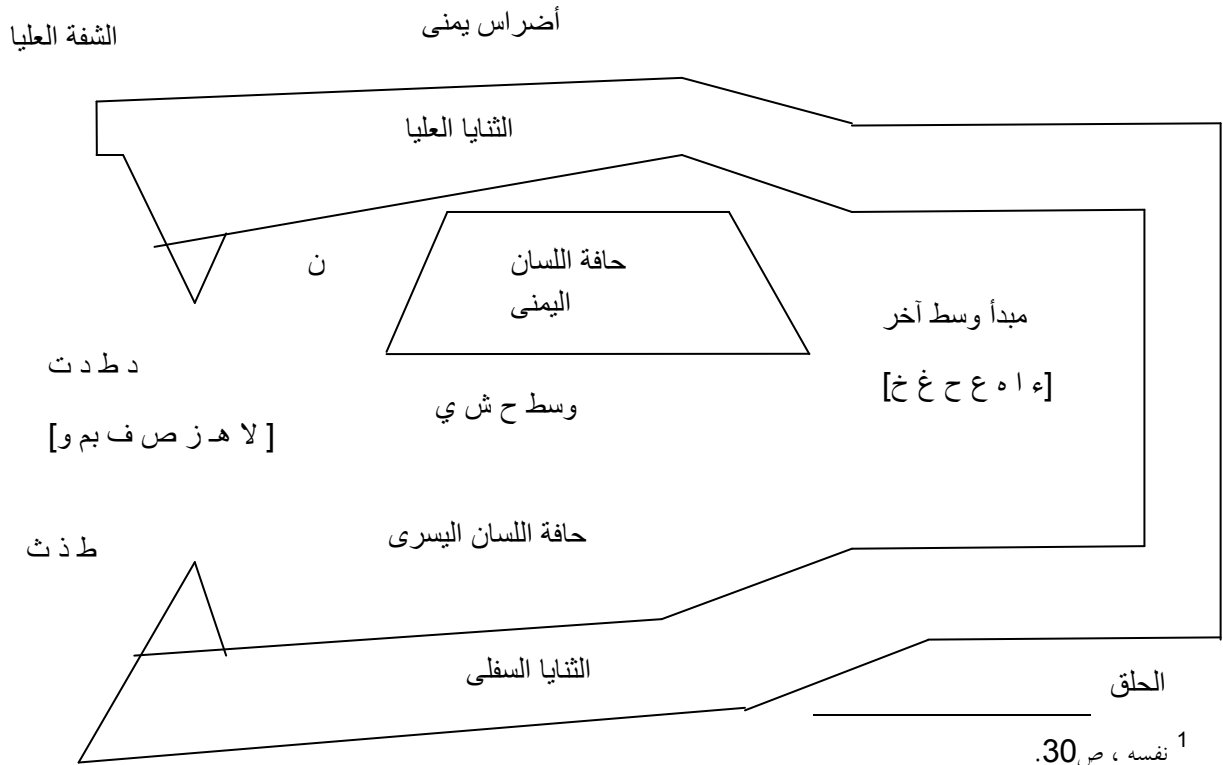
² نفسه ، ص 07.

³ عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ط 3 ، مكتبة وهبية، 1416هـ، 1996م ، ص 28.

من اتصال جسم بآخر في جهاز النطق الذي يمثل مصدر الصوت في الوسط الناقل للصوت كما هو في علم الطبيعة إلى جهاز استقبال الصوت، وهو الأذن¹.

ولقد قام علماء التشريح بدراسة خاصة حول مصدر الصوت وطريقة حدوثه واستقباله، فعلم التشريح مثلاً: تحدث عن الأعضاء التي تخدم الصوت والتي ينتقل بها وعبرها؛ "فالأذن المستقبلة للصوت لم تقف على أجزائها إلا من دراسة علم التشريح، كذلك فإن جهاز النطق الإنساني - بعامته يحتاج إلى علم التشريح في معرفة خواصه وأدائه لوظائفه... ففي الحنجرة الأوتار الصوتية ذات الرنين الخاص مع بعض الأصوات وهي تسكت مع بعضها وتأخذ وضعاً ثالثاً مع البعض الآخر، ولكل ذلك أثره في إبراز الأصوات اللغوية، كذلك بالنسبة للقنطرة الهوائية كما ثبت من الدراسة التشريحية إذ لها وظيفة لغوية في تقوية الأصوات وتضخيمها"².

وهذا ما دعا إلى دراسة ومعرفة أعضاء النطق من حيث طبيعتها وخواصها والأسباب الداعية لتأدية وظائفها بطريقة سليمة، فقد اهتدى السكاكي إلى وضع رسم توضيحي لجهاز النطق في مجمله بصورة متواضعة:³



¹ نفسه ، ص30.

² عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ص30.

³ ينظر: كمال بشر ، علم الأصوات ، د ط ، دار الغريب ، د

أضراس يسرى 1.

في هذا الرسم نلاحظ أن كل مُسمّى من هذه المسمّيات له دوره ووظيفته في إيصال الصّوت اللغوي. وحروف اللّغة العربيّة تنساب عبر هذا الجهاز متدفّقة، فمنها ما يخرج من أوّله ومنها ما يخرج من الشّفاه، وهكذا دواليك. وقد تحدّث الجوزي عن هذا الأمر فشبهه أجهزة التّلقّ بآلات الأصوات فـ"تأمل آلات الأصوات ترى الرّثة كالزّق، والحنجرة كالأنبوب، فإذا ظهر الصّففر أخذ اللسان والشّففتان في صناعته ألحانا؛ فهو كالأصابع المختلفة على فم المزمار"¹.

يعدّ الصّوت ظاهرة سحرية عجيبة، وعصاه السّحرية التي يؤثّر بها هي جهاز التّلقّ؛ فيكون الحلّ لكلّ حرف صادر سحره الخاصّ؛ فمنه اللّين، ومنه الجهوري، ومنه الانفجاري، ومنه المهموس... إلخ، ولكلّ وظيفته التي يؤدّيها داخل النّص الشعري بالأخصّ.

3- جمال الصّوت وصواته الجمال:

إذا فتش الإنسان عن الجمال وجدّه يحفّ به من كل جانب حتّى وإن لم يكن يراه، وهو ما ينطبق تماما على الصّوت واستصاغته؛ فإذا طربت له الأذن ولاطت به القلوب وأثر في المتلقّي إزدان بصفة الجمال؛ فنقول صوت حسن، جميل، مليح، يُطرب، يشجّي، يأسر الأسماع، يسبي العقول... إلى غير ذلك من العبارات التي نخصّصها في تعبيرنا عن جمال الصّوت خاصّة. وإن كان هذا الصّوت هو الصّوت الرّباني المسطّر عبر صفحات كتابه العزيز، فأصواته ليست كباقي الأصوات؛ لأنّه معجز في قراءته وتفسير معانيه، "وهذا الجمال الصّوتي أو النّظام التّوقيعي، هو أوّل شيء أحسّته الأذان العربيّة أيّام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منشور الكلام سواء كان مرسلأ أو مسجوعا"². وجمال الصّوت القرآني لا يضاهيه جمال، هذا إذا نظرنا إلى الصّوت كروح داخل بدن الكلمة؛ أمّا إذا نظرنا إلى الصّوت كذبذبات تخرج من مزمار من

¹ أبو الفرج جمال الدّين بن علي بن جعفر الجوزي، المدّش، ج1، تحقيق: مروان قباي، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت 1985م، ص286.

² كمال الدّين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنيّة، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص150.

مزامير داوود لبعض القراء؛ لكان مصقولاً ومنسجماً، فيتزواج بذلك الصوت الموجود داخل بدن الكلمة مع صوت المقرئ المتمكن العارف بأحكام التحويد والترتيل، فيلتقي بذلك جمال اللفظ وجمال الصوت مُحدثاً ما يسمّى صوارة الجمال". ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي أنّهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية، كانا سوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى؛ وذلك أنّه من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه ويجرّك داعية الإقبال في كلّ إنسان إلى هذا القرآن¹. فمن ينشد الراحة والسكينة والباطمئنان؛ فليقرأ ويستمتع بروحه وفؤاده إلى أجمل صوت عرفته البشرية؛ ألا وهو القرآن الكريم.

المبحث الثاني: إسهام المفردة القرآنية في الجمال السّمي.

إنّ الجمال في القرآن مرتبط بكلّ حرف و لفظٍ و معنى، فهو كلّ متكاملٌ لا غنى لنا عن أيّ جزء من أجزائه حتى وإن كان حركة (ضمة أو فتحة أو كسرة أو حتى سكوناً)، وما يهّمنا هنا هو المفردة (اللفظ) فقد "يستقلّ لفظ واحد- لا عبارة كاملة- برسم صورة شاخصه - لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة- وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير أبعد من الخطوة الأولى، وأقرب إلى قمة جديدة في التناسق، خطوة يزيد من قيمتها أنّ لفظاً مفرداً هو الذي يرسم الصورة تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظلّ معاً"²؛ وهذا يؤكّد أهميّة المفردة- اللفظ- داخل النصّ القرآنيّ وما لها من تأثير على المستمع؛ لأنّ كلّ مفردة تحمل روحاً بداخلها وموسيقى داخلية وخارجية في ثناياها ممّا يعزّز مكانتها داخل النصّ القرآنيّ. ولنفهم دور المفردة في إضفاء الجمال السّمي داخل النصّ القرآنيّ علينا أن نتعرّف على جمال المفردة في الأدب.

1- جمال المفردة في الأدب:

لقد صال وجال الأدباء والكتّاب في ساحة الحديث عن المفردة لما لها من جمال وقيمة داخل النصوص؛ فمن المسلمّ به "أنّ المفردة الأدبية كائن جديد متميّز... فهي في الأدب تلبس لبوساً

¹ كمال الدّين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، ص 153، 154.

² سيد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، دط، دار الشروق، القاهرة - طبعت مختلفة (محمّل من الموقع الإلكتروني: www.al_mostafa.com). ص 91.

فريداً مع شحنة روحية، مما يجعلها تتجاوز كونها أصوات مادة معجمية، وهي ترسم وتشخص وتجسم حالة شعورية فتتسع دلالتها (الاشهارية الضيقة، وتحمل دلالة أخرى في حالة الاتساع"¹.
فهذه الأخيرة لها قيمة كبيرة داخل النسق-النص- لكونها عضو حيّ وفعال بداخله، والمفردة الجميلة في الأدب هي التي تصل إلى السمع فيستحسنها، وتصل إلى العقل فيقبلها ويحللها، وفيها ينسج الكلام ويكتمل معناه وهي تقوم بوظائف عديدة نذكر منها أنها تعمل على "نقل المشاعر في صيغ مغايرة للاستعمال المعهود، ولا تنتهي غايته عند صياغة الفكرة فقط؛ بل عند بثّ الروح في حنايا الكلمات"².

2- خصوصية المفردة القرآنية:

تكتسب المفردة في القرآن خصوصية تجعلها متفرّدة عن غيرها من المفردات في سائر الآداب وهي من بين الوشائج التي تربط بين النصّ القرآنيّ والمتلقّي، وهذا من خلال قراءتها وفهمها وتحليلها، ويتحدّث عبد الكريم الخطيب عن خصوصية المفردة القرآنية فيقول:³ "أفاض الله سبحانه عليها-الكلمات- هذا الفيض، ونفخ فيها من روحه، كما نفخ في عصا موسى؛ لكنّه مع ذلك أبقى على تلك الكلمات طبيعتها التي يعرفها الناس منها، كما أبقى على عصا موسى طبيعتها كذلك؛ فكلام الله يعلو ولا يعلو عليه، وهذا ما يكسب المفردة القرآنية أيضاً رهبة وجلالاً، ويجعلها منساقة محفوفة بموكب ملكيٍّ وهي متوّجة بتاج إلهي، تاج مرصّع بالمعاني الجليلة والإيقاعات الجميلة، "وهذا السرّ الإلهي ليس خفياً على متذوّق العربية وفنّ الكلام، وهذه الخاصية للمفردة القرآنية تسري في الآيات في تلاؤم تام، ولا يمكن أن نعدّها تفضّلاً أو ترفاً ذهنياً، كما هي الحال في كثير من الأدب وهي-المفردة-سامية بنسبتها إلى منزلتها في إطار من البيان الذي يعيه العرب خاصّة، فعلى قدر ما تكون الجهة المبدعة قوية، تخرج الكلمات قويّة مؤثّرة"⁴، وهذا التأثير التابع من لدن حكيم خبير يزيد من خصوصيتها ويكسبها قوّة في المعنى وقوّة في المبنى والإيقاع(الجرس الموسيقي)؛ فمن خلال المفردة يرتسم لك المعنى وترسم له صورة في مخيلتك،

¹ أحمد ياسوف، جمال المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، ط1، دار المكتبي، سورية، دمشق، 1994م، ص65.

² أحمد ياسوف، جمال المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، ص26.

³ الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن، ج2، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1964م. ص295.

⁴ أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، ص30.

فحين تسمع كلمة (يصرخون) في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۗ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۗ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ فاطر، الآية 37 فيخيل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تُلقي إليك ظل الاهتمام لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يبليه، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك، كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصرخون¹. نلاحظ هنا أن كلمة واحدة رسمت مشهداً منقطع التظير لما لها من خصوصية، فلقد صوّرت لنا من زوايا عدة صورة الكفار وهم يصيحون بأعلى صوتهم، صورة جهنم التي يخيف لفظها كل من يخشى عذاب ربّه، والصورة الأخيرة هي صورة الكافر الذي يتقلب في النار، ورغم صراخه فما له من مُجيب.

هذا كله راجع إلى أن الكلمة انزاحت عن مدلولها كمفردة عادية إلى مفردة ذات خصوصية فهي "ليست مجرد شكل على الورق، أو صوتاً نسمعه إذا كانت منطوقة؛ وإنما هي لا تكون كذلك إلا بالنسبة إلى الطفل الصغير أو الشخص الذي لا يعرف اللغة... ولكن على الرغم من ذلك يظل التمييز قائماً بين اللون والصوت الذي لا يقدم للوعي إلا ذاته، وبين الكلمة التي يكون معناها أكثر من مجرد المظهر الذي تتخذه للإحساس"².

فمفردة واحدة قد تؤدّي العديد من الأدوار، وقد تُوصل أحاسيس مختلفة حسب السياق الذي هي بداخله، وهذا ليس لشيء إلا أنها مفردة ربّانية داخل نصّ ربّاني محكم النسيج والصوت.

3_جماليات الحركات والمدود في القرآن الكريم:

معين القرآن الكريم لا ينضب ودارسه لا يمل ولا يتعب، وهذا لتشعب موضوعاته وكثرة أسرارها. ومن بين الأمور التي استرعت اهتمام الباحثين والدارسين له، ما وجدوه من جمال متصل

¹ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص92.

² ستولنيزر جيروم، النقد الفني - دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة: فؤاد زكريا، ط2، مطبعة جامعة عين شمس، 1974م، ص84.

الفصل الأول: جماليّات أصوات القرآن الكريم

بالحركات والمدود وقد قسّموا الحركات إلى نوعين طويلة وهي المدود، وقصيرة وهي الحركات وهذا ما توضّحه الجداول الآتية:¹

الحركات القصيرة:

| المثال | الصّوت | مسلسل |
|--------|----------------|-------|
| بَ | الفتحة القصيرة | 1 |
| بِ | الكسرة القصيرة | 2 |
| بُ | الضمّة القصيرة | 3 |

الحركات الطويلة:

| المثال | الصّوت | مسلسل |
|--------|--------------------|-------|
| نار | الفتحة الطويلة (ا) | 1 |
| منير | الكسرة الطويلة (ي) | 2 |
| نور | الضمّة الطويلة (و) | 3 |

أشباه الحركات:

| المثال | الصّوت | مسلسل |
|--------|----------------|-------|
| ولد | الواو المعتلّة | 1 |
| يلد | الياء المعتلّة | 2 |
| خوف | الواو اللينة | 3 |
| بيت | الياء اللينة | 4 |

¹ ينظر: صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات _ الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، ط01 زهراء الشرق، القاهرة، 2006م، ص102.

هذه الجداول تشرح نفسها لوضوحها، والحركات برمتها تُدعى أيضا بالصّوات لأنّها تخرج الحرف من الصّمت إلى الصّوت "فالحركة جزء من الصّوت، والمدّ حركة طويلة فالضمّة صوت؛ أمّا الواو فهيّ صوت، وتعدّ ضمّة طويلة المدى"¹. والملاحظ أنّ الحركة وُسّمت هنا بالصّوت، والمدّ وُسّم بالصّوت وهذا لخصوصية كلّ منهما، ويعرّف المدّ بأنّه "إطالة الصّوت بحرف من حروف المدّ أو اللّين الثلاثة"² على النحو الآتي (نــــا، نــــو و نــــي) (الألف، الواو والياء)، وهذه المدود والحركات إذا تأملتها داخل النصّ القرآني تجدها زادت في حلاوته وعذوبته فجمال "دلالات وموسيقىّية الحركات الطويلة والقصيرة تبدو كصورة بديعة من صور التطريب وتقريب المعاني؛ فإنّها تشدّ الدّهْن، وتهيج القريحة، وتؤثّر على النّفْس كذلك"³.

هذا لأنّها تتواجد داخل نسق ربّاني بديع، فكّلما قرأته ازدادت حبًّا له وشغفًا وإعجابًا به وبتراكيه، وطربت لحركاته وسكناته وإنّك "لو تدبّرت ألفاظ القرآن في نظمها؛ لرأيت حركاتها الصّرفية واللّغوية تجري في الوضع والتّراكيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيّئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلّا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النّظم الموسيقي، حتّى إنّ الحركة ربّما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثّقل أيّها كان، فلا تعذب ولا تُساع، وربّما كانت أو كس التّصيين في حظّ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هيّ استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد إمتهدت لها طريقًا في اللّسان، واكتنفها بضروب من التّغم الموسيقي، حتّى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقّه، وجاءت متمكّنة في موضعها وكانت لها الموضع أولى الحركات بالخفّة والرّوعة"⁴، وهنا نلمس الألفة بين الصّوت والصّوت داخل اللفظ وكأنّ الحرف فيه جعل ليكون سكنًا لكليهما، فسبحان من أنزل هذه الآيات المحكمات، فهي معجزة حقًا لقوّة سبّكها وعظمة شأنها.

¹ أحمد ياسوف، جمال المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتّفسير، ص206.

² حافظ محمد عبد الحمي، القواعد المشجّرة في فنّ القراءات العشر المتواترة، تقديم: عبد الرزاق الحلبي، محمد كريم راجح، دط، دار الكلم الطيّب، دمشق، بيروت، 1428هـ، 2007م، ص178.

³ كمال أحمد غنيم و رائد الدايدة، جماليات الموسيقى في النصّ القرآني، مجلّة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة، جامعة فلسطين، مجلد 22، العدد 02، 2012م، ص9.

⁴ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ط8، بيروت، دار الكتاب العربي، دت، ص227.

ونخرج الآن من دراسة المفردة بشكل عامّ إلى دراسة أخرى تشرحيّة؛ لنكتشف المزيد من الأسرار والخبايا بداخلها، والمتعلّقة خاصة بالحركات (الطويلة والقصيرة) فيها، فبعض الحركات قد يعترتها نوع من الثقل كما هو موضّح في القول آنفاً، ولكنّها بمجرد ذكرها في القرآن تجلو وتخفّ وتتألّق؛ هذا لأنّ النصّ القرآنيّ يكسبها بريقاً خاصّاً و يعزّز دورها ومكانتها و"الحركات-لاسيما- الطويلة هي أعلى الأصوات اللّغوية وضوحاً في السّمع، والتي لا تخلو منها آية-غالباً-من آيات القرآن، إلّا وقد جمعت حكماً من أحكام المدّ إن لم تكن جمعت مجموعة منها في آية واحدة، والحركات تعتبر عاملاً أساسياً في التّناسق العجيب بين الكلمات، والانسجام بينها داخل السيّاق، ومع دلالات الألفاظ والتراكيب والتوافق مع الحالة التّفسيّة للمتلقّين أو المقصودين في الخطاب"¹. وهذه الأخيرة تجعل القارئ يتلذذ القرآن أثناء تلاوته، وتُبدّد كلّ غموض قد يكتنف الكلمة؛ فهي عامل أساسيّ وفعلّ في لدن النصّ القرآنيّ لِمَا لها من جمال أخاذ، فلو أخذت كلمة من القرآن وقرأتها لأحسست بما فيها من سحر فتان، فمثلاً: لو نطقت شفتاك بكلمة (الرّحمن) تحسّ براحة غريبة، فتتسلّل الكلمة إلى قلبك دون أن تطرق الباب خاصّة عندما تركّز على المدّ فيها.

وكما لا يفوتنا الحديث عن الحركات القصيرة-الصّويت- فهي "على صغرها وسذاجة شكلها إنّما تفيد معان دالّة، وتترك في الأذن صيغاً وأصواتاً مميّزة، كأنّما هي ترجيعات أصوات في نسق دقيق"²، إذ لا غنى لنا عنها، وإسقاطها أو إهمالها يعتبر لحناً أثناء القراءة، فيجب على كلّ من يقرأ القرآن مراعاتها أثناء التّلاوة؛ لأنّها تحدث نغماً موسيقيّاً وإيقاعاً خاصّاً، وعليه "أن يبيّن جميع الحروف، ويوفّي حقّها من الإشباع، وأصل التّرتيل التّنضيد والتّنسيق وحسن النّظام، وتأكيد الفعل بالمصدر يدلّ على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينقص من النّطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة"³؛ وهو ما يزيد من جمال الصّوت المنبعث من ثنايا الحروف والكلمات بحركاتها ومدودها ممّا يجعل الإيقاع يفيض منها، فيغذيّ الرّوح والعقل و"إنّ ما يُحدث الإيقاع داخل العبارة القرآنيّة ما تحمله من جرس وحركة تتعانقان لتجسّم

¹ كمال أحمد غنيم ورائد الداية، جماليات الموسيقى في النصّ القرآني، ص10.

² رمضان محي الدين، وجوه الإعجاز الموسيقي في القرآن، ط1، دار الفرقان، عمان، 1982م. ص39.

³ الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدّراية من علم التفسير، ج5، دط، دار الفكر بيروت، لبنان، دت، ص316.

الصورة في إيقاع مثير وفي انتظام موحد¹، وإِنَّه لأَكْبَرُ دَلِيلٌ عَلَى الْقُوَّةِ الْكَامِنَةِ دَاخِلَ آيِ الْقُرْآنِ، فَالْحَرَكَةُ الْقَصِيرَةُ تَخَفُّ أَوْ تَشْتَدُّ وَهِيَ مُنْسَاقَةٌ لِمَا يَقْتَضِيهِ الْحَرْفُ أَثْنَاءَ النَّطْقِ، وَنَسْوَاقٌ فِي هَذَا الصَّدَدِ مِثَالًا عَنِ الْحَرَكَاتِ الْمَفْوَظَةِ-الْمَصَوَّتِ بِهَا-دَاخِلَ بَدَنِ الْكَلِمَةِ فِي لَفْظَةِ (لَا يَضْرُكُم) الْوَارِدَةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمُ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ آل عمران، الآية 120. "والقراءة بالضم غايتها تحقيق الانسجام الحركي مع ضمة الضاد من قبل، وضمة الكاف من بعد. هذا علاوة على أن الأصوات الطبقيّة والمفخمة تؤثر الضمة، والإتباع في العربيّة معروف ومعهود كثيرا"². وإِنَّه لَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَرَكَةَ تَتَّبِعُ الْحَرْفَ الَّذِي تُتَوَجَّهُ، وَالْحَرْفَ الَّذِي يَسْبِقُهُ، وَإِنَّه لِانْسِجَامٍ عَجِيبٍ بَيْنَ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ أَوْ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالصَّوْتِ.

وهنا نتذكر قول ابن جنّي³: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمّة بعض الواو؛ لأنّ الفتحة تناسبها الألف والكسرة تناسبها الياء والضمّة تناسبها الواو في اللّغة العربيّة، وإنّ حركة الفتح هي الأكثر انتشاراً في القرآن الكريم؛ ذلك لأنّها أسهل الحركات الثلاثة نطقاً، وأقربها إلى الجمال الحاصل من الوضوح السّمعّي، لذلك دوراتها في القرآن كثير لسهولة النطق بها وجريانها على اللسان، ووضوحها في السّمع، وجمالها وجرسها خاصّة عند تواليها في الكلمة الواحدة"⁴، فالقرآن جعل ليغذيّ النّفس ويريجها لا ليشقّ عليها، وهذا خاصّة أثناء تلاوته وهو السبب في كثرة ورود حركة الفتح فيه ممّا يوّلّد جمالا موسيقيّاً، خاصّة إذا اتّصلت الحركة القصيرة بالمدّ المناسب، فتزيد حدّة النّغم الموسيقيّ، فيعلو الصّوت ويطرب له السّمع "والحركة المصوّتة المسموعة هي من جنس الحرف أمّا حرف المدّ فهو إمتداد لصوت الحركة، ومن حيث الحركة الفيزيولوجيّة فهو حرف ساكن؛ لأنّه لا يستلزم الانتقال

¹ نجيب العماري، القراءة والانسجام الصّوتي _ تحليل الظاهرة، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: الشيخ الدكتور التهامي الراجحي الهاشمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، 2006م، 2007م، ص 133.

² فوزي محمّد الشّايب، قراءات وأصوات، ط 1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2012م، ص 45.

³ ينظر: ابن جنّي عثمان أبو الفتح. سرّ صناعة الإعراب، ج 1، ط 1، دار القلم، دمشق، سورية، 1985م، ص 18.

⁴ كمال أحمد غنيم ورائد الداية، جماليات الموسيقى في النصّ القرآني، ص 11.

منه إلى حرف آخر¹. وهنا السرّ القائم بين تعاقب الصّوت والصّوت فلكلّ منهما بصمة جماليّة قرائيّة، ولدى اجتماعهما تظهر تلك البصمة أكثر فأكثر. هنا لا يفوتنا الحديث عن أمر مهمّ وهو إشباع الحركات، فالحركة في التّزليل الحكيم قد "نصّ عليها بحركات قصيرة، وقُرئت بحركات طويلة... ومن هذه الشواهد قراءة الحسن البصري رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ الأعراف الآية: 145. هكذا (سأوريكم) بلفظ (واو ساكنة بعد المهمزة) على ما يقتضيه رسم المصحف، ويجسّن احتمال الواو في هذا الموضع أنّه موضع وعيد وإغلاظ فمكّن الصّوت فيه².

والملاحظ هنا أنّ إشباع الحركة يكون أثناء القراءة القرآنيّة-التّجويد- وهذا لإبراز المعنى وإظهار القوّة المكنونة داخل اللفظ نفسه، ممّا يزيد من جمال تلقّيها وسماعها.

فمن خلال هذه الشّدرات المقدّمة عن الحركات والمدود نصل إلى نتيجة أنّها مفتاح من المفاتيح الهامّة التي تجعلك تلج باب الجمال في القرآن الكريم، فكلّ حرف مرسوم وكلّ صوت منبعث منه إلّا وله تأثير على النّفس المتعطّشة لسماع القرآن وتلاوته.

المبحث الثالث: الصّوت بين القديم والحديث:

1- لمحة موجزة عن دراسة الصّوت لدى اللّغويين والنقاد العرب القدامى:

لقد كان أوّل بصيص للنور في مجال دراسة الصّوت لدى العرب منذ ظهور الدّين الإسلامي، وما دعاهم إلى ذلك هو الخوف من أن يطرأ على الكتاب المعجزة أيّ تحريف أو تغيير، سواء على صعيد اللفظ أو المعنى "فوصفوا مخارج الحروف وصفاً دقيقاً آثار دهشة المستشرقين وإعجابهم، وتحدّثوا عن صفات الحروف وأصواتها، مما يدلّ على إرهاب الحسّ العربي وشفافيّته. وقد أطلقوا على هذه الدّراسة تجويد القرآن الكريم"³، فاهتمّت هذه الأخيرة بدراسة الأصوات في القرآن الكريم، ثمّ نشأ عنه اهتمام علماء اللّغة بالأصوات، وكلّ منهم كانت له مؤلّفاته حول هذه

¹ التّواتي بن التّواتي، المدارس اللّسانيّة في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ط2، دار الوعي، الجزائر، 2008م ص130.

² أفنان عبد الفتّاح النّجّار، إشباع الحركات في العربية بين الممارسة والتّعليل، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008م، ص 115، 116.

³ عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللّغة العربيّة، ص08.

الظاهرة إن لم تكن بالدرس المفصل فبالتنويه. "فالخليل بن أحمد قد وضع (كتاباً في النغم والأصوات)، كما تضمن (كتابه العين) بعض آرائه الصوتية، والأخفش الأوسط ألف (كتاباً في الأصوات)، ولابن السكيت (كتاب في الأصوات)، ولشيخ اللغويين سيويه دراسة في الأصوات أفرد لها جزءاً من كتابه تحدّث فيه عن سماتها ومخارجها وائتلافها، ثم كانت الدراسات الواسعة التي أصّلها وتفرّغ لها أبو علي الفارسي... وكذلك تلميذه العبقري ابن جنّي في كتابيه (سرّ صناعة الإعراب) و(الخصائص)"¹، كان للخليل السبق في دراسة الصّوت وربطه باللفظ، وكذا في دراسة جهاز التّطق ومخارج الحروف. "وقد لوحظ أنّ الخليل يختلف في توزيعه للأصوات على مخارجها عمّا نحن عليه من توزيع، ولكنّه ليس بالاختلاف الذي يقدر في صنيعه وتقسيمه... ولعلّ من أبرز مظاهر الخلاف عنده هي أنّه لم ينسب (الواو والياء والألف والهمزة) إلى مخرج صوتيّ معيّن"².

أ_ فلقد قسّم الأصوات حسب مخارجها إلى ثمانية مخارج.

1- "الأصوات الحلقية: يقول الخليل: فالعين والحاء والهاء والغين والهمزة؛ لأنّ مبدأها من الحلق.

2- الأصوات اللّهوية: يقول الخليل: القاف والكاف لهوئتان؛ لأنّ مبدأهما من اللّهاة.

3- الأصوات الشجرية: يقول الخليل: والجيم والشّين والضّاد شجرية؛ لأنّ مبدأها من شجر الفم أي مخرج الفم.

4- الأصوات الأسلية: يقول الخليل: والضّاد والسّين والزّاي أسلية؛ لأنّ مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرف اللسان.

5- الأصوات النطعية: يقول الخليل: والطّاء والتّاء والدّال نطعية؛ لأنّ مبدأها من نطع الغار العلى.

6- الأصوات اللثوية: يقول الخليل: والظّاء والدّال والتّاء لثوية؛ لأنّ مبدأها من اللثة.

7- الأصوات الذّلقية: يقول الخليل: والرّاء واللام والتّون ذلقية؛ لأنّ مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفه.

¹ نفسه، ص 08.

² حسام البهنساوي، علم الأصوات، ط 1، مكتبة الثقافة الدنيّة، القاهرة، مصر، 1425هـ، 2004م، ص 45.

8- الأصوات الشفوية: يقول الخليل: والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرةً شفوية؛ لأنَّ مبدأها من الشَّفة. وثمة مجموعة من الأصوات الهوائية: فالياء والواو والألف والهمزة هوائية؛ لأنَّها هوائية في الهواء إذ لا يتعلق بها شيء¹.

وهكذا تتبَّع المهتمُّون بهذا المجال خطى الخليل وأكملوا المسيرة بعد أن كانت تقسيماته لدنات الدِّراسات الصَّوتية منيرة، فسار على نهجه تلميذه سيوييه في (الكتاب) إذ تناول الجهاز الصَّوتي وبين مخارج الأصوات في كلِّ موطن منه كالخلق، وأقصى اللسان، ووسطه وطره. كما تناول الحديث عن صفات الحروف من جهر وهمس وشدة ورخاوة إلى غير ذلك...²، ونجدته بمعنى آخر قد قسَّمها مثلاً حلقياً إلى: "أقصى الخلق: همزة وهاء، ووسطه: عيناً وحاء، وأدناه: غيناً وخاء"³، ثم تابع ابن دريد هذه القضية أيضاً وذلك بربطه بين أسماء القبائل ومعانيها "فهذيل من الهذيل وهو الاضطراب، وقضاعة من انقضع الرَّجل عن أهله إذا بعد عنهم، أو من قولهم تقضَّع بطنه إذا أوجعه"⁴، وأخذت هذه القضية أبعاداً أعمق في التصنيف عند ابن جنِّي الذي ذكر (الألف مع الهمزة) ضمن أصوات الخلق على الرَّغم من أنَّه أكَّد على الفرق بينهما في (سرِّ صناعة الإعراب)؛ حيث يقول عن تلك الألف: "...فأمَّا المدَّة الَّتِي فِي نَحْوِ قَامٍ، وَسَارٍ، وَكُتَابٍ، وَحِمَارٍ؛ فَصُورَتَهَا أَيْضاً صُورَةُ الهمزة المحقَّقة الَّتِي فِي إِبْرَاهِيمَ، وَأَحْمَدَ...إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ لَا تَكُونُ إِلَّا سَاكِنَةً، فَصُورَتَهَا وَصُورَةُ الهمزة المتحرِّكة واحدة وإنَّ اختلفت مخارجها"⁵، علماً بأنَّ هذا الأخير قد أفاد البحث الصَّوتي وأضفى عليه أفكاراً جديدةً لم يتوصَّل إليها علم الأصوات إلا في عصرنا هذا. ففي ثنايا بحوثه نحسُّ بمبلغ القوَّة العلميَّة والدقَّة الفائقة؛ وما يثير إعجابنا وصفه للجهاز الصَّوتي وصف الفيلسوف الحكيم والعالم التجريبي الذي كشف عن الأسرار الصَّوتية، وأنَّها تحتاج إلى دراسة آليَّة كما يقول علماء اللُّغة المحدثون "فقد شبَّه الخلق بالنَّاي (المزمار) وشبَّه مدارج الحروف ومخارجها بفتحاته الَّتِي توضع عليها الأصابع، فإذا وضع الزَّامر أنامله على خروق النَّاي المنسوقة

¹ ينظر: نفسه، ص46.

² عبد الغفَّار حامد هلال، أصوات اللُّغة العربيَّة، ص09.

³ إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغويَّة، ص94.

⁴ الأزهرى، تهذيب اللُّغة، تحقيق: أحمد عبد العليم الجاوي، دط، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والنَّشر، دت، ص78.

⁵ أبو الفتح عثمان بن جنِّي، سرِّ صناعة الإعراب، ج1، ص46.

وراوح بين أنامله إختلفت الأصوات وسُمع لكلّ حرق منها صوت لا يشبه صاحبه¹ وقد أخذه تشبيهه هذا إلى ربط الصّوت بالموسيقى، فحديث ابن جنّي في هذا المجال الصّوتي يُعدّ بصمة في تاريخ الصّوت عند العرب، أفاد منه من بعده من الدّارسين العرب والغرب.

كما قد سار ابن فارس على نهج ابن جنّي ووضع معجماً أسماه (مقاييس اللغة) غير أنّه "بلغ الذّروة في معجمه فعالي في استنباطه...فهو يسوق في معجمه الكلمات الّتي تشترك في أصول ثلاثة، ويشرح معانيها مع ذكر تقلّبات الأصول..."².

إلى أن رمى الجاحظ بسهمه بين السّهام، وتحدث عن الصّوت من خلال فنّ الخطابة، فاهتمّ بطريقة نطق المتكلم ومدى فصاحته من عدمها معتمداً في ذلك على كون "الصّوت آلة اللفظ وهو الجوهر الّذي يقوم به التّأليف والتّقطيع"³.

حتى مجيء ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحروف) و فخر الدّين الرّازي بربطه الجانب النّفسي والشّعوري للدّلالة الصّوتية في كتابه (الفراسة) فهو يعدّ تجربة رائدة في ربط اللّغة بعلم النّفس⁴.

ويأخذنا الحديث الآن إلى طفرة في هذا المجال هو العالم عبد القاهر الجرجاني الّذي نظّر للدّرس الصّوتي و"عني به عناية فائقة قصد الاهتمام بالنصّ القرآني والإبقاء على ما ورد عن النبيّ الكريم متواتراً كما هو في حدود الصّحابة والثّقات"⁵، فضلاً عن هذا نجد الاهتمام و"الشّغف الشّديد بالمرورث الشّعري العربي والمحافظة على عوده وطريقة تشكيله وتركيبه، والحرص على روح اللّغة من اللّحن والأصوات والصّيغ الّتي واجهتها باستمرار"⁶، إذ أنّ عبد القاهر الجرجاني قد أشار في دراسته إلى أصوات حروف المدّ وحركاتها مقراً بأنّ "الحركات أبعاض حروف المدّ

¹ عبد الغفّار حامد هلال ، أصوات اللّغة العربيّة، ص10.

² إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ط5، مكتبة الأجلو المصريّة ، القاهرة، 1984م ، ص67.

³ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين، ج3، تحقيق:عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1969م ، ص157.

⁴ عبد الرّحمن مبروك ، من الصّوت إلى النصّ، ص25.

⁵ ابن الجزري ، تقريب التّشّير في القراءات العشر، تحقيق:إبراهيم عطوة ، ط1، عرض الباب الحلبي، مصر، 1961م ، ص20

⁶ تامر سلّوم ، نظرية اللّغة والجمال في التّقدي الأدبي، ط1، دار الحوار للنّشر والتّوزيع ، سورية ، اللاذقية، 1993م ، ص35.

واللّين"1، أو كما يقول كذلك عن الحركة أنّها "تسلب حروف اللّين مدّها وتمنع الصّوت أن يجري وتثعب اللّسان"2.

وتعتبر كلّ الحروف الّتي تستحيل أصواتا ترجمانا للعقول، وهي تصرّح بالمسكوت عنه الّذي يولد في لحظة الصّمت. ولنا بعد هذه الومضات السريعة أن نستشف مدى إهتمام علماء اللّغة والأدب والنحو والتّجويد بالدلالة الصّوتية، وما تحدّثه هذه الأخيرة من أثر في ذات المتلقّي حين تتحوّل اللّغة الصّامتة (المسكوت عنها) إلى لغة صائتة (منطوقة).

فعاية العلماء الّذين مرّوا بين أيدينا بالدرس الصّوتي أجزمت وأكّدت أهمية القضية، رغم أن وجهتهم لم تكن منصبّة نحو النّص الأدبي ما عدا بعض محاولات الجاحظ، إلّا أنّه علينا ألا ننكر مدى أهميّة هذه الدّراسات التّراثية على صعيد الدّرس اللّغوي الصّوتي؛ قصد فهم أبعاده ومعايره الدّلالية "فعلّ وصولهم إلى بعض الظواهر الصّوتية وأثرها في مستويات التّعبير يُعيننا إلى حدّ كبير على فضّ مغاليق النّص الأدبي من ناحية الصّوت اللّغوي الإيقاعي، وهذه الظواهر تمثّلت في التّنغيم والجره والهمس والشدّة والرّخاوة والجرس الصّوتي والترقيق والتّفخيم والحركات الجسديّة والوقف"3. وهذه الظواهر تعدّ بمثابة التّجوم السّاطعة المزيّنة لسماة النّص. بمختلف الأبعاد والمعاني، وبهذا تكون الدّراسات التّراثية التّبع الّذي نهل منه كلّ متعلّق بهذا الميدان.

ولنا أن نعود الآن ومن جديد إلى الحديث عن مخارج الأصوات في الدّراسات العربيّة القديمة بصفة عامّة، وهذا تصنيف لها عند عبد القاهر الجرجاني نأخذه كمثال، حيث تحصر في الرّاجح إلى (سبعة عشر مخرجا) وهي كالآتي:4

1- مخرج الجوف: وهي لحروف المدّ وهي: الألف والياء السّاكنة المضموم ما قبلها، والواو السّاكنة المكسور ما قبلها.

2- مخرج أقصى الحلق: وهو الهمزة والهاء، ويضاف لها حركة الضمّ.

3- مخرج وسط الحلق: وهو العين والحاء.

1 نفسه، ص20.

2 نفسه، ص23.

3 مراد عبد الرّحمن مبروك، من الصّوت إلى النّص، ص27.

4 الطّيب دبه، مبادئ اللّسانيات البنيويّة_دراسة تحليليّة إستمولوجيّة، دط، جمعيّة الأدب للأساتذة الباحثين، دت، ص166.

- 4- مخرج أدنى الحلق إلى الفم: وهو للغين والحاء.
- و"تسمى هذه الأحرف الستة ء ح ه غ ع خ بالحروف الحلقية"¹
- 5- مخرج أقصى اللسان: ما يلي الحلق وهو القاف.
- 6- مخرج أقصى اللسان من أسفل: مخرج القاف والكاف، ويقال لهما "لهويتان"².
- 7- مخرج الجيم، والشين والياء غير المدية (ي): وتسمى كذلك الشجرية من شجرة الفم، وهو وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، ويضاف لها حركة الكسر "-".
- 8- مخرج الضاد: من أول حافة اللسان وما يليه من أضراس من أحد الجانبين الأيمن أو الأيسر، وقد أهمل هذا الصوت في الاستعمال، وحلّ محله صوت آخر شبيه بصوت (الدال) المفخّمة.
- 9- مخرج اللام: من حافة اللسان من أدناها (أي من أدنى الحافة) إلى منتهى طرفه.
- 10- مخرج التّون: من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا.
- 11- مخرج الرّاء: وهو من مخرج التّون، غير أنّها أدخلت في ظهر اللسان قليلا.
- وهذه الحروف الثلاثة: ل.ن.ر يقال لها الذّلقية؛ نسبة إلى ذلق اللسان وهو طرفه.
- 12- مخرج الطّاء والدّال والتّاء: ويقال لها الحروف الطّعية؛ لأنّها تخرج من نطع الحنك الأعلى وهو سقفه.
- 13- مخرج الحروف الصّفيرية: س.ز.ص ، وتسمى كذلك بالأسلية كونها تخرج من أسلة اللسان، وهي ما دقّ في نهاية اللسان.
- 14- مخرج الطّاء والتّاء والدّال: من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ويقال لها: اللثوية نسبة اللثة وهي اللحم المركب فيه الأسنان.
- 15- مخرج الفاء: من باطن الشّفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.
- 16- مخرج الواو غير المدية والباء والميم: ويقال لها الشفوية، ويضاف لها حركة الفتح.
- 17- مخرج الغنة: وهو للميم والتّون والتّنين"³.

¹ تامر سلوم ، نظرية اللّغة والجمال في التقدّ الأدبي ، ص14.

² ينظر: الطيّب دبه ، مبادئ اللّسانيات البنيوية ، ص166.

³ الطيّب دبه ، مبادئ اللّسانيات البنيوية، ص 166، 167.

فهذا ما ورد في الحديث عن المخارج، فلقد ألمّ الدارسون بجميع المخارج والأصوات الصادرة منها، وصنّفوها كلّ حسب مخرجه؛ لكنّ هذا لا يعني أنّهم اهتموا بالمخارج الفزيولوجية فحسب بل تعدّوا ذلك إلى تصنيف الأصوات حسب صفاتها السمعية مثلما هو الحال عند عبد القاهر الجرجاني أيضاً، وهذا لأكبر دليل عن عمق الدرس الصوتي آنذاك.

بـ وقد خضع هذا التصنيف للصفات إلى "التوزيع الآتي:

1- الجهورية وضمها المهموسة: والهمس من صفات الضعف، كما أنّ الجهر من صفات القوة، والمهموسة عشرة يجمعها قولك: (سكت فحته شخص)، والهمس هو الصوت الخفي. فإذا جرى مع الحرف النفس ضعف الاعتماد عليه، فكان مهموساً، وإذا منع الحرف النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه كان مجهوراً.

2- الحروف الرخوية وضمها الشديدة والمتوسطة: فالشديدة وهي ثمانية: (أجد قط بكت) ، والشدة امتناع الصوت أن يجري في الحروف، وهو من صفات القوة.

3- المتوسطة بين الشدة والرخاوة: خمسة يجمعها قولك: (لن عمر) وأضاف بعضهم إليها الياء والواو.

المهموسة كلها رخوية: ما عدا الكاف والتاء.

الجهورية الرخوية خمسة: الغين، الطاء، الضاد، الذال، الراء.

الجهورية الشديدة ستة يجمعها قولك: (طبق أحد).

وهذه الأصناف الثلاثة ضمها عبد القاهر في تصنيفه ضمن "الصفات العامة"¹.

4- المستفلة وضمها المستعلية: والاستعلاء من صفات القوة وهي سبعة يجمعها قولك: (قظ خص ضغط)، وهي حروف التفخيم على الصواب، وأعلها الطاء كما أنّ أسفل المستفلة الياء وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق ولاشك أنّها أقواها تفخيماً.

5- الحروف المنفتحة وضمها المطبقة أو المنطبقة: والانطباق من صفات القوة وهي أربعة: الصاد والضاد والطاء والظاء.

¹ ينظر: تامر سلوم ، نظرية اللغة والجمال في التقدي الأدبي ، ص 14 ، 15 ، 16.

6- حروف الصّفير: وهي ثلاثة: الصّاد والسّين والزّاي، وهي الحروف الأسيّة المذكورة في التوزيع.

7- حروف القلقلة: وهي خمسة: يجمعها قولك: (قطب جد) وأضاف بعضهم إليها الهمزة؛ لأنّها مجهورة شديدة، وسمّيت هذه الحروف بذلك؛ لأنّها إذا سكّنت ضعفت فاشتبهت بغيرها، فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه التّبرة حال سكوتها في الوقف وغيره، وإلى زيادة إتمام النّطق بهنّ، وأصل هذه الحروف (القاف)؛ لأنّه لا يقدر أن يؤتى به ساكناً إلّا مع صوت زائد لشدّة استعلائه.

8- حرفا الغنة: وهما الميم والنون، ويقال لهما الأغان لما فيهما من الغنة المتصلة بالخيشوم.

9- حروف التفشّي: وهو الشّين اتّفاقاً لأنّه تفشّي في مخرجه حتى اتّصل بمخرج الطاء، وأضاف بعضهم إليها: الفاء والضّاد، وبعضهم الرّاء والصّاد والسّين والياء والتّاء والميم.

10- الحرف المستطيل: وهو الضّاد لأنّه إستطال من الفهم عند النّطق به حتى اتّصل بمخرج اللّام، وذلك لما فيه من القوّة والإطباق والاستعلاء.

وهذه الأصناف السّبعة صنّفها عبد القاهر الجرجاني ضمن "الصفات الخاصة"¹.

11- الحروف المنحرفة: وهي اللّام و الرّاء على الصّحيح، وقيل اللّام فقط وسمّيا بذلك لأنّهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتّصلا بمخرج غيرهما.

12- الحروف المتكرّرة: وهو الرّاء، شديد جرى فيه الصّوت لتكرّره وانحرافه إلى اللّام فصار كالرّخوية، ولو لم يكرّر لم يجر فيه الصّوت"².

أمّا عن هذين الصّنفين الآخرين فكانا ضمن "الصفات المفردة"³ في الرّتبة الثالثة.

ولنا عبر هذه الومضات أن نستشّف ونلمس كذلك الجهد الجهيد الذي بذله علماؤنا ليوصلوا للنّشء بعدهم، نظرتهم وفكرتهم ولمستهم السّحرية التي انطبعت على باب الدّرس الصّوتي، فزودوا المكتبة الصّوتية بمفاتيح كانت بمثابة الرّمز أو الشّفرة التي ولجوا بها باب هذه الدّراسة. ونعود ثانية ونؤكد قضية النّطق بالنسبة لهذه الظاهرة حيث نجد "في الحقيقة علماء فقه اللّغة حين عقدوا علاقة

¹ ينظر: نفسه، ص 17، 18، 19، 20.

² أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994م، ص 84، 85.

³ ينظر: تامر سلّوم، نظرية اللّغة والجمال في التّقّد الأدبي، ص 24، 25.

بين الأصوات، والمقاطع العريية، ومدلولاتها كان ذلك ناشئاً عن هذه الأصوات¹. فأرهابصاتهم الأولى ومنطلقاتهم بدأت من الصّوت كعامل مُحفّز، أو كمُثير خارجيّ حرّك غريزة حبّ الاستكشاف والبحث عندهم. ونتيجة التّأثر تلك عادت بالإيجاب عليهم وعلى من أعقبهم. إذ الإنسان بطبعه مجبول بالفطرة على تقصّي كلّ ما هو جديد، وما الصّوت إلاّ عيّنة من العيّنات التي استرعت إهتماماتهم فانكبوا عليه يتدارسونه.

2- لمحة موجزة عن دراسة الصّوت لدى اللّغويين والنقاد العرب المحدثين:

لقد قاد زورق الدّراسات اللّغوية عند المحدثين العرب العديد من النقاد واللّغويين، وكان ذلك منذ النّصف الأوّل من القرن التاسع عشر فجدفوا في بحر الصّوت اللّغوي بعد مرورهم بالدّراسات اللّغوية القديمة في ترانثنا القديم، وبعض الدّراسات اللّغوية الأوروبية، ولم تكن دراساتهم تضرب في العمق، إنّما مسّت الظاهرة الصّوتية بكلّ لطف ورفق.

فجدد الشّدياق يشير إلى العلاقة بين الصّوت والمعنى بانّيّا ذلك على أساس محاكاة صوت الإنسان للطّبيعة، وتكلّم عن الحرف وما يرمز إليه من معنى "فمن خصائص حرف الباء السّعة والانبساط نحو اليراح والأبطح... ومن خصائص حرف الدّالّ اللين والتّعومة والغضاضة نحو الفرهد والأملود، والميم القطع والاستئصال والكسر نحو: إرم، حسم، حلقم، خضم..."² إلى غير ذلك. ومن الواضح أنّ الشّدياق تحدّث عن الدّلالة الصّوتية المفردة للحرف اللّغوي دون أن يُعنى بالدّلالة الصّوتية في النّسق الكلّي للجملّة أو النّص.

ويكمل جرجي زيدان المسيرة في الدّرب، وذلك بحديثه عن المستوى الدّلالي للصّوت اللّغوي "إذا كان الحرف عند الشّدياق يرمز للكلمة فإنّ الحرف الزائد عن الحرفين الأصليين في الكلمة عند زيدان يؤدّي إلى تنوّع المعنى الأصلي"³، وهذا ما قام بدراسته ابن جني وغيره.

إلا أنّ الدّومنيكي يرى أنّ أصول أيّ كلمة عربيّة أو ساميّة تتكوّن من أصل ثنائي... ويكرّر العلايلي ما ردّده أحمد فارس الشّدياق من حيث العلاقة بين الحرف والمعنى، فيرى أنّ لكلّ حرف

¹ حسني عبد الجليل يوسف ، التمثيل الصّوتي للمعاني _دراسة نظريّة و تطبيقية في الشّعْر الجاهلي، ط1، الدّار الثقافيّة للنشر، القاهرة 1418هـ/1998م، ص19.

² مصطفى مندور، اللّغة بين العقل والمغامرة ، دط ، منشأة المعارف الإسكندرية ، مصر ، 1974م . ص118.

³ مراد عبد الرّحمن مبروك ، من الصّوت إلى النّص، ص37.

معنى، وهو بذلك يقف أيضا عند الصّوت منعزلاً عن السّياق، وبالتالي تصبح الدّلالة الصّوتية غير ثابتة، وتظلّ محاولات العلايلي ناقصة لأنّها "اقتصرت على الدّلالة الصّوتية المفردة بعيداً عن السّياق"¹ فكلّما كانت الدّراسات بعيدة وغير ملائمة للسّياق، عاد ذلك بالسّلب على الدّراسات الصّوتية.

ويأتي العقاد بعد ذلك ويتفطن للنقص السّابق فيقرن بين الحرف والدّلالة، رابطاً دلالة الصّوت وتغيّر تأثيره تبعاً لتغيّر موقعه في الكلمة، ولكنّه لو تحدّث عن تغيّر موقعه في الجملة أو النّص لكان أجدى وأنجح، فتظلّ محاولاته أيضاً محصورة في دلالة الصّوت بعيداً عن السّياق، وبالتالي تصبح المعايير غير موضوعية.

ولقد أمسك طرف المخذاف وغير الضّفاف في هذا المجال نخبة من أساتذة جامعيين، إذ أكملوا المسيرة فتداولتها ألسنتهم وجرت بها أقلامهم، فكانت أفكارهم حول التّأثير الصّوتي منيرة، وكلّها تناولت الدّراسة الصّوتية من المنظور اللّغوي العامّ، والنّزر القليل منها "هو الذي عُني بالمؤثرات الصّوتية في النّص المكتوب وبخاصّة النّص الشعري"²، ورغم ذلك يجدر بنا القول أنّ "الدّراسات الصّوتية بدأت تنفتح على اللّغة الأدبية المكتوبة"³، وتدرّسها دراسة لغويّة صوتيّة. بدى هذا واضحاً من خلال الأعمال التي برزت في الآونة الأخيرة، منها التّطبيقية والتّنظيرية إمّا على الشعر أو على القصّة أو المسرحيّة مثل: دراسة الدّكتور محمد عوني عبد الرّؤوف "والتّي عني فيها بالعلاقة بين القافية والأصوات اللّغوية، أو لنقل أثر المؤثرات الصّوتية اللّغوية على القافية"⁴، وكذلك دراسة الدّكتور سعد مصلوح والدّكتور كريم حسام الدّين في كتابه (الدّلالة الصّوتية)، إذ أشار فيه إلى أهميّة دراسة الرّواية والمسرحيّة والمسلسلات الإذاعيّة.

وهناك دارسون آخرون تفتّنوا للدّراسة الصّوتية وما لها من أهميّة بالغة على الصّعيد اللّغوي وكذا داخل جسد النّص الأدبي المكتوب من شعر وقصّة... إلى حين إدخال الوسائل الحديثة في تشريح الصّوت الإنساني كما هو الحال عند د. إبراهيم أنيس في كتبه (الأصوات اللّغوية، من أسرار

1 نفسه ، ص39.

2 نفسه ، ص40.

3 نفسه ، ص41.

4 ينظر: مراد عبد الرّحمن مبروك ، من الصّوت إلى النّص ، ص43.42.

اللغة، دلالة الألفاظ)؛ حيث نجده "قسّم الأصوات مخبرياً إلى مجهزة ومهموسة، وشديدة ورخوة، وساكنة ولينة معتمداً على المقاطع الصوتية"¹، لكن رغم هذا ما يزال البحث عاجزاً أمام المؤثرات الصوتية وأثرها في النصّ القرآنيّ، إذ لم تدرس قدر الكفاية؛ لذا عليها أن تلتحم وتتضافر مع أبنية النصّ الأخرى لتكون جسداً وتنفخ فيه من روحها إن أمكن.

أوتجدر الإشارة ههنا إلى مخارج الأصوات وصفاتها عند المحدثين ، فلقد كان تحليلهم تحليلاً علمياً عن طريق المخابر الصوتية والآلات الجدد حساسة، مما زاد الدرس الصوتي حلاوة وإثارة، فكان تصنيفهم حسب "تمثيلهم بحروف اللسان العربي"² على النحو الآتي:

1_ الشفوية المزدوجة (bilabiales) وهو مخرج الباء والميم والواو وحركة الضم.

2_ الشفوية الأسنانية (labiodantales) وهو الفاء.

3_ بين الأسنانية (inter dentales) وهي الظاء والثاء والذال.

4_ الأسنانية اللثوية (apicales alveolaires) وهو الضاد والذال والطاء والثاء والسين والصاد والزاي.

5_ اللثوية المائعة (avialairs liquides) وهو اللام والراء والتون.

6_ الحنكية الأمامية (prépalatales) وهو الشين والجيم والياء وحركة الكسر.

7_ الحنكية الخلفية (poste palatales) وهو الكاف.

8_ اللهوية (velaires) وهو القاف والغين والخاء.

9_ الحلقية (pharyngales) وهو العين والحاء.

10_ الحنجريّة (laryngales) وهو الهمزة والهاء وحركة الفتح"³.

ب_ فهذا بالنسبة لما ورد عن مخارج الأصوات أمّا عن صفاتها فنجدها تتحدّد

وتنوّع (كالاتي):

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص 21.22.23.24.

² الطيّب دبه ، مبادئ اللسانيات البنوية، ص 168.

³ أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات، ص 87.

1_ الأصوات الشديدة الانفجارية (occlusive): يتحدّد وصف هذه الصّفة انطلاقاً من معاينة حدوث الصّوت الذي ينسدّ فيه الهواء بفعل حاجز عضويّ، ثمّ فجأةً ينفرج فيحدث انفجاراً. هذه الصّفة هي للحروف الآتية: (ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، ذ، ج)، وسمّيت عند كمال بشر "بالوقفات الانفجاريّة، وهي أن يُحبس مجرى الهواء الخارج من الرّئتين حبساً تامّاً في موضع ما، ثمّ ينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يُضغظ الهواء، ثمّ يُطلق سراح المجرى الهوائي فجأةً؛ فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً" ¹.

2_ الأصوات الرّخوية أو الاحتكاكيّة (Fricatives): "وهي الأصوات التي لا ينغلق فيها مجرى الهواء انغلاقاً تامّاً عند النّطق بها؛ بل يضيق نسبياً إلى درجة أنّ خروجه يحدث احتكاكاً مسموعاً" ² وهذه الصّفة هي الحروف التّالية: (س، ز، ص، ش، ث، ظ، هـ، غ، ع، ح، خ).

3_ الحروف البينيّة (بين الرّخاوة والشّدة)، والجرسيّة (Sonantes): وهي الحروف التي يكون فيها الحاجز أمام مرور الهواء أخفى ما يمكن، بحيث تشبه الحركات التي يمرّ فيها الهواء بلا اعتراض وهي: (ل، ن، م، ر، و، ي)، ويلاحظ أنّ حرف (ع) الذي يعدّه القدماء بينيّاً أصبح اليوم في اعتبار الحديثين رخواً.

4_ الحروف الشّديدة الرّخوة (Offriquées): وهي الحروف التي تبتدئ شديدة وتنتهي رخوة، وتكون تأديتها مركّبة مثل: الجيم التي ينطق بها (د. ج)، أو الشّين التي ينطق بها (ت. ش) بحيث تحتوي على جزء شديد في أوّلها ثمّ تنتهي رخوة.

5_ الحروف المائعة (liquides): وهي الحروف التي يتمّ فيها اعتراض الحاجز للهواء دون أن يحدث احتكاكاً أو صفيراً مثل: (راء، اللّام والنّون في العربيّة).

6_ الأصوات الأنفيّة (الخيوميّة) (Nasales): وهي (الميم والنّون) بحيث تمرّ من الأنف "فعند إصدار الأصوات يُحبس الهواء حبساً تامّاً في موضع من الفم، ويُخفض الحنك اللّين (Soft Palate)، فيصعد الهواء عن طريق الأنف" ³.

¹ كمال بشر، علم الأصوات ، ص 297.

² نفسه ، ص 348.

³ كمال بشر، علم الأصوات ، ص 348.

7_ الأصوات المجهورة (Soureles): وهي الأصوات التي يصاحبها اهتزاز في الوترين الصوتيين، إذ يحدث ما يسمّى بالذبذبة (Vibration)، وهي في العربية: (ب.ج.د.ذ.ر.ز.ض.ط.ع.غ.ل.م). وتضاف إليها (الواو والياء).

8_ الأصوات المهموسة (Sourdes): وهي الأصوات التي لا يصاحبها اهتزاز في الوترين الصوتيين وهي في العربية (س.ك.ن.ف.ح.ث.هـ.ش.خ.س.ص.ق.ط)، ويلاحظ أنّ الحرفين (ق.ط) كانا يعدّان مجهورين في التصنيف العربي القديم لكن أصبح يعتبرهما المحدثون مهموسين.

9_ التّفخيم والترقيق: هما أثران صوتيان يصاحبان بشكل تناوبي نطق صوتي (اللّام والرّاء) "إثر عوامل فيسيولوجية متداخلة أهمّها: أ- ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك. ب- رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع"¹. ويتم ذلك تبعاً لظروف السياق الوارد فيه كلّ من الحرفين السابقين وهناك أصوات يلازمها التّفخيم مثل: (ص.ط.ظ.ض.ق.غ.ح)، وما سوى ذلك فهو مرقّق.

10_ الإطباق (Velorisation): تحدث هذه الظاهرة الصوتية حينما يرتفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى (الطبق)، والأصوات المطبقة في اللسان العربي هي: (ص.ض.ط.ظ)، إذ الإطباق فيها يعتبر صفةً تمييزيةً؛ حيث لولا الإطباق لصارت (الطاء دالا والصاد سينا).

11_ الانخفاض والاستعلاء: المستعليّة في اللسان العربيّ كما هو محدّد في تصنيف القدامى هي: (ص.ض.ط.ق.خ.غ) وما سواها فهو منخفض)².

فهذا بالنسبة للتصنيف حسب الصفات عند المحدثين، إلّا أنّه هناك كذلك من قسّم الأصوات اللغوية إلى زمرتين: "زمرّة الأصوات الصّائتة (Voyelles)، وزمرّة الأصوات الصامتة (Consonnes)"³ هذا بالنسبة لإبراهيم أنيس إذ يُقرّ متحدثاً عن الأساس في هذا التصنيف قائلاً: "وأساس هذا التصنيف عندهم هو الطّبيعة الصوتية لكلّ من القسمين"⁴. ويمكننا كذلك تسمية القسم الثاني: بالأصوات الساكنة، أمّا الأوّل: فأصوات اللين"⁵.

1 نفسه، ص 394.

2 الطّيب دبه، مبادئ اللّسانيات البنيويّة، ص 169، 170.

3 إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 26.

4 نفسه، ص 27.

5 عبد الغفّار حامد هلال، أصوات اللّغة العربيّة، ص 111. 112. 113. 114.

فالفصفة الجامعة بين أصوات اللين هي أنه عند التطق بما يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة آخذاً مجراه في الحلق والفم ضمن ممر لا يجبس فيه النفس دون ضيق أو اعتراض، إذاً فالصفة المميزة لأصوات اللين هي "كيفية مرور الهواء من الحلق والفم والخلو من الموانع"¹. في حين أن الأصوات الساكنة فيها أمران اثنان:

1- إما أن ينجبس معها الهواء انحباساً تاماً إلى غاية ذلك الصوت الانفجاري.

2- أو يضيق مجراه فيحدث صوتاً مثل: الصفير... إلخ. كما أن هؤلاء "المحدثين قد لاحظوا من خلال هذا أن الأصوات الساكنة أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين"².

لقد ترك كل واحد من اللغويين والنقاد العرب المحدثين الذين مروا بين صفحات بحثنا بصمتهم ونظرهم، وذلك بدراستهم للصوت وما يتعلق به من ظواهر لغوية وطبيعية... إلى غير ذلك، وطرقوا مواضع حجة أفادت الدرس اللغوي وأثرته، وزرعت بذلك الفسيلة التي أنتجت بجوثاً نظريّة وتطبيقية أخرى.

3- جوهر الدراسة الصوتية ومزاياها:

لقد سطع نجم الدراسة الصوتية في سماء العلم والأدب، وتألأت مضامينه وانقشعت الغمامة من حوله، حيث تناوله الدارسون من كل حدب، فالدراسة الصوتية ذات قيمة حيوية كبيرة تخدم اللغة والمجتمع على السواء، تربعت على عرش الصعيد اللغوي دراسة مختلف ظواهره، كدراسة الأصوات بمختلف أنواعها (المجهورة والمهموسة)، والأصوات (الصامتة والصائتة)، ودرسوا (الجهاز النطقي) الناقل لهذه الأصوات. ومن الصوت كعلم تفرّعت عدّة دراسات علمية واقعية أخرى أهمها:

علم الأصوات النطقي والسمعي - علم الأصوات "الأكوستيكي"^{*}. ومن ذلك الذبذبة الصوتية، الموجة الصوتية، كيفية حدوث الصوت الإنساني ومخارجه...

فدراسة الأصوات "مهمة جداً لصرف اللغة ونحوها، فالأبواب الشكلية أصواتية تنغيمية، وإن كانت هناك أبواب عامة نحوية في طبيعتها كالجملة المؤكدة وغير المؤكدة، والطلب، والتمني،

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 27.

² نفسه، ص 27.

^{*} علم الأصوات الأكوستيكي يقصد به هنا الدراسة الفيزيائية للصوت كما سنراها في الفصل الثالث (الكتابة الفيزيائية).

والتقدير والاستفهام... ولا يمكن دراسة الصّرف دراسة صحيحةً إلاّ بالاعتماد على الوصف الصوتي، فدراسة الأصوات هي المقدّمة الأولى لدراسة تركيب الكلمات (Morphology) أو دراسة الصّرف بمعناه الخاص¹.

نلمس ظاهرة ربط الصّوت بالنحو عند الأقدمين، فقد اجتهدوا في هذا الميدان أيّما اجتهاد، رغم ما شهدته دراساتهم من قصور في بعض الأمور، فهم لم يعتبروا دراسة أصوات اللّغة قسماً من أقسام النّحو الكبرى كما يفعل الغربيّون "فالنّحو في رأيهم ناقص بدون دراسة الأنماط التنغيمية"². فالدراسة الصوتية ذات صلة وثيقة بالدراسة المعجمية، لكون هذه الأخيرة مبنية على أصوات اللّغة العربية لذلك كان لازماً على المعاجم "الاستعانة بالأصوات؛ ولذا فمقدّمات معظم المعاجم العربيّة تحوي معلومات عن أصوات اللّغة العربيّة، ممّا يدل على حاجة هذه الدّراسة إلى الأصوات"³ فهي تخدمها بشكل كبير، إذ نجد كذلك تشابكاً بين المعاني والأصوات، وبين الحروف والكلمات، وذلك لاعتماد المعنى في كثير من الأحيان على الطّريقة الصوتية كالنّبر والتّلوين الموسيقي وهنا نجد ابن جنّي: "قد حاول الرّبط بين الأحاديث وأصوات الحروف فيما سمّاه "يامساس الألفاظ أشباه المعاني"⁴، وترتيب أصوات الحروف وفق الأحداث المقرّ بها عنها. وهذا لأكبر دليل على شغف العلماء وولوعهم بكلّ ما هو مثير للحفيظة والانتباه.

مسّت الدّراسة الصوتية ميدان الاجتماع (الجانب الاجتماعي) انطلاقاً من كون اللّغة ظاهرة اجتماعية "فحياة اللّغة تقوم على حياة أصواتها وإجادة نطقها"⁵، فهي كمسار للحياة وبها يعبر كلّ قوم عن حاجاتهم وأغراضهم وذلك يحدث بالتّواصل، فيصوّتون كلّ صامت لتأديّة وظيفة محدّدة. كما أنّها قد تكون مهمة لوسائل الإعلام إذ "يجب على المشتغلين بالصّحافة وأجهزة الإعلام المسموعة والمرئية أن يكونوا على دراية واسعة بطريقة نطق الأصوات اللّغوية، فهم ذووا تأثير واسع

¹ عبد الغفّار حامد هلال ، أصوات اللّغة العربيّة ، ص15.

² نفسه ، ص15.

³ نفسه ، ص16.

⁴ ينظر: أبو الفتح عثمان بن جنّي ، الخصائص، ج1 ، تحقيق: محمد علي النجار، دط ، عالم الكتب، بيروت ، ص152.

⁵ عبد الغفّار حامد هلال ، أصوات اللّغة العربيّة ، ص16.

على المستوى الثقافي والشعبي... والجماهير تتلقف الأصوات منهم ثم تقلدها... وعن طريق دراسة علم الأصوات يمكن التمثيل والإيقاع حسب الحزن أو الفرح أو غيرهما من مقتضيات الكلام"¹. كما اكتسحت الدراسة الصوتية مجال الإعلام والتعليم فقد أفاد منها مهندسو الصوت، وكذا معلّمو الصّم البكم، قصد علاج بعض العيوب التطقية أو تعليم اللغات للأجانب. ضف إلى أنّها تستعمل في مجال الحروب وتلقبها الجيوش "بحرب الأصوات"²، وهذا خاصّة في البحار وفق "طريقتين رئيسيتين: أولاهما: وضع الإصغاء بالتقاط التوتّرات الصوتية التي تثيرها تلقائياً سفينة حربيّة أو غوّاصة في اتجاه مصدر الصوت دون مسافة. ثانيهما: تتلخّص في إرسال إشارة صوتيّة في اتجاه معيّن ودراسة صداها وفق موجات صوتيّة ذهاباً وإياباً"³. وبعد هذه الإطلالة السريعة على الصوت ومزاياه، نجد جذوره قد تأصّلت في كثير من الميادين، ممّا يؤكّد ويعزّز دوره وفعالّيته فيها.

المبحث الرابع: الجمال في القرآن الكريم

1_ مدلول الجمال في القرآن عند سيّد قطب:

الجمال في القرآن الكريم منقطع النظير، إذ أنّك بين طيّاته تلمس عظمة الخالق جلّ وعلا، فكلّ حرفٍ وكلّ لفظٍ وكلّ معنى يجعلك تتعلّق بهذا الكتاب المعجز. فيه الهمس والجهر في الترتيل والتجويد، ومن بين الذين انبهروا بالجمال القرآنيّ الربّانيّ وعكفوا على دراسته والتفنّن في عشقه سيّد قطب؛ فنظرته لها ديدن خاصّ، فقد حوى كتابه (التصوير الفنّي في القرآن الكريم) عنواناً مهمّاً وسمه باسم "وجدت القرآن"⁴. وعلى ضوء هذا العنوان حدّثنا عن بدايات تعلّقه وحبّه و تذوّقه للقرآن، وهذا لما له من صبغة جماليّة انطبعت في نفسه منذ نعومة أظافره، إذ يوضّح قائلاً:⁵ "لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير، لا ترقى مداركي إلى آفاق معانيه، ولا يحيط فهمي بجليل أغراضه، ولكنني كنت أجد في نفسي منه شيئاً. لقد كان خيالي الساذج الصّغير يُجسّم لي بعض

¹ عبد الغفّار حامد هلال، أصوات اللّغة العربيّة، ص 17.

² مجلّة روضة الجندي، الناشر: المركز الثقافي للإيصال والإعلام والتوجيه، مطبعة العاشور للجيش، العدد 279، جانفي 2003م، ص 22.

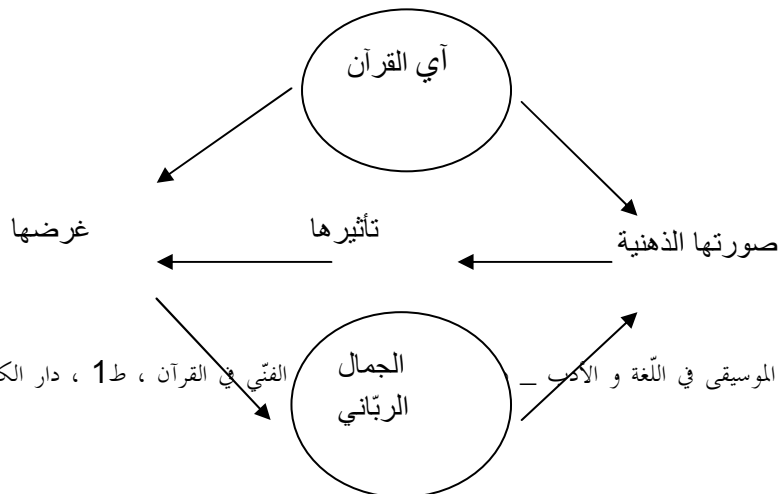
³ نفسه، ص 23.

⁴ سيّد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، دط، دار الشروق، القاهرة _ طبعت مختلفة (محمّل من الموقع الإلكتروني):

www.al_mostafa.com، ص 07.

⁵ سيّد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، ص 07.

الصّور من خلال تعبير القرآن، و إنّها لصور ساذجة و لكنّها كانت تُشوّق نفسي وتلدّ حسّي"، وهذا لدليل قاطع على أنّ سيّد قطب وجد حقّ القرآن بجماله وجلاله، وتّضح صورة هذا الجمال في كبره حينما بدأ يفهم كُنّه ما يقرأ و يعي كلّ ما يسمع، وعكف على دراسته وهو في طور النّضج والفهم معبراً عن ذلك في حديثه "وعُدتُ إلى القرآن أقرؤه في المصحف لا في كتب التّفسير، وعدت أجد قرآنيّ الجميل الحبيب وأجد صُوريّ المشوّقة اللذيذة، إنّها ليست في سذاجتها التي كانت هناك، لقد تغيّر فهمي لها فعُدت الآن أجد مراميها و أغراضها و أعرف أنّها مثلٌ يُضربُ لا حادثٌ يقع، ولكنّ سحرها ما يزال و جاذبيتها ما تزال، الحمد لله لقد وجدت القرآن"¹، لقد خرج سيّد قطب من بوتقة الفهم الساذج الطّفولي إلى فهم الوعي والإدراك، فيه الكبر ولكلّ مرحلة عمرية وقعها وجمالها لديه، ومن هنا بدأت رحلته مع القرآن الكريم وكتاباته عن القرآن" فلقد تجاوز سيّد قطب في كتابه (التّصوير الفني في القرآن) المضامين النّصيّة و الفقهيّة، والدينيّة وأغراض الدّعوة الإسلاميّة إلى حدود الجمال الفنّي في نصوص القرآن الكريم، معتمدا على رؤيته الخاصّة المتمثّلة بأنّ القرآن جعل الجمال الفنّي أداة مقصودة للتأثير الوجدانيّ، فيُخاطبُ حاسة الوجدان الدينيّة بلغة الجمال الفنّي ليرز جماليّات الصّور والأوزان والمفردات في الآيات القرآنيّة، بل اعتبر مدلول الجمال الفنّي في القرآن الكريم عنصراً قائماً بذاته"². وهذا راجع إلى العبارات التي نقرأها في آي القرآن والمعاني التي تصوّرها هذه الأخيرة، والمشاهد التي ترسمها؛ فكلّ آية تستدعي الوقوف أمامها بإجلال وإكبار وهذا لما فيها من تصويرٍ جميلٍ حسب الغرض والمقصد و نوضّح قولنا في التّرسّيمة الآتية:



¹ نفسه ، ص08.

² محمد عبد الله الهبّاد ، الموسيقى في اللّغة و الأدب - الفنّي في القرآن ، ط1 ، دار الكتاب الحديث، القاهرة ،

من خلال هذه الترسمة نجد إسقاطات متتالية حول ما قيل إذ أن الآيات القرآنية هي ما نسلط عليها عدساتنا، فبمجرد سماعها أو قراءتها تنطبع في مخيلتنا صورة ذهنية مؤثرة حسب غرضها ومقصدها، وكل ما قيل ينصب في معنى واحد ألا وهو الجمال القرآني، فإذا تأملت قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُهُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الرعد، الآية 04﴾، تلمس تصويراً يغلب عليه التناسق الرباني. بمجرد قراءتنا لها وتخيّلنا وفهمنا لمعانيها "فهذا المشهد قديم مكرور، تمرّ عليه العيون في غفلة والنفوس، ولكنه يُعرض هنا كأنه جديد، وإته لكفيل حين تتملّاه العين أن يوقع في النفس تأثراً وجدانياً خاصاً، فهذه القطع المتجاورات من الأرض مختلفة في النبات، لا بل إن النوع الواحد من النبات ليختلف في الأشكال فمزدوج ومنفرد، وجميعه يُسقى بماء واحد، ولكن تختلف طعومه في الأكل... وهذه اللوحة الطبيعية التي يوجه إليها الأنظار، لتراها بالبدهة الملهمة والحسّ البصير، بعد أن تتملّأها الأبصار"¹، وما المثل الذي سقناه إلا قطرة من بحر، لا يُدركها إلا من يقرأ القرآن بقلبه ويُترجمه في عقله، وهذا لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿سورة الكهف، الآية 109﴾.

2_ جمال اللفظ والمعنى القرآني:

لقد اعتنى العرب عنايةً بالغةً باللفظ و معناه، فكلٌّ منهما له علاقة وطيدة بالآخر، الألفاظ تعتبر أوعية للمعاني، والمعنى روح اللفظ والقلب النابض بداخله "إذا رأيت العرب قد أصلحوا

¹ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 67.

الألفاظ وحسنوها وحمّوا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها* وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي الألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني¹، وهذا كله ليستلذها السمع ويقبلها العقل. وكلما كان اللفظ جميلاً أسَرَ النَّفس، ووقع معناه كالسهم على الهدف. وهذه الرؤية الجمالية تختلف من نصّ لآخر، ومن قارئ لآخر، ومن دارس لآخر. فما بالك لو تعلّق الأمر بالنصّ القرآنيّ بألفاظه ومعانيه فهنا تختلف الرؤية الجمالية؛ لأنّ الأمر يتعلّق بكلام الخالق البارئ، وكلّ لفظٍ ينضوي تحته معنى خاصّ حسب السياق أو الدلالة. "و الجمال القرآنيّ متكامل من حيث الانسجام بين الشكل والمضمون فيه. وهو لا يقدم شكلاً فارغاً، بل إنّ ما فيه مُسخر في نهاية الأمر لرفع مستوى الوعي الجماليّ، ومن ثمّ لتحقيق الهداية، ومنّ يقرأ آياته يدرك أنّ الشكل يحتوي المضمون ويتّحد به، بحيث لا ينفصمان"². فالمقصود بالشكل هنا اللفظ، والمضمون هو المعنى فكلّ منهما مُصاحب للآخر. "لذا ارتكزت معاني القرآن الكريم على إبراز الجمال والزينة في خلقه تعالى"³ لقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الكهف، الآية 07. وكذا قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ

بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ ق، الآية 06. فما أجمل آيات القرآن وما أجمل معانيها والنظر في هذه الآيات هو سبيل من سبل الاستدلال على وجود الله عزّ وجلّ، وعلى كمال قدرته وبديع صنعته، كذلك فإنّ تنمية الإحساس الجماليّ لدى الإنسان المؤمن هي تنمية ملكات الطاقات التي أنعم الله بها على الإنسان"⁴.

القرآن هو الصّراط الذي تصل عبره إلى تذوّق الجمال والإحساس به من خلال مفرداته ومعانيه وما فيه من أسرار ربّانية. "كما تنبّه الباحثون في القرآن الكريم إلى دور الألفاظ المفردة في تصوير الجوّ العامّ والمناخ النفسي من خلال الأصوات والحروف التي تنبعث منها موسيقى تتوافق

¹ أبو الفتح عثمان بن جنيّ، الخصائص، ج 1، تحقيق: محمد علي النجار، دط، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دت، ص 217.

* هو إستعارة من غروب الأسنان، أي أطرافها، واحدها غرب بفتح الأول وسكون الثاني.

² أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الاعجاز والتفسير، ص 18، 19.

³ أحمد عبد الله الهباد، الموسيقى في اللّغة و الأدب _ دراسة في كتاب التصوير الفني في القرآن، ص 84.

⁴ نفسه، ص 85، 86.

مع حركة النفس الداخلية¹. ومردُّ هذا كله إلى جمال المعنى المزروع داخل اللفظ الجميل، فكلما كان اللفظ جميلاً برز عبره الجمال الحقيقي للمعنى، و"اجتماع المفردات في الجمل والعبارات بطريقة منتظمة تُكسب الكلام جرساً موسيقياً جميلاً يمكن له أن يحقق دلالة معينة، وبالتحديد فإن الإيقاع الموسيقي يساعد على إكساب المعنى المراد تحقيقه صفة صوتية تظهر الجوهر العام للمعنى"²، فتتحقق ازدواجية الجمال بين اللفظ والمعنى إذ لا غنى لأحدهما عن الآخر. والموسيقى الداخلية المنبعثة من اللفظ توجَّح أكثر المعاني وتجعلها سهلة لمن يقرأها.

3- موسيقى اللفظ القرآني عند سيّد قطب:

إنَّ المستمع والقارئ لآيات القرآن التي تنطق بسحر وجمال لا يضاهيه جمال، فيها من التأثير ما له مسببات أهمها: موسيقى اللفظ القرآني بحروفه وحركاته ومدوده ووقفاته وسكنته، فمن يُلقني "سمعه إلى هذه المجموعة الصوتية الساذجة يشعر في نفسه ولو كان أعجمياً لا يعرف العربية؛ بأنّه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب، يفوق في حسنه وجماله كل ما عُرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر؛ لأنّ الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملّها... بينما سامع القرآن لا يسأم ولا يمل؛ لأنّه يتنقل فيه دائماً بين ألحانٍ متنوّعة وأنغامٍ متجدّدة على أوضاع مختلفة، يهزّ كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفتدة"³. القرآن هو الجسد الذي تحيا بداخله اللفظة وتتجدد تجدد الماء بالغدير، فيزداد تأثيرها كلما قرأها. إذ يقع صوتها في الأذن كما لو أنّها تُقرأ لأول مرة، ولهذا أمرنا الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَرَتَّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل، الآية 04. لأنّ قراءة القرآن بصوت جميل يُكسب اللفظة نوعاً من الخصوصية، فكلّ

لفظة تنفرد عن الأخرى في موسيقاها و معناها. وهو ما أشار إليه سيّد قطب، فقدّم بعض الأمثلة لألفاظ واردة في القرآن وما تُحدثه من موسيقى خارجية وداخلية لدى سماعها فتسمع الأذن كلمة (أناقلتم) في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ

¹ عبد الهادي صافي، مقالات في بلاغة القرآن الكريم، ط 1، دار الإرشاد للنشر، حمص، التاعورة، 2010م، ص 41.

² صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية - دراسة لسانية، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م، ص 76.

³ كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، ص 150.

الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ التوبة، الآية 38. فيتصوّر الخيال ذلك الجسم المثقل، يرفعه الرفعون في جهد فيسقط من أيديهم في ثقل، إن هذه الكلمة (طن) على الأقل من الأثقال، ولو أنك قلت: تناقلت لِحَفّ الجرس، ولضاع الأثر المنشود، وتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها اللفظ، واستقلّ برسمها¹. كل لفظ قرآني لم يوضع في مكانه عبثاً، بل يحمل في جعبته الكثير من الطّلاسم التي لا يفكّها إلّا المتدبّر في القرآن والمتلذذ لحروفه وكلماته. كما ضرب لنا سيّد قطب² مثالا آخر يظهر فيه تنوع الجرس الموسيقي واستقلالته وخصوصيته فـ "من الأوصاف التي اشتقها القرآن ليوم القيامة: (الصاخّة) و(الطامة) و(الصاخّة) لفظة تكاد تحرق صماخ الأذن في ثقلها و عنف جرسها، وشقّه للهواء شقاً، حتّى يصل إلى الأذن صاخّاً ملحاً، و(الطامة) لفظة ذات دويّ و طنين، يُخيّل إليك بجرسها المدوّي أنّها تطمّ و تعمّ، كالطوفان يغمر كل شيءٍ ويطويه، ضَع هذه الألفاظ بجوار ذلك اللفظ المُشرق الرّشيق (تنفّس) (والصّبح إذا تنفّس)، تجد الإعجاز في اختيار الألفاظ لمواضعها ونهوض هذه الألفاظ برسم الصّور على اختلافها". فإذا كانت الآيات بصدد الترهيب و الوعد و الوعيد جاءت الألفاظ موحيةً بذلك السيّاق في جرسها وشدّة مخارجها فتحسّ وكأنّ اللفظ فيه نوع من العقاب اللفظي أو الوعيد أو الرّجر، أمّا إذا كانت الآيات تتحدّث عن الجنة و عن المآب الحسن، والعمل الصّالح، وعن المظاهر الكونية أتت اللفظة على إثرها مُنساقة طائعةً لينة لا خُشونة فيها ولا زجر، فالمتدبّر لأيّ القرآن يحسّ بكلّ التقلّبات فيه و يلمس التّغير الموسيقي لللفظ من موضع لآخر، وهذا سرّ من أسرار الكلام الرّباني فهناك "نوع آخر من تصوير الألفاظ بجرسها مثلما يبدو في سورة الناس، الآيات 1، 2، 3. إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ اقرأها متواليّة تجد صوتك يُحدث (وَسَوْسَةً) كاملةً تُناسب جوّ السّورة، جوّ وسوسة الوسواس الخناس الذي يُوسوس في صدور الناس"³. فكلما ضُرب مثل من القرآن عن أيّ لفظة كانت، نجد بأنّها مشحونة بإيقاعات موسيقيّة خاصّة خصوصيّة القرآن الكريم وهذا كلّه يوحى بعظمة هذا الكتاب المعجز المتزّه عن كلّ تحريف وتغيير.

¹ سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، ص 91-92.

² نفسه، ص 93-94.

³ نفسه، ص 94.

4_الوزن الإيقاعي في القرآن عند سيد قطب:

أ- الإيقاع لغة: يعتبر الإيقاع أيضا من القضايا الصوتية الهامة، وذلك لما يحمله من شحنات تؤثر في المتلقي، ولقد ارتبط في القديم بالشعر ثم النثر، فجاء في القاموس المحيط أن الإيقاع "إيقاع ألحان الغناء وهو أن يوقع الألحان ويبيّنهما"¹، وفي اللسان: "الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو كذلك أن يوقع الألحان ويبيّنهما وسمى الخليل رحمه الله كتاباً من كتبه في ذلك المعنى: كتاب الإيقاع"². ومن الملاحظ والمستشف من هذين التعريفين أنّهما ربطا الإيقاع باللحن والغناء.

ب- اصطلاحاً: هو "تنظيم لأصوات اللغة بحيث تتوالى في نمط زمني محدد، ولا شك أن هذا التنظيم يشمل في إطاره خصائص هذه الأصوات كافة"³، والإيقاع أيضا "حركة النغم الصادر عن تأليف الكلام المنثور والمنظوم، والنتائج عن تجاور أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، وعن نسق تزواج الكلمات فيما بينها، وعن انتظام ذلك كله..."⁴.

فاللغة العربية معيّناتها لا ينضب و دارسها لا يكلّ ولا يتعب، لما لها من عذوبة وسلاسة ووقع خاصّ على النفس "فالعربية من أغنى اللغات البشرية إطلاقاً بالإيقاع الذي يجعلها لغة شعرية بالطبيعة ويمنحها قدرة خارقة على إنتاج العناصر الصوتية، فإذا شعرها لا يختلف كثيراً عن نثرها الفني الرفيع النسيج"⁵، ولما كان الإيقاع أسراً للنفس بموسيقاه ونغمه الصوتي، كان لزاماً على النفس الانقياد والانصياع له، وذلك لما يبعثه فيها من سكينه وارتياح؛ فتطرب وترقص مع المعاني الجميلة وتخزن وتأسف للمعاني الحزينة، فيظهر هذا التأثير جلياً على المتلقي، قارئاً كان أو مستمعاً، فعند سماعه لما يعجبه من الألفاظ الرقيقة العذبة ينحذب إليها وقد وصل إلى قمة الجمال. "فالألفاظ من الأسماع كالصور من الأبصار"⁶، إذ العين يفتنها كلّ ما هو جميل، والأذن تنحذب أيضا لما هو جميل "والنفس تحتلّ اللطيف وتنفر عما يضاؤه ويخالفه، والعين تألف الحسن وتفذي القبيح،

¹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة وقع، ج3، دط، دار الجيل، بيروت، لبنان، دت، ص511.

² ابن منظور، لسان العرب، مادة وقع، مج8، سط24، دط، صادر، بيروت، لبنان، دت، ص408.

³ سيد البحراوي: العروض و إيقاع الشعر العربي _ محاولات إنتاج معرفة علمية، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتابة القاهرة، 1993م، ص112.

⁴ ميشال إميل بديع يعقوب. المعجم المفصل في اللغة و الأدب، مج2، ط1. دار العلم للميادين، بيروت، دت، ص276.

⁵ عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم _دراسة في الجذور، ط3، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، دت، ص200.

⁶ ابن رشيق. العمدة، ج1، تحقيق: محمد يحيى بن عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1980م، ص128.

والأنف يرتاح للطيب وينفر من المتن، والفم يلتذ بالحلو ويمج المر، والسّمع يتشوق للصّواب الرائع، ويتزوي عن الجهر الهائل واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن¹. فكلّ جميل يُستهوى وكل قبيح يُستقبح، من الإيقاع ما يُحزن ومنه ما يُسرّ النفوس حتى تطرب، فالكلام الموقع يجعلنا نسبح في شلالات الإيقاع عبر لغة أنيقة و نسيج قرآنيّ جميل، فتنهمر تلك الكتل الإيقاعيّة المعجونة بجميع الأحاسيس لتذوب في النصّ فـ "إيقاع النّفس مناسبات بين الكليّات، مثلما هو بين السّلب والإيجاب"².

من هنا يتبيّن أنّ "الإيقاع أو الوزن ليس في حقيقة أمره شيئاً مستقلاً عن القوّة نفسها؛ وإنّما هو وسيلة تعتمد إليها القوّة لتصرف ذاتها إلى أبعد حدّ ممكن تجاه المقاومات التي تلاقيها"³. فالإيقاع يعدّ ظاهرة صوتيّة جماليّة مهيمنة على النّصوص الأدبيّة، فمعظم كتابات القدماء وحتى المحدثين فيها تخرجات توقيعيّة تزدان بها نصوصهم، وقد أورد الجاحظ قول جعفر بن يحيى في ذات الفائدة "...إنّ استطعتم أن يكون كلامكم كلّه مثل التّوقيع فافعلوا..."⁴، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى فاعليّة الإيقاع داخل جسد النصّ، ومن شأن الصيّغة التوقيعيّة للأساليب التّعبريّة أن تُضفي طابعاً جماليّاً خاصّاً ينساب إلى القلوب ويحتلّها دون أن يطرقها، فتختزن النّشوة في القلب و يتأثر بهذا الجميل الموقع، فيترّثم بها المتلقّي متى شدّت نفسه واشتاق إلى ما يطربها، وقد انطبع حسّ أبي حيان التّوحّيدي بالإيقاع حين أشار بأنّه "فعل يكيل زمان الصّوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة"⁵. فهو مبنيّ على الرّتابة و يتكوّن من عناصر خاصّة تشكّله .

ت- إذا "الإيقاع قسمان: 1- إيقاع خارجي: ويعرف بالوزن العروضي، 2- إيقاع داخلي: ويعرف بالتناسق التّعمي بين أصوات الحروف والكلمات"⁶

¹ أبو هلال العسكري، الصّناعتين_ الكتابة و الشّعْر، تحقيق: علي محمد البخاري، محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، دت، ص63.

² أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النّفس، دط، شركة الشّهاب للتّشّور و التّوزيع الجزائر، تحت رقم 272 ت ن: 08/04/1989م، ص101.

³ ابن رشيق، العمدة، ج1، ص128.

⁴ أبو هلال العسكري، الصّناعتين_ الكتابة و الشّعْر، ص63.

⁵ جان ماري جويو، مسائل فلسفة الفنّ المعاصرة، ص53.

⁶ الجاحظ، البيان و التّبيين، ج1، ص81.

1- الإيقاع الخارجي: يقصد به الوزن و القافية في القصيدة الشعرية، علماً أن "الفن الشعري

قام

على الإيقاع إذ هو المبدأ الذي يجب الانطلاق منه"¹، وبه تتشكل البنية الخارجية أو ما يُصطلح عليه بالعروض على أنه "ميزان الشعر لأنه يعارض بها، وهي مؤنثة ولا تجمع لأنها اسم جنس"²، كما أنه الحافز لمعرفة صحيح الشعر من فاسده، وما يطرأ عليه من تغييرات ككسر المعتاد عليه أثناء المزاحفة مثلاً، ويتكوّن هذا الأخير (الإيقاع الخارجي) من وزن وقافية، إذ نجد الوزن هو "أن تكون المقادير المقفاة تتساوى في أزمنة متساوية لتتفقها في عدد الحركات و السكّنات"³.

2- أما الإيقاع الداخلي: فهو خاص بالتركيب الداخلي للنص القرآني مثلاً، بل إنه وحدة

النغم التي مبعثها الألفاظ الخاصة والمنتقاة المؤدبة لأغراض متنوعة، المبيّنة للاعتِمالات التي تجوب في نفس القارئ، مع تكرار للكلمات والأصوات داخل التركيب. ويتطلب الإيقاع الداخلي في نسيج أي نص "شيئاً من الملاحظة الدقيقة للكشف عن مواطن رصد مظاهره قبل الانتهاء إلى الكشف في آخر الأمر عن البنية السطحية للنص المطروح للتحليل"⁴. فمكوّنات الإيقاع الداخلي هي: التكرار (التكرير) و جرس السجع والفواصل القرآنية والموازنة والمقاطع الصوتية وكميّاتها ثمّ التبر، الوقف والتنغيم، المماثلة والتضاد... وكلها تدخل في دراسة البنية الصوتية للنصوص القرآنية. و يعتبر الإيقاع من القضايا الصوتية الهامة؛ لما يحمله من شحنات تؤثر في المتلقي خاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم المعجز بألفاظه وعباراته وتوقعاته ونغماته. فإيقاعه خاص ليس له نظير، ووقعه على النفس متجدد تجدد الغدير، كلما سمعته تحسّ وكأنك تسمعه لأول مرة؛ إنه كلّ متكامل و"إنّ في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدّد الأنواع، يتناسق مع الجوّ ويؤدّي وظيفة أساسية في البيان، ولما كانت هذه الموسيقى القرآنية إشعاعاً للنظم الخاصّ في كلّ موضع، وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ولانسجام الألفاظ في

¹ أبو حيان التّوحّيدي، المقابسات، ط2، دار الأدب، بيروت، 1989م، ص285.

² عبد القادر محمود مايو، البلاغة المعاصرة _ معالم اللّغة العربيّة الفصحى لليافعين (بمجموعة مقالات)، تحقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط1، دار القلم العربي، 2004م، ص06.

³ أبو الحسن حازم القرطاجني، مناهج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب خوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص263.

⁴ عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص102.

الفاصلة الواحدة¹. كل هذه الظواهر تبدو جلية بين طيات آي القرآن على اختلاف مضامينها وأشكالها ومناسباتها، ولقد أورد سيد قطب أمثلة عن التعبير الإيقاعي في القرآن الكريم وما يحمله من معانٍ حسب السياق الذي يرد فيه. وقد وضح لنا ما أشار إليه من خلال سورة النزعات في قوله تعالى: ﴿وَالنَّزِعَتِ غَرْقًا ۝۱ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ۝۲ وَالسَّبَّحَتِ سَبْحًا ۝۳ فَالسَّبَّحَتِ سَبْقًا ۝۴ فَالْمُدَبِّرَتِ أَمْرًا ۝۵ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝۶ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝۷ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝۸ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝۹ يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَ رَدُّوْهُمْ فِي الْحَافِرَةِ ۝۱۰ أَيْدَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً ۝۱۱ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝۱۲ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝۱۳﴾، النزعات، الآيات (1،13)، إذ يقول أثناء دراسته لها: "في سورة النزعات أسلوبان موسيقيان، وإيقاعان ينسجمان مع جَوَّينِ فيهما تمام الانسجام. أولهما يظهر في هذه المقطوعة السريعة الحزمة، القصيرة الموجة، القويّة المبنى، تنسجم مع جوٍّ مكهربٍ سريع التّبض، شديد الارتجاف. والثاني يظهر في هذه المقطوعة الرّائية الحركيّة، الرحيّة الموجة، المتوسّطة الطول، تنسجم مع الجوّ القصصي الذي يلي مباشرةً في السّورة حديث الكرّة الخاسرة والزّجرة الواحدة، وحديث السّاهرة..."². الإيقاع في هذه السّورة يتبيّن في انقطاع الأوّل لَمَّا وصف لنا الجوّ العامّ وهذا جليّ في لفظ(غرقا نشطا، سبحا، سبعا، أمرا)، ثم الانتقال إلى إيقاع آخر للتخصيص أو لوصف جوٍّ خاصّ وهذا مبين في (الراجفة، الرادفة، واجفة)؛ ليُدرِك القارئ هول يوم القيامة، وبعد هذا ذُكرت الحالة التي يكون عليها الإنسان، وذلك بإتباع إيقاع واحد في كلمات منسجمة (نخرة، خاسرة، واحدة، السّاهرة)، فإنّه سرٌّ من أسرار سحر القرآن وجاذبيته، و ينقلنا سيد قطب "من موسيقى وإيقاع التّرهيب إلى موسيقى الدّعاء"³ المكلّلة بالخشوع والاطمئنان في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝۱۱﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۝ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

¹ نفسه ، ص 101 ، 102 .

² سيد قطب ، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم ، ص 111 .

³ ينظر: نفسه ، ص 112 .

﴿١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ آل عمران، الآيات (191، 193)، وقوله تعالى: ﴿
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿١٥﴾ سورة
آل عمران الآية (194)، إنه دعاء مصحوب بإيقاع رتيب، إيقاع يدلّ على الإذعان والترجّي
والانكسار أمام عظمة البارئ جلّ وعلا.

هذا الإيقاع السّحري ليس كغيره من الإيقاعات فلا نستطيع أن نبذل أو نغيّر أو نقدّم أو
نؤخّر فيه. ولو حدث هذا لأحسنا بزلزلة في المعنى وعدول عن المعقول، ففي قوله تعالى:
﴿كَهَيَعَصَ ﴿١﴾ ذِكْرٌ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ
رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ مريم
الآية (1،2،3،4). نسق متكامل بديع التّسج، "فلو حاولت مثلاً أن تغيّر فقط كلمة (مّني) فتجعلها
سابقة لكلمة (العظم): قال ربّ إني وهن مني العظم لأحسست بما يشبه الكسر في الوزن" ¹ ومردّه
إلى "أنّ هناك نوعاً من الموسيقى الداخليّة... وهو كامن من نسيج اللفظة المفردة، وتركيب الجملة
الواحدة. وهو يدرك بحاسة خفيّة وهبة لدنيّة، ومنه تبدىء تلك الموسيقى الداخليّة في بناء التّعبير
القرآنيّ موزونة بميزان شديد الحساسيّة تمليه أخفّ الحركات والاهتزازات" ²، كيف لا ومن أنزله
قدّر له الحفظ من فوق سبع سموات وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ الحجر، الآية (09). إنّ هذا الجسد الحيّ المليء بالمعاني والصّور والمشاهد
والإحساسات يجعلنا مبهورين به دائماً، بحروفه وألفاظه ومعانيه، بإيقاعاته وموسيقاه الجليّة
والخفيّة، ويأسر تفكيرنا ويغذّي روحنا ويهدينا إلى التي هي أقوم. فكلّ من يحسّ بضيق ويلجأ إلى
القرآن لقراءته أو الاستماع إليه يجعل نفسه تلقّي بكلّ همومها، وتخرج كل شحناها السّالبة نتيجة
سماع الإيقاع الرّبّاني .

¹ سيّد قطب ، التّصوير الفنّي في القرآن الكريم ، ص 106 .

² نفسه ، ص 106 ، 107 .

5- التناسب الصوتي في القرآن:

أ- التناسب اللفظي و المعنوي:

التناسب مبدأ يقوم عليه الكون بأسره، فأينما جُلتَ ببصرك تجد التناسب في كل رطب ويابس لحكمة ربانية. فلو أمعنت النظر إلى غصن شجرة لرأيت التناسب بين أوراقها مما يجعل العين ترتاح لرؤيته، حتى في جسم الإنسان نلمس التناسب على سبيل المثال في الأسنان فهي موزعة توزيعاً دقيقاً متساوياً في العدد والتنوع، فتبارك الله أحسن الخالقين فقد "أدرك الحكماء منذ القديم جوانب من أسرار التناسب في نظام العالم وبيّنوا أنّ عناصره ما كان لها أن تأتلف وتمتزج لولا تناسبها"¹، وهو ما يُضفي أهمية بالغة لمبدأ التناسب، ويجعله عنصراً أساسياً في الحياة. وقد وصل العلم في إدراك قيمة التناسب بين عدد كبير من الضوابط التي تضبط الحياة وتُنسّق بين الأحياء، والظروف المحيطة بها، وبين بعضها وبعض إلى الحد الذي يكفي لإعطاء فكرة واضحة عن قيمة هذا المبدأ في الوجود"²، حيث نلاحظه جلياً في اكتشافهم للتناسب القائم بين الكواكب السيارة وبين عناصر الطبيعة برمتها.

كما يُعتبر التناسب عنصراً أساسياً لتحديد الصوت اللغوي، فكلّما كانت العبارات متناسبة من حيث الكم والكيف زاد جمالها وطرب لها السمع "والأدباء كانوا على وعي تام بقيمة التناسب بوجهيه اللفظي والمعنوي في التعبير الأدبي"³، هذا لأهميته في الحكم على جمال العبارات والألفاظ و"ينبغي للمتكلّم أن يعرف مقدار المعاني ويُوازن بينها وبين أقدار المستمعين"⁴؛ ليصل إلى قلوبهم وعقولهم. فالتناسب اللفظي له علاقة وطيدة بالتناسب الصوتي و"من أصحاب هذا الرأي وأعمقهم نظراً في إدراك قيمة التناسب البيانية والجمالية حازم القرطاجني، إنّه كان يعدّه عنصراً من عناصر الجمال في المرثيات والمسموعات وفي موسيقى الشعر. ومجمل ما ذكره أنّ التناسب في الصياغة اللفظية يقع على أنحاء منها: إئتلاف حروف الكلمة بعضها مع بعض، وإئتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها، واستعمال الكلمات المؤتلفة في مقدار الاستعمال... وأنّ تتوازن أوزان الكلم، وأنّ

1 أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن _دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، دط، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 1992م ، ص12.

2 نفسه، ص12.

3 نفسه، ص17.

4 الجاحظ أبو عثمان عمرو ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق:عبد السلام هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص136، 139.

تتوازن مقاطعها"¹، فتكون جاهزة للتلقّي. فإذا توفّرت على الخصائص المذكورة آنفاً وخرجت مُنسابةً من بين الشّفاة، احتضنها السّمع بكلّ حفاوة وهذا لتوفّر التّناسب فيها.

من يريد أن يلمس التّناسب ويقترّب من كنهه فعليه بالقرآن؛ لأنّه وجه من أوجه الإعجاز فيه فــــ "القرآن كلّه في الطّبقة العليا من التّلاؤم، وبعض النّاس أشدّ إحساساً بذلك وفطنة له من بعض، كما أنّ بعضهم أشدّ إحساساً بتمييز الموزون من الشّعر والمكسور... والسّبب في التّلاؤم تعديل الحروف في التّأليف، كلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤماً"²، والتّلاؤم هنا يُقصد به التّناسب فكلّما توفّر هذا الأخير، جعل الصّوت متناسباً أيضاً؛ وعليه فإنّ تناسب اللفظ والعبارة يُفضي إلى تناسب الأصوات خاصّة في تلاوة القرآن وتجويده، فسِرُّ جمال القرآن يكمن في حسن ائتلاف أصواته، وتلاؤم حروفه، وانتظام كلماته. ولقد تطرّق إلى هذا الأمر **مصطفى صادق الرّافعي** في حديثه عن سرّ افتتان العرب عند سماع القرآن "أنّهم رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة أحياناً لغويّة رائعة، كأنّها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هيّ توقيعتها. فلم يفتنهم هذا المعنى وأنّه أمر لا قبل لهم به"³ وما يظهر لنا من تعبير **مصطفى صادق الرّافعي** أنّه كان مهتماً بإظهار أهميّة التّناسب الصّوتي واللفظي في القرآن، ويرى بأنّ كل منهما يُفضي إلى الآخر؛ لأنّ طريقة نظم القرآن تجري على استواءٍ واحدٍ في تركيب الحروف، باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التّمكين للمعنى بحسن الكلمة وصفتها ثمّ الافتتان فيه بوضعها من الكلام لا يتفاوت ذلك ولا يختل⁴. إنّه لحقاً وجه من أوجه إعجازه، وكأنّ الصّوت يكسب اللفظ حياة متجدّدة لما له من قيمة روحية داخل اللفظ كفيلة بإيصال المعنى إلى المتلقّي. وقد وضّح **مصطفى صادق الرّافعي** نظريته إلى التّناسب بين اللفظ والصّوت أثناء شرحه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ سورة القمر، الآية (36). فقال*: "إنّ الضمّة ثقيلة لتواليها على النّون والذال معاً من (النذر)،

¹ أحمد أبو زيد، التّناسب البياني في القرآن، ص21.

² الرّماني، التّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط2، دار المعارف بمصر، 1969م، ص88.

³ مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن، ص214.

⁴ نفسه، ص240، 241.

* ينظر: نفسه، ص227، 228.

فضلا عن جساءة هذا الحرف، وئبؤه في اللسان وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام... ولكنه جاء في القرآن على العكس من ذلك... فتأمل هذا التركيب وانعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف وأجراسها، وأجر حركاتها في حسن السمع، وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقد)، وفي الطاء من (بطشتنا)، وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لحفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان؛ ليكون ثقل الضمة عليه مستخفاً بعد، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها، كما تكون الأحماض في الأطعمة (ثم ردّ نظرك في الراء من (تماروا)، فإنها ماجاءت إلّا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه، انتهى إليها من مثلها. فلا تجف عليه ولا تغلظ، ولا تنبو فيه، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الدال في (النذر)... وما من حرف أو حركة في الآية إلّا وأنت مصيب من كل ذلك عجباً في موقعه والقصد به، حتى ما شك أن الجهة واحدة في نظم الجملة والكلمة والحرف والحركة¹. ولا يصل إلى تذوق القرآن، ولا يعي التناسب الذي يعتره إلّا من كان متدبراً له، عارفاً بجباياه وحركاته وسكناته ومدوده، ويكون على قدر من العلم بأصول تجويده؛ فالقلقلة والغنة والإدغام والإخفاء والإظهار كل هذا وغيره يدخل ضمن حدائق التجويد وأحكامه، وما نستشفه أن التناسب الصوتي واللفظي أخذ نصيبه بين دقات الكتاب المعجز. ولقد وضع مصطفى صادق الرافعي بصمته في حديثه عن هذا الموضوع، وأزال البعض من الغموض الذي كان يكتنفه.

ب_تناسب الفواصل القرآنية:

تعريف الفاصلة: "تسمى رؤوس الآيات، فقيل: هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"². وقال فيها الرماني: "الفواصل متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"³. أمّا الداني فيرى أنّها "كلمة آخر الجملة، والفرق بين الفاصلة وأول الآية... أمّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممّا بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وغير رأس آية، وكذلك الفواصل يَكُنُّ رؤوس آي وغيرها، وكلّ رأس آية فاصلة وليس كلّ فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ التوعين، وتجمع بين

¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، ص 227، 228.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، تحقيق: أحمد أبو الفضل، دط، دار المعرفة، بيروت، 1972م، ص 53.

³ الرماني، التكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 89.

الضريين¹. وسميت الفاصلة بهذا الاسم "لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينهما وبين ما بعدها، وأخذت من قوله تعالى: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فصلت، الآية(03). ولا يجوز تسميتها أسجاعاً، والراجح المنع².

من خلال ما عرضناه من آراء نلمس صعوبة تعريف الفاصلة؛ وهذا لكونها متغيرة، فتارة تكون كلمة، وتارة مقطوعاً من كلمة، وتارة أخرى جملة؛ وكله لحكمة منه جلّ وعلا. وهناك من يرى أن "الفاصلة هي لفظ آخر الآية، ينتهي بصوت قد يتكرر مُحدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر، ولكنّ الفاصلة تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة"³ وهناك من ربطها بالوقف وشبهها بالقافية فـ "الفواصل بمزلة القوافي في أنّها مواضع وقوف، كما أن أواخر البيوت كذلك"⁴، وعزّز هذا القول أكثر أحمد مختار عمر⁵ ولإبراز الجانب الموسيقيّ في الفواصل، ومراعاة متطلبات الإيقاع ومقتضيات التلاؤم النغمي راعت الآيات... بناء كثير من الفواصل على الوقف حتى لا يختل الإيقاع، لذا شاع الجمع بين الفواصل المختلفة الإعراب نظراً لاتفاق شكلها عند الوقف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ الصفات، الآية(11). مع تقدّم قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ وَأَصِْبٌ﴾ ﴿﴾ الصفات، الآية (09). وقوله سبحانه: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ الصفات، الآية (10)⁵.

استرعت الفاصلة القرآنية اهتمام الشّعويين بصبر أغوار القرآن الكريم، وربطوها بالسياق الدلالي للآيات؛ أي أن آخر كلمة في الآية تتناسب مع أولها في المعنى العام، وتحدثوا عن مدى أهميتها بالنسبة لمبدأ التناسب القرآني. والمتعارف عليه أن الفاصلة هي ذلك النغم الموسيقيّ الصادر

¹ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 54.

² نفسه، ج 1، ص 54.

³ هادي نمر، علم الأصوات التطقي _دارسات وصفية وتطبيقية، ط 1، عالم إربد للكتب الحديث، إربد، الأردن، 1432هـ/2011م، ص 253.

⁴ الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد، الحجة في علل القراءات السبع، ج 1، تحقيق: علي الجندي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شليبي، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م، ص 288.

⁵ أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءته، ط 2، عالم الكتب، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص 73.

عن آخر كل آية في القرآن كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) من شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴿الفلق، الآيات (1,2,3,4,5). فهنا الفاصلة قصيرة وهي متغيّرة مثنى مثنى، نجد (الفلق، خلق) انتهت بحرف القاف، و(العقد، حسد) منتهية بحرف الدال، وبينهما آية فاصلتها منتهية بحرف الباء وهذا لحكمة إلهية.

فنظام "الفواصل والقوافي... يتنوع في السور المختلفة، وقد يتنوع في السورة الواحدة، فأما تنوعه في السور فيختلف بالقياس إلى الفواصل بين الطول والتوسط والقصر... وقصارى ما يقال فيه: إن الفواصل تقرّ غالباً في السور القصار، وأنها تتوسط أو تطول في السور المتوسطة والطوال، وبالقياس إلى حرف القافية، يشتدّ التماثل والتشابه في السور القصيرة ويقلّ غالباً في السور الطويلة، وتغلب قافية التون والميم وقبلها ياء أو واو على جميع القوافي في سور القرآن، وذلك مع تعدد الأساليب الموسيقية"¹، ونركّز على هذا الحديث غالباً عندما نبين التنوع الموسيقي في آي القرآن، فعندما تسمع سورة ينتقل سمعك من فاصلة إلى أخرى، خاصة في السور الطوال ممّا يزيد في عذوبة القرآن الكريم، وهذا ما يجعله لائظاً بالقلوب ولا تملّ قراءته أو سماعه، وهو وجه من وجوه الإعجاز فيه؛ لأنّ النفس البشريّة تنفر من المكرّر وتمله خاصة إن كان مطوّلاً، ومنتقل الآن من الحديث العامّ عن فواصل القرآن الكريم إلى حديث خاصّ متعلّق بتناسب الفواصل القرآنيّة مع السياق الواردة فيه كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام، الآية (103)). "فقد حُتِمَت الآية بما يناسب أولها إذ(اللّطيف) يلائم (لا تدركه الأبصار)، و(الخبير) يلائم (وهو يدرك الأبصار)، لأنّ من يدرك الشّيء يكون خبيراً به، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحجّ، الآية (64)؛ فإنّ الذي يملك ما في السّموات و ما في الأرض يكون غنياً عن كلّ ما عداه، ولما كان


¹ سيّد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، ص 107.

ما في السموات وما في الأرض مخلوقاً لمنفعة العباد، كان الخالق المنعم مُستحقاً للحمد من المنعم عليهم¹.

والتناسب لا يتأتى التعرّف عليه إلّا لذوي الدّربة والمتبحّرين في علوم القرآن، والمطلّعين على معانيه وللخائضين عباب بحر اللّغة العربيّة (لغة القرآن)، وهذا لما فيه من إمعان للنّظر والفكر واستحضار لمعانٍ ومفاتيح تخصّ الآية في حدّ ذاتها "ومّا يُروى أنّ أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة البقرة، الآية (209)، فوضع القارئ: (غفور رحيم) مكان: (عزيز حكيم) قائلاً: (فاعلموا أنّ الله غفور رحيم)، فقال الأعرابي: ولم يكن يقرأ القرآن: إنّ كان هذا كلام الله فلا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزّلل؛ لأنّه إغراء عليه، فختام الآية بالعزّة والحكمة يُناسب ذكر الزّلل بعد وضوح الحلّ وتبيينه². وكما هو ملاحظ من هذه الرواية أنّ مكتشف الخطأ أعرابي، ونحن نعلم أنّ الأعراب قدما كانوا على دراية واسعة باللّغة العربيّة وبكُنُهِها، وكانوا يتذوّقون الكلام الذي يسمعونه ويستتهجون كلّ ما لا يقبله العقل، فالتناسب في الآيتين السّابقتين بين الفاصلة وبداية الآية متعلّق بالمعنى العامّ وهذا ما أسلفنا ذكره في بداية هذا الموضوع، فالتناسب قد لا يُدرك من أوّل قراءة للآية بل يحتاج إلى الدقّة والتركيز للتعرف عليه، لكونه دقيقاً خفياً، لا يُدرك إلا بالتأمّل وإطالة النّظر على نحو ما نرى في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة المائدة، الآية (118)، فإنّ قوله: (وإن تغفر لهم) يُوهم أنّ الفاصلة (الغفور الرحيم)، ولكن عند التأمّل وإمعان النّظر يتّضح أنّ الفاصلة ينبغي أن تكون ما عليه التّظنّ الكريم؛ لأنّه لا يقدر على تعذيب من يشاء. والغفران لمن يشاء من عباده، إلّا العزيز الذي لا يغالب، وهو عندما يفعل ذلك ففي فعله الحكمة وإنّ خُفِيَتْ تلك الحكمة على بعض خلقه؛ لأنّ الحكيم من يضع الشّيء في محله... والمناسب أن تحتّم الآية بما ختمت به، وهذا من أسرار الإعجاز الرّبّاني؛ لأننا نتحدّث عن كلام الله. وهو ما يستدعي منّا التأمّل والتدبّر فيما نقرأ. ونبحث دائماً عن المفاتيح التي تُمكننا من فهم آياته، والإنسان مهما بلغ من العلم فإنّ علمه يُعتبر

¹ كمال الدّين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنيّة، ص70.

² كمال الدّين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنيّة، ص70، 71.

ضميلاً لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾  الإسراء، الآية (85).

في الختام نصل إلى القول بأنّ الفواصل هي قوام أسلوب القرآن، لما لها من فائدة في الإيقاع العذب؛ فالآية القرآنية تُعرف بالفاصلة، ويعتبر التناسب والتشابه أصلاً في فواصل القرآن، وشرطاً من شروط بناء الآية وتركيبها "وهذه طريقة الاستهواء الصوّتي في اللغة وأثرها طبيعي في كلّ نفس فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كلّ نفس تفهمه وكلّ نفس لا تفهمه...¹" هنا يكمن السرّ، إذ أنّ كلّ مَنْ يسمع القرآن يرتاح و يسكن نتيجة النغم الموسيقيّ الصّادر عن الفواصل مع اختلافاتها بين السّور الكريمة.

6- جمال اللّغة ولغة الجمال البلاغيّ الإيقاعي (التساوق):

إنّ الإنسان مجبول بالفطرة على حبّ الجمال سمعيّاً كان أمّ بصريّاً؛ لما له من وقع خاصّ في النفوس فـ"الجمال ليس صفة خاصّة بالشّيء في حدّ ذاته، ولكنّه الاسم الذي نعطيه لقدرته على إيقاظ الشّعور بالجمال في النفوس"². وأهمّ عنصرٍ في الحكم على الجماليّات هو الاستعدادات الفطريّة الشخصيّة لكلّ إنسان، فنجد في هذا المجال الدكتور محمد مرتاض يؤكّد أنّ "أهمّ قاعدة تُبنى عليها الأسس الجماليّة هي الاستعداد الفطريّ أو التلقائي لتقبّل الجمال؛ لأنّه لو لم يكن لدينا إحساس وشعور بهذا الجمال، فإنّنا لا ندركه ولو كان يحفّ بنا من كلّ جانب"³. فكيف لنا أن نعبر إذن عن الجمال؟

إنّ الوسيلة المثلى في هذا الحيز هي اللّغة التي نودّ في بحثنا أن نتلمّس جماليّاتها؛ لأنّه "مما تميّز به لغتنا العربيّة حرصها على الحسّ الجماليّ عن طريق إمتاع الأذن بما تحقّقه من جمالٍ لفظيٍّ وتراكيبٍ موسيقيّة"⁴.

¹ مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن، ص 217.

² جان كوهن، بنية اللّغة الشعريّة، ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986 م، ص 19.

³ محمّد مرتاض، مفاهيم جماليّة في الشّعْر العربيّ القديم - محاولة نظريّة تطبيقية، ص 18.

⁴ رجب عبد الجواد إبراهيم، موسيقى اللّغة، ط 1، دار الآفاق العربيّة، مدينة نصر، القاهرة، 1423 هـ / 2003 م، ص 03.

فابن فارس¹ ينبّه إلى الفكرة الجمالية التي تحرص عليها ألفاظ وتراكيب اللغة العربية مشيراً: "إنّ الحسّ الجماليّ تعرض عليه اللغة العربية في بنيتها وتراكيبها". كما نرى من خلال ما سبق أنّ الحسّ الجماليّ للغة مرتبط بالجانب النفسي للناطق بها ولتلقّيها، فاللغة تعبير عن أحاسيس الإنسان الداخليّة، وتصوير دقيق لمشاعره، وما دامت اللغة عملاً وجدانياً فإنّها محكومة في حركتها وتشكّلاتها بالبلاغة التي ترتكز على الاختيار من بين البدائل، وتجعل ذلك من أوّل اهتماماتها في تناول النصّ الأدبي². لكنّ البلاغة القائمة على الاختيار لا يمكنها حصر الحسّ الجماليّ.

فاللغة العربية بالأخصّ لها سحرها الفتنان، وهذا بما تحمله من أسرار جماليّة إيقاعيّة جعلتها تنفرد بهذا الجمال دوناً عن باقي اللغات، حيث نلفي جان كوهن³ يصف اللغة قائلاً: "فاللغة ليست إلّا حاملاً للفكر، فهي وسيلة والفكر غايتها، وليس من الأكيد أبداً بصفة مُسبقة ألاّ يتوصّل إلى الغاية الواحدة بوسائل أخرى تتّصف بنفس الدقّة أو أكثر..."، فعلى هذا الاعتبار تقوم العلاقة بين اللغة والفكر، كون الأولى أداة فتخضع لمعايير الثانية؛ وقد تخرج عنها أو تتراح على طول مسافة من التوتّر، و نجد غنيمي هلال⁴ يؤكّد علاقة جان كوهن موضحاً: "فإذا كانت اللغة هي وسيلة التفكير وأداته؛ فإنّ تطهير هذه الأداة واستكمالها من أوائل ما يجب أن نُعنى به".

واللغة بما تتميز به من تراكيب مختلفة، ومن صفات تنفرد بها عن غيرها تُضفي عليها بريقاً خاصاً. فالألفاظ تحمل في جعبتها جرساً موسيقياً مميّزاً، وتوالي الكلمات والجمل له وقعه وأثره على النفس. وهو ما قادنا سابقاً في بحثنا إلى تتبّع الأصوات ومخارجها، والتشكيلات الصوتيّة المختلفة والانسجام القائم بينها، "لهذا لا يكون الكلام جميلاً إلّا إذا توافر الانسجام بين المعاني التي يتألّف منها مضمونه، وتوافر له الانسجام بين الألفاظ اللغويّة التي تتلبّس المعاني أشكالها، وتوافر الانسجام بين دلالات الألفاظ المعنويّة وبين أصوات حروفها، وبين هذه وتلك جميعاً. ممّا يكون روح العمل الفنّي وجوهه الجماليّ الفذّ"⁵. فالجماليّة التعبيريّة ههنا باعتبارها أهمّ مهامّ الأدب لا

1 نفسه، ص 05.

2 حامد صالح الربيعي، القراءة الناقدة في ضوء نظريّة النظم، دط، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، 1417هـ/1996م، ص 36.

3 جان كوهن، بنية اللغة الشعريّة، ص 34.

4 محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والتقد، دط، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دت، ص 172.

5 ميشال عاصي، الفنّ والأدب، ط 3، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1980م، ص 71.

تتحقق إلا بتجاور اللفظ مع المعنى، وهذه القضية حُضيت بالعناية من قبل العلامة عبد القاهر الجرجاني، فالتجانس يأخذ عدة أوجه كاختيار المكان اللائق باللفظ مع تجنّب تنافر أصواته وغرابتها؛ كي يكون سهلاً في السّمع، مبعثاً للعجب، ذا وقعٍ على القلب، مُبهجاً ساراً للنفس... فخير الكلام على هذا التصفّح والتّحصيل ما ساعده اللفظ بالرقّة، وكان له سهولة في السّمع، وريع في النفس...¹. ولما كانت اللّغة بهذه الفرادة إنسقت إليها الأنظار، وتسابقت وتهافتت عليها من جميع الأقطار.

انطلاقاً من هذا الاعتبار، اتّسمت كلّ الدّراسات اللّغويّة فيما مضى بما أصبح يسمّى "النّظرة الصّفويّة"²، نسبة إلى مبدأ المحافظة على صفاء اللّغة.

هكذا "ساد لدى القدماء اعتبار اللّغة ظاهرة كونيّة ذات تحدّيات متعلّية، هي في ذاتها كيان علويّ مُتسام، وهي في وجودها الأكمل صفاء خالص ونظام نسبي"³، أيضاً من اللّغة دُرست الكثير من الدّلالات، وعلى العديد من الأصعدة، والباب مفتوح على مصراعيه في هذا المجال للبحث والتّنقيب، إذ علينا ألاّ نغفل النّظر عن علاقة اللّغة بالبلاغة وما تضيفه هذه الأخيرة من جمال فوق الجمال اللّغوي المعتاد، فإذا ما انهمرت من مخيّلة المبدع الصّور البيانيّة والمحسنات البديعيّة بمختلف أشكالها، تتراقص الكلمات مُؤذنة بحياة بلاغيّة ولغة راقية، "ويمكن لمتعمّن تراث العرب البلاغيّ أن يتفهّم عن طرائق توقيعها لمستصفيات نتائجها البلاغيّة، كيف أنّها شديدة العجب والامتنان بما تحفل به من علامات أسلوبية إيقاعية، بادية التّأثير في سيرورة إبداع توقيع الأساليب، والظنن البلاغيّة المُحيلة على ما كانوا يتمتّعون به من استعدادات عاطفيّة نفسيّة تؤهّلهم لإصابة إبداع الأنساق اللّسانيّة الأسلوبية التي تغدو فيما بعد معلماً جمالياً يُحيل عليه الاعتبار"⁴، حيث أنّ "البلاغة العربيّة بلاغة - سمعيّة أوّلاً - قد نظّرت إلى المردوديّة الصّوتيّة الإيقاعيّة"⁵. والمقصود هو أنّ

¹ أبو حيان التّوحيدي، مثالب الوزيرين، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دط، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دت، ص55.

² عبد السلام المسديّ، اللّسانيات وأسسه المعرفيّة، دط، الدّار التونسيّة للتّشّير، باب الخضراء، تونس، أوت 1986م ص28.

³ العربيّ عمّيش، خصائص الإيقاع الشّعري - بحث في الكشف عن آليات تركيب لغة الشّعري، دط، دار الأديب للتّشّير والتّوزيع، 2005م، ص82.

⁴ نفسه، ص 82.

⁵ محمد العمري، البنية الصوتية - تحليل الخطاب الشعري، ط1، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، 1990م، ص 152، 153.

فاللغة إذا العمود الفقريّ الذي يرتكز ويقوم عليه كلّ من الإيقاع والبلاغة، وهي تأذن بميلاد الجمال القرآنيّ.

الفصل الثاني

بين الوقف والتَّخْيِير في القرآن الكريم

المبحث الأول: القيمة التعبيرية للصوت داخل اللفظ الذي يرد فيه

1- تأثير الأداء الصوتي على الدلالات والمعاني (الإيقاعية).

2- البعد السيميائي للصوت

المبحث الثاني: اشغال الوقف بالقرآن وجوانبه السحرية:

1_ الوقف القرآني: أولاً: الوقف لغة ثانياً: الوقف اصطلاحاً.

أ- الوقف في علوم القرآن (عند القراء وأهل التجويد).

ب- الوقف في اصطلاح الفقهاء.

ج- الوقف في اصطلاح اللغويين (المفصل).

2_ أنواع الوقف و أقسامه:

النوع الأول: الوقف الضروي:

أ- الوقف الاضطراري

ب- الوقف الاختباري.

ت- الوقف الانتظاري.

النوع الثاني: الوقف الاختياري:

أ_ الجائز:

_ الوقف التام.

_ الوقف الكافي

_ الوقف الحسن

ب_ القبيح

3_ أحكام الوقف

4_ وظائف الوقف في القرآن الكريم: (أغراض الوقوف وغاياتها).

5_ علامات ورموز الوقف القرآني..

أ_ الرموز المفردة ومعانيها.

ب_ الرموز المركبة ومعانيها.

6_ مذاهب القراء في تعيين مواضع الوقف.

المبحث الثالث: إشغال التنخيم بالقرآن وجوانبه السحرية:

1_ التنخيم القرآني:

أولاً: التنخيم لغة

ثانياً: التنخيم اصطلاحاً

2_ بين النغم والتنخيم

3_ أنواع التنخيم

أولاً: التنخيم الأدائي

ثانياً: التنخيم الدلالي

أ_ التنخيم التعبيري

ب_ التَّنْغِيمُ النَّحْوِي

4_ أَهْمِيَّةُ التَّنْغِيمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

5_ وُضَائِفُ التَّنْغِيمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ_ الْوُضَيْفَةُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ التَّعْبِيرِيَّةُ

ب_ الْوُضَيْفَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ

ت_ الْوُضَيْفَةُ الدَّلَالِيَّةُ:

6_ التَّنْغِيمُ فِي الْقُرْآنِ الْقُرْآنِيَّةِ

7_ بَيْنَ الْوَقْفِ وَالتَّنْغِيمِ

المبحث الرابع: القراءات القرآنية وتنوعاتها:

1_ تعريف القرآن الكريم وعلاقته بعلم القراءات

2_ تعريف القراءات القرآنية: لغة واصطلاحاً

3_ أنواع القراءات القرآنية:

أ_ القراء السبعة

ب_ الأئمة الثلاثة المكملون للعشرة

ت_ الأربع الشواذ

4_ فوائد اختلاف القراءات وتنوعها

المبحث الأول: القيمة التعبيرية للصوت داخل اللفظ الذي يرد فيه:

تدور بنا رحى الحديث، وتتقاذفنا الأمواج الصوتية والإيقاعية؛ لترمي بنا في أحضان اللفظ وما يحمله في جعبته من معان ودلالات، فكما الألفاظ أوعية للمعاني، فإن الصوت هو الروح التي تنفخ في اللفظ، وتبعثه من مرقده ليشغل فضاء مكانياً وزمانياً بجميع صوره "... فالألفاظ وسائط بين الناطق والسامع، فكلمًا اختلفت مراتبها على عادة أهلها، كان وشيها أروع وأجهر. والمعاني جواهر النفس فكلمًا اختلفت على شهادة العقل، كانت صورتها أنصع وأبهر"¹، فصوت اللفظ هو ما يوحي على معناه، وهذا اللفظ مكوّن من مقاطع صوتية وُسّمت منذ الأزل بالحروف. فقبل أن يغمرنا الحديث عن اللفظ والصوت علينا أن نتحدّث ولو هنيهة عن الحروف وأصواتها، وعن تألفها وتراصّها مع بعضها البعض كأنّها بِنِيانٌ مرصوص يشدّ بعضه بعضاً؛ فكلّ صوت مكمل للآخر.

بالصوت الواحد تنسج الأصوات الكثيرة التي لا تُعدّ ولا تُحصى من خلال جذورها وتقلباتها؛ إذ أنّ الألفاظ "هي التي تفرع السمع، على حين أنّ المعنى يتعدّى إلى (النفس)*، وهذا ما يوجب العناية بالحروف التي تتركّب منها الألفاظ، وتُظهر لنا قضية الحال إستفادة النقاد من الدراسات الصوتية في عصرهم؛ إذ تكلموا عن مخارج الحروف وصفاتها، وبيّنوا أنّ أهمّ مترلة هي الوسطى"² ويطلق على الحروف في علم الأصوات بالفونيم (Phonème)، وعن الكلمة باسم الوحدة أو الوحدات.

"الفونيم هو الحرف في إستعمالات الدارسين العرب القدامى مُرادً به صفته النطقية لا الخطية فهو هيئة الصوت بصفات معينة، ومن هنا فالصوت لا يسمّى حرفاً أو فونيمًا حتى تكون له صفات خاصة مميزة ويمكننا أن نصف الحرف أو الفونيم بأنّه هيئة صوتية تعرض للصوت تميّزه عن صوت آخر وبالتالي فإنّ كلّ فونيم حرف، وليس كلّ حرف فونيم، كما أنّه لا فونيم بلا صفات تمييزية (Traits Distinctifs) " الباء مثلاً: تخرج من الشفتين، ومن هنا فإنّ كلّ باء تنطق في أيّ

¹ أبو حيان التوحّيدي، المقابسات، تحقيق: حسن السندوي، ط1، المطبعة الرّحمانية، مصر، 1929م، ص145.

² توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث القدي، ط2، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، 1987م، ص143.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

لغة من اللّغات هي صوت (son)؛ أمّا الباء في/بكي/أو/ب/في/balle/ فهي جنس من الصّوت بمعنى فونيم¹.

ومن خلال هذا القول نلاحظ التّمييز الواضح بين كلّ من الحرف والصّوت والفونيم لكونها مصطلحات دالّة. وللمزيد من الإيضاح "يضع تروبتسكوي مصطلح الفونيم (Phonème) بناءً على تفرقة سوسيير بين اللّغة والكلام مصنفاً الفونيم ضمن الكلام؛ أيّ الوصول إلى التّمييز بين علم الأصوات (phonétique) والفونولوجيا (phonologie) بناءً على هذه التّفرة وعلى فكرة الملامح المميّزة للوحدة الصوتيّة، يقيم جاكبسون نظريته الفونولوجيّة على مبدأ الازدواجيّة أو الثنائيّة"².

وعبر هذه الوحدات الصوتيّة* بمصطلحاتها المختلفة تُبنى اللّغة "فهي في ركنها الأوّل أصوات والأصوات علامات دالّة يطلق عليها مصطلح الصّوامت (الفونيمات)، وهي تترايط منسجمة في تكامل بحيث تشكّل (البنية الصوتيّة)، وكذلك الألفاظ إذ تولّد (البنية المعجميّة)، والجمل إذ تفضي إلى (البنية التركيبيّة)، ومن كلّ ذلك تتبع (البنية الدلاليّة)"³. وبما أنّنا بصدد تشريح نصّ قرآنيّ في الفصل الثالث والرّابع، علينا الحديث على الحرف العربيّ كصوت ولو بشكل وجيز، إذ أنّ على الحرف العربيّ لطلاوة، وإنّ له لحلاوة. فكلّ حرف له مخرجه، وكلّ حرف له سمته ودرجته من القبول أو الاستهجان. للحروف العربيّة تسميات و صفات خاصّة بها "وهي تنقسم إلى المهموسة والمجهورة والمذلقة والمصمتة والشّديدة والرّخوة والمطبقة والمفتوحة والمستعلية والمنخفضة والمعتلة"⁴. والجدول الآتي سنوضّح فيه كلّ صفة من هذه الصّفات، وكذا الحروف المنسوبة إليها.

¹ الطيّب دبه ، مبادئ اللسانيّات البنيويّة ، ص172.

* المقصود هنا بالنفس ذات المتلقي و قلبه.

² ذهبية حمو الحاج ، لسانيّات التلقظ و تداوليّة الخطاب ، د ط ، دار الأمل للطباعة و النشر ، 2005م، ص57.

³ عبد السلام المسديّ : اللسانيّات و أسسها المعرفيّة ، ص33.

⁴ عبد الرّحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي السعيد ، أسرار العربيّة ، ج1، تحقيق ، فخر صالح قدارة ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت،

1995م ، ص361.

| صفات الحروف: | الحروف المنسوبة إلى كلّ صفة: |
|---|--|
| "المهموسة وهي عشرة أحرف | الهاء والحاء والخاء والكاف والسين والشين والصاد والتاء والثاء والفاء. |
| المجهورة وهي ماعدا العشرة السابقة وهي: تسعة عشر حرفاً | الميم، الدال، الغين، الطاء، القاف، الألف، همزة، الجيم، العين، الظاء، الرّاء، الواو، اللّام، الباء، الذال، الضاء، الياء، الزاي، التّون. |
| المذلقة ستة أحرف | اللّام، التّون، الرّاء، الميم، الباء، والفاء. |
| المصمتة | ماعدا الستة السابقة-أيّ المذلقة- |
| الشديدة ثمانية أحرف | التّون، الواو، الرّاء، الياء، اللّام، الألف، الميم، العين. |
| الرّخوة | ماعدا الشديدة |
| المطبقة أربعة أحرف | الصاد، الضاد والطاء، الظاء. |
| المفتوحة | ماعدا الأربعة السابقة أيّ-المطبقة- |
| المستعلية سبعة أحرف | أربعة منها هي التي ذكرنا أنّها مطبقة، والثلاثة الأخرى قاف، غين وحاء |
| المنخفضة | ماعدا السبعة أيّ-المستعلية- |
| المعتلة أربعة أحرف | الهمزة، وحروف المدّ واللين، وهي الألف، الياء والواو ¹ |

وقبل المضيّ للحديث عن أيّ موضوع آخر، يأخذنا الفضول لمعرفة معنى كلّ من الكلمات الخاصة بالصفات، وسنوضّحها في الجدول الآتي وتعرّف كلّ واحدة على أنّها:

| الكلمة | معناها |
|-----------|---|
| "المهموسة | أنّها حروف أضعف الاعتماد عليها في موضعها، فجرى النّفس معها فأخفاها. والهمس الصّوت الخفيّ فلذلك سميت مهموسة. |

¹ عبد الرّحمن بن أبي الوفاء، أسرار العربية، ج 1، ص 361، 362.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

| | |
|------------|---|
| المجهورة | أنّها حروف أشبع الاعتماد عليها في موضعها، فمنعت التّفس أن يجري معها فخرجت ظاهرة. والجهر هو الإظهار فلذلك سمّيت مجهورة. |
| المذلقة | أنّها حروف لها فضل اعتماد على ذلق اللّسان، وهو طرفه ولذلك سمّيت مذلقة. |
| المصمّنة | أنّها حروف ليس لها ذلك الاعتماد على ذلق اللّسان، وأصمّت بأنّ تختصّ بالبناء إذا كانت الكلمة رباعيّة أو خماسيّة، ولذلك سمّيت مصمّنة. |
| الرّخوة | أنّها حروف ضعيفة يجري فيها الصّوت، ولذلك سمّيت رخوة. ومعنى ما بين الشّديدة والرّخوة أنّها حروف لا مُفرطة في الصّلافة والظّاهرة الضّعف؛ بل هي في اعتدال بينهما ولذلك كانت بين الشّديدة والرّخوة. |
| المطبقة | أنّها حروف يرتفع اللّسان بها إلى الحنك الأعلى، فينطبق عليها فتصير محصورة؛ ولذلك سمّيت مطبقة. |
| المفتوحة | أنّها حروف لا يرتفع اللّسان بها إلى الحنك الأعلى، فينفتح عنها ولذلك سمّيت مفتوحة. |
| المستعليّة | أنّها حروف تستعلي إلى الحنك الأعلى، ولذلك سمّيت مستعليّة. |
| المنخفضة | المستقلّة: عكس المستعليّة. |
| المعتلّة | أنّها حروف تتغيّر بانقلاب بعضها إلى بعض بالعلل الموجبة، لذلك سمّيت معلّلة وسمّيت الألف والياء والواو، وحروف المدّ واللّين. أمّا المدّ فلأنّ الصّوت يمتدّ بها، وأمّا اللّين فلأنّها لانت في مخارجها واستوسعت، وأوسعهنّ مخرجا الألف، ويسمّى الهاوي لهويّة في الحلق. وحروف المدّ واللّين هي التي تكون منها الحركات وتمكّن من الصّوت بها ¹ |

إنّ هذين الجدولين يعلّقان على نفسيهما إذ لا يحتاجان للشرح.

ونبقى في مضمّار الحديث عن الحروف ومخارجها وتباعدها وتقاربها، "ومن ذلك تقريب الصّوت من الصّوت مع حروف الحلق نحو شعير وبعير ورغيف... ومن ذلك أيضًا قولهم فعل يفعل

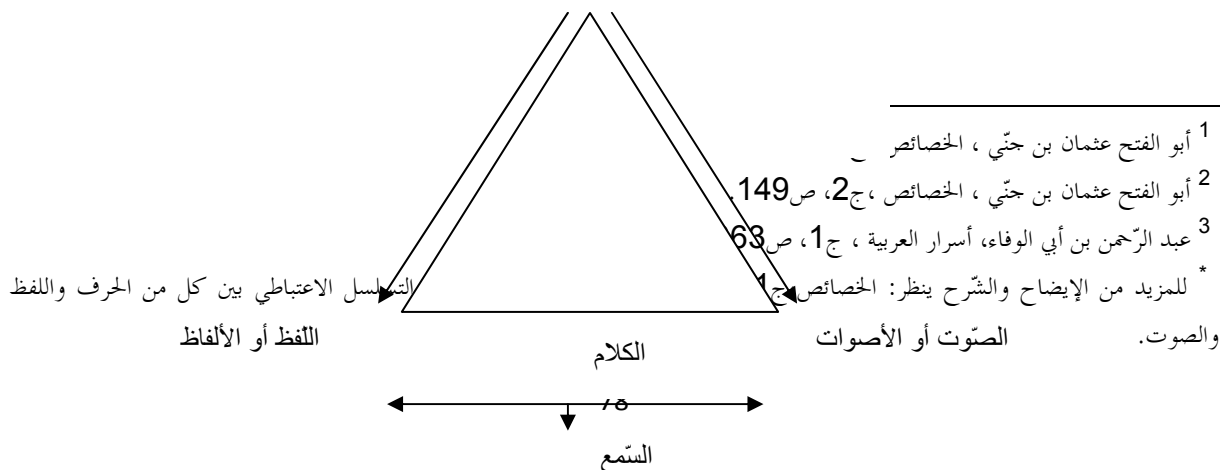
¹ ينظر: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرّماني، رسالتان في اللّغة، ج1، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دط، دار الفكر للنشر والتّوزيع، عمان، 1984م، ص83.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنخيم في القرآن الكريم

مما عينه أو لامه حرف حلقّي نحو: سأل يسأل، وقرأ يقرأ، وسعر يسعر، وقرع يقرع، وسحل يسحل وسبح يسبح؛ وذلك أنّهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعاً منه مخرج الألف التي منها الفتحة¹، كما كان لعلماء العربية رأيهم في أصوات الحروف لدى سماعها فهذا ابن جنّي يقول: "الصّاد أخت السّين، كما أنّ الهاء أخت الخاء ونحو منه قولهم سحل في الصّوت وزحر، والسّين أخت الزّاي كما أنّ اللّام أخت الرّاء، وقالوا جلف وجرم فهذا للقشر وهذا للقطع وهما متقاربان لفظاً؛ لأنّ ذلك من ج ل ف وهذا من ج ر م"²، كما تحدّثوا عن الحروف التي تتناسب أصواتها فيما بينها وتتجانس ويجوز لها أن تُدغم في بعضها، والحروف التي لا يجوز لها أن تُدغم "قليل... فلماً جاز أن تدغم الباء في الميم لتقاربهما، ولا يجوز أن تدغم الميم في الباء قيل إنّما لم يجز أن تدغم الميم في الباء نحو أكرم بكرةً، كما يجوز أن تدغم الباء في الميم نحو اصحب مطراً؛ لأنّ الميم فيها زيادة صوت وهي الغنة، فلو أدغمت في الباء لذهبت الغنة التي فيها بخلاف الباء، فإنّه ليس فيها غنة تذهب بالإدغام. وكذلك أيضاً لا يجوز أن تُدغم الرّاء في اللّام كما يجوز أن تدغم اللّام في الرّاء لأنّ في الرّاء زيادة صوت وهو التّكرير، فلو أدغمت في اللّام لذهب التّكرير الذي فيها بالإدغام.... وكذلك كلّ حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص صوتاً منه، وإنّما لم يجز إدغام الحرف فيما هو أنقص صوتاً منه؛ لأنّه يؤدّي إلى الإجحاف به وإبطال ما له من الفضل على مقاربه..."³.

إنّ هذه القضايا المتعلقة بالحروف من إدغام وغنة وتباعد وتقارب وتجانس وتكرار وغيرها كثير تفيد المدرج الصّوتي وسقناها على سبيل التّدليل وذلك لكونها تخدم اللفظ والصّوت بالدرجة الأولى. وتكمن نقطة التقائهما وتجاذبهما في التسلسل الاعتباطي*، وهذا ما تبينه لنا التّسمية الآتية:

الحرف أو الحروف



نستنتج من خلال هذا الرّسم البياني المستوعب للنّظر أنّه من الحرف تتشكّل الألفاظ، وعن طريق السّمع تستلذّ الأصوات أو تستهجن، وقبل السّماع يكون الكلام. "هذا الكلام إنّما هو حرف وصوت فقطّعه وجزّوه على حركات أعضاء اللّسان التي يخرج منها الصّوت، وهو من أقصى الرّئة إلى منتهى الفم. فوجدوه تسعة وعشرين حرفاً لا تزيد عن ذلك، ثمّ قسّموها على الحلق والصّدر والشّفة واللثة، ثمّ رأوا أنّ الكفاية لا تقع بهذه الحروف التي هي تسعة وعشرون حرفاً، ولا يحصل المقصود بإفرادها؛ فركّبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً"¹.

وعليه نأخذ هذا القول كمنطلق للولوج إلى مضمار اللفظ والصّوت، فالألفاظ تعدّ حجر الأساس الذي يرتكز عليها الصّوت "وذلك أنّ أرباب النّظم والنثر غربلوا اللّغة باعتبار ألفاظها... فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه. ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه... والمرجع في تحسين الألفاظ وقبحها إلى حاسة السّمع؛ فما يستلذه السّمع منها ويميل إليه هو الحسن، وما يكرهه وينفر عنه هو القبيح"²، كما تحدّث عن هذا الأمر أيضاً أفلاطون إذ قال: "من حزن فليسمع الأصوات الحسنة، فإنّ النفس إذا حزنت خمدت نارها، فإذا سمعت ما يطربها ويسرّها اشتعلت منها ما خمد"³ على إثر هذا "فإنّه إذا صحّ بالاعتبارات البلاغية تناسب المسموعات وتناسب انتظامها وترتيبها،

¹ جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، ج1، تحقيق: فؤاد علي منصور. ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م، ص32، 33.

² أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج2، تحقيق: يوسف علي طويل، ط1، دار الفكر، دمشق 1987م، ص224، 225.

³ نفسه، ص317.

الفصل الثاني: بين الوقف والتخيم في القرآن الكريم

وكون المناسبات الوزنيّة جزءٌ يدخل في تلك الجملة؛ لأنّ الأوزان هي المستعملة عند أهل النظم¹ ولأنّ الحسّ يعشق الرّثابة.

نستشفّ ممّا مر بين أيدينا وصريف أقلامنا أنّ هنالك أنوية توحى لنا بالعلاقة الحميمة بين الصّوت واللفظ، قد تكون ظاهرة أو خفية حسب السيّاق أو حسب الفضاء الذي تتفاعل فيه ذلك "لأنّ الألفاظ داخله في حيّز الأصوات؛ لأنّها مركّبة من مخارج الحروف... إذا كان اللفظ لذيذا في السّمع كان حسنا، وإذا كان حسنا دخلت... الخصائص والهيآت* في ضمن حسنه"². ونلاحظ هنا أنّ مركز الجاذبيّة بالنّسبة للفظ إذا حسن مسمعه، ولا داعي لتكرار ما تمّ ذكره في القول، فهو واضح جليّ ونستمرّ في طرح قضايا الصّوت واللفظ وذلك كما وردت عند العلماء. "كمقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث... وعليه قول أبي الدرداء يخضمون ونقضهم... فاختاروا الحاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، ومن ذلك قولهم التّضح للماء ونحوه، والتّضح أقوى منه. لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا﴾ سورة الرّحمن الآية (66)، فجعلوا الحاء لرفقتها للماء الخفيف، والحاء لغلظها لما هو أقوى منه..."³.

إنّ التّمييز ههنا بادٍ وواضح بين الحروف وأصواتها، ونوع اللفظة ونغمتها. فمن خلال التّطرق يتّضح ويتجلّى للعيان المقصود منها سواء أكانت شديدة أو العكس. "ومن له أدنى بصيرة يعلم أنّ لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل وهي على ذلك تجري مجرى النّعمات والطّعموم..."⁴، هذه الآراء والمعلومات تتحقّق عن طريق الممارسة والتّطبيق وجوّد

¹ أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب خوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1986م، ص226.

* المقصود بالخصائص والهيآت هنا التي أوردها علماء البيان في كتبهم - ويدخل كل هذا ضمن الفصاحة.

² أبو الفتح ضياء الدين نصر الله الموصلّي، المثل السائر، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، ص155.

³ السيوطي، المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، ج1، ص42.

⁴ عبد الكريم الموصلّي أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، المثل السائر، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1988م، ص156.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

التذوق للفظ وتخيّره، وهنا تكمن الفصاحة أيّ -فصاحة اللفظ- فهذه الأخيرة تجعل كلاً من المرسل والمرسل إليه يقطعان شوطاً كبيراً، ويمتازان الكثير من الغموض والتباسات من خلال تخيّر اللفظ المليح الفصيح حيث "ثبت أنّ الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإّما كان ظاهراً بيّناً؛ لأنّه مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنّما هو اللفظ؛ لأنّه صوت يأتلف عن مخارج الحروف... والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بالفصاحة؛ لأنّه ضدّها لمكان قبحه"¹، ولو أخذنا بعض الألفاظ على سبيل التمثيل؛ لتأضحت لنا الصّورة أكثر، وكذا البعد الصّوتي الذي نصبوا إليه، وذلك من خلال الجدول الآتي:

| البعد الصّوتي | | صفة اللفظ (هيئته) | | | | |
|------------------|---------------|-------------------|------|------|-----|----------|
| لا يستلذه السّمع | يستلذه السّمع | غير فصيح | فصيح | قبيح | حسن | اللفظ |
| | × | | × | | × | عرف |
| | × | | × | | × | فلح |
| | × | | × | | × | شحيّ |
| | × | | × | | × | بلغ |
| × | | × | | × | | البعاق |
| × | | × | | × | | ملع |
| × | | × | | × | | نقيق |
| × | | × | | × | | مستشرزات |

إنّ هذه الألفاظ ما هي إلّا قطرة من بحر سقناها على سبيل الإيضاح، ومن خلال هذا الجدول تظهر لنا عدّة قضايا طرحت سابقاً ونوردها في التّقاط التّالية:

*تباعدها المخارج أو تقاربها يلعب دوراً كبيراً في تحديد حسن اللفظ أو قبحه، وحاسّة السّمع هي الحاكمة في هذا المقام، فلفظة (مستشرزات) يصعب نطقها؛ لذلك تنبو عن الحسن الفصيح ولا يستلذّها السّمع.

¹ نفسه، ج1، ص82.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

* ظاهرة الإقلاب التي تحدّث عنها ابن جنّي تنقلنا من معنى إلى معنى، ومن صوت إلى صوت، كلفظ (بَلغ) يصبح (غلب).

* إلتقاء الصّوت الحقيقي مع اللفظ، فصوت الضّمدع مزعج في الأصل، وسماع اللفظة (نقيق)، وتصور الصّوت الحقيقي تشمئزّ منه النّفس.

ما نلاحظه "من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة وتحصرك عند تصوّرها، هيبية تحيط بالنّفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النّطق... أتضح إذاً إتّضاحاً لا يدع للشكّ مجالا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كليم مفردة... ومّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثمّ تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر..."¹، وهذا يُحيلنا إلى قضية أخرى وهي قضية المعنى التي يتغيّر عبرها اللفظ من موضع إلى آخر حسب مقتضى الحال.

ومما يجدر بنا التنبّه إليه هو أنّ لكلّ لفظ حسن خصائص صوتية تميّزه، وحروف تكوّنه فأثناء التلفّظ به إمّا ينساب بكلّ سهولة، أو يصعب التلفّظ به فـ"المطلوب عدم عرقلة النّطق بتجاوزات صعبة، فما يصعب النّطق به يعارض النّطق المناسب السّلس المتناغم، وهي كلّها صفات توصف بكلمات من قبيل السّلاسة... والسّهولة... ولهذا فكلّ وعورة في النّطق، وكلّ تجاوز غير منظم، وكلّ توعر مفراط تعرقل النّطق الحسن"²، بالتالي يكون التردّد الصّوتي أقلّ فاعلية، وأقلّ تأثيراً والعكس صحيح.

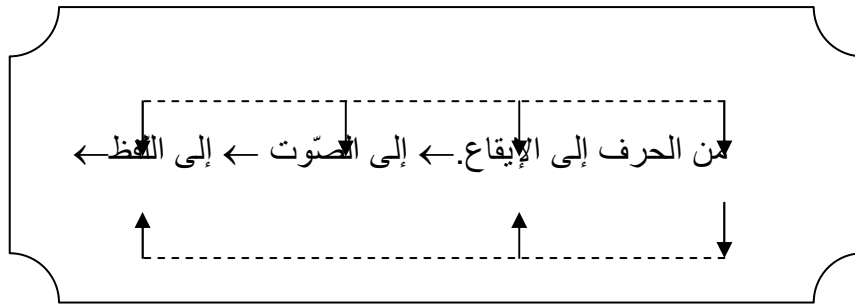
وهذا ممّا لا شكّ ناتج عن الانسجام الصّوتي أيضاً، فكلمة أتضح عنصر زاد العنصر الذي يليه وضوحاً وانبلاجاً من الحرف إلى الكلمة، ومن الكلمة إلى الجملة. وكلّها تدخل في حيّز الأصوات ونلاحظ من خلال هذه الألوان المختلفة من الأقوال أنّ الإيقاع يلازم الصّوت ولو لم يصرّح بهذا الأمر لفظاً. ولكنّه يستنتج من خلال العبارات والمعاني الموحية والدالة عليه، فلقد عُني العرب بالألفاظ عنايةً فائقة، ويعود ذلك إلى سببين: أوّلهما: ما تحمله الألفاظ من طاقة إيقاعية. وثانيهما:

¹ أبو بكر القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1995م، ص54.

² جمال الدّين بن الشّيخ، الشّعريّة العربيّة، ترجمة: مبارك حنون، محمد الوالي، محمداوراع، ط1، دار توبقال للنشر 1989م، ص82.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

لاعتبارها وسيلة لإبراز المعنى. إلا أنّ ما يُكسب الألفاظ إيقاعاً هاماً هو التّرجيع*... فهو إذن تناظر صوتيٌّ بالمماثلة أو المخالفة، ونقصد به في قضيّة الحال التّناظر بين لفظين متّحدين معنيٍّ ومبنيٍّ، وهو ما سمّاه العرب تكراراً، وإذا اختلف اللفظ الثاني في بعض معناه عن الأوّل عدّ ترديداً، وقد يكون هذا التّناظر أيضاً بين لفظين متّحدين مبنيٍّ في الكلّ أو في البعض ومختلفين كلّ الاختلاف في المعنى وهو ما سمّاه العرب جناساً¹، وليس الجناس والتّرجيع والترديد فقط هو ما ينتج لنا الإيقاع؛ بل هناك مصطلحات أخرى لها دورها الصوتي والإيقاعيّ: كالتّخيم والوقف والفاصلة... ومن كلّ ما سبق تظهر لنا هذه العلاقات والتي تتمظهر في ما يلي**:



1- تأثير الأداء الصوتي على الدلالات والمعاني (الإيقاعيّة):

سيكون منطلقنا في هذه الفقرة العنوان في حدّ ذاته، إذ تندفق من خلاله ومضات أسرة، فلدّى استنطاقنا له كشف لنا عما يريد أن يبوح به عبر الحجب، فكلّ لفظة من ألفاظه تحمل طلاسماً ينبغي كشف سرّها. فقد تُنطق اللفظة ومن خلال الصّوت التّاجم عنها نفهم معناها، وذلك حسب الغرض المنشود والمبتغى المراد الوصول إليه، وحسب السّياق الذي ترد فيه يفهم المعنى، وهذا كلّ تفسيره لنا مفاتن الصّوت من خلال التّخيم أو التّبر أو الوقف... إلخ.

ولو سقنا على سبيل المثال لفظة -صه- حتى ولو لم يُفهم معناها لدى من ليس له دراية باللّغة إلاّ أنّه من خلال نبرة الصّوت يصل إليه المقصود، كما تعدّ الأصوات عنصراً أساسياً من عناصر

* التّرجيع: مصطلح موسيقي جاء ذكره في "المقابسات للتوحيد" يقال ما اللّحن؟ الجواب صوت بترجيع خارج من غلظ إلى حدّة، ومن حدّة إلى غلظ بفصول بينه للسمع واضحة للطّبع، ص226.

¹ توفيق الزّبيدي، مفهوم الأدبيّة في التراث التقدي، ص143، 144.

** ترسيمة توضّح العلاقة القائمة بين كلّ من الحرف واللفظ والصّوت والإيقاع.

الفصل الثاني: بين الوقف والتخيم في القرآن الكريم

الإيقاع عموماً، "فلهذه الأصوات وظيفة في إطارها الاجتماعي... والأصوات لها نظامها الفرعي الخاص، أعني النظام الصوتي"¹، وعبر هذا الأداء الصوتي يصبح الأثر أسراً ساحراً، ونظراً عطراً خصوصاً إذا ما أنتقيت الألفاظ بكلّ عناية .

لكن علينا أن لا ننسى دور التلفظ والفاعل فيه وهو اللسان؛ لأنه شيء وسيط بين الصوت والمعنى، يكمن في التوحيد بينهما عن طريق تفكيكهما في الوقت نفسه"²، وهذا للدليل آخر على تعالق الصوت بالمعنى "فهناك صلة بين الصوت والمعنى؛ وذلك يؤكد البعد التغمي في النص القرآني ويعطي للقيم الصوتية دوراً تأسيسياً في البناء"³. وفهم المعنى إنطلاقاً من الصوت وارداً ومعمولاً به في كثير من الميادين وحتى في الحياة الاجتماعية، فالطفل مثلاً: يفهم أمه في بداية مراحل التطقية من خلال طريقة كلامها، فإن قام بفعل مُشين تنهره أو تصرخ في وجهه، فيفهم مُرادها ويرتدع ويتوقف وفعل الانتهاء ذلك كان من خلال فهم الطفل لنبرة صوت الأم.

2- البعد السيميائي للصوت:

بعد اللمحة الموجزة عن التأثير الصوتي للدلالات والمعاني، تبدأ جولتنا السيميولوجية مع الصوت وهو يتوارى خلف العديد من الألفاظ الدالة عليه، وبغض النظر عن أصوات الحروف لدى التلفظ بها، فإن تناغمها وتشكلها يتمخض عنه معنى يوحى لنا بالصوت، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال إيرادنا لأقوال من لدن الأدب العربي في رحلتنا بقطفنا من كل روض زهرة، نعبق بها شذى هذا العنصر.

ف نجد صاحب (مختار الصحاح) شرح فيه معنى كلمة "ج ر س، الجرس بفتح الجيم وكسرهما الصوت. يقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله، وفي الحديث (فيسمعون جرس طير الجنة)، وجرس الحلي أيضاً صوته، وأجرس الطائر إذا سمع صوت جرسه، والجرس بفتحين الذي يعلق في عنق البعير، والذي يضرب به أيضاً"⁴. ونجد هذه الكلمة قد حملت

¹ ممدوح عبد الرحمن ، المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دط، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994م، ص32.

² رولان بارت ، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة: محمد البكري، دط، كلية الآداب ، مراکش، الدار البيضاء، فبراير 1986م ص90.

³ صابر عبد الدائم ، موسيقى الشعر العربي بين التطور و الثبات ، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م، ص26.

⁴ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي زين العابدين الجوهري، مختار الصحاح، ج1، دط ، دار الكتب العلمية ، دت ، ص42.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

في جعلتها الكثير من الدلالات الصّوتية كلّما تغيّرت الحركات والمقاطع الصّوتية، كما يورد الجزري صاحب كتاب (النهاية في غريب الأثر) دلالات صوتية أخرى فيقول: "أدبر الشيطان وله هزج ودزج، قال أبو موسى والهزج صوت الرّعد والبان، وهزّجت القوس صوتت عند خروج السّهم منها"¹، وهناك من تطرّق إلى أنّ "الصّلصلة صوت الحديد، وكلّ صوت حاد"²، وفي (مجمع الأمثال) "الزّزمة الصّوت يعني صوت الفرس إذا رآه يضرب للرجل يخدم لثروته... الزّزمة جمع صليب، والزّزمة صوت عابديها"³. وقد أوضح صاحب (ديوان الحماسة) أيضا معنى كلمة "الصّفير كل صوت يمتدّ مع رقّة، معناه أنّ الضّعيف أتى في وقت السّحر"⁴.

ومع اختلاف الألفاظ ومعانيها تختلف دلالاتها، فهناك من اللفظ ما يدلّ على صوت شيء أو إنسان أو حيوان أو أصوات أخرى تكون غائبة عن أذهاننا. وهو عائذٌ إلى الفروق التي لا تخصي ولا تعدّ في الأصوات. فصاحب كتاب (أدب الكاتب) تحدّث عن هذا بإفراده بابا له اسمه "باب فروق في الأصوات: أزل كل شيء صوته، والجرس صوت حركة الانسان، والرّكز الصّوت الخفيّ. ونحو ذلك الهمس والخرير صوت الماء، والغرغرة صوت القدر، وكذلك الهزة والوسواس صوت الحلي. والشّخير من الفم، والتّخير من المنخرين، والكرير من الصّدر... وقال أبو زيد: الكرير الحشرجة عند الموت"⁵، وكلّ هذه الفروق وغيرها إمّا يعود للفظة في حدّ ذاتها وكيفية نسج مقاطعتها، وإمّا يعود إلى معانيها فـ "المنابر مواضع التبر، وهو الصّوت لأنّها نُصبت للمواعظِ والخطب"⁶.

¹ أبو السّعادات المبارك بن محمّد الجزري، النهاية في غريب الأثر، ج2، تحقيق: طاهر أحمد الرّازي، محمود محمد الطناحي، ط2، المكتبة العلمية، بيروت: 1399هـ/1979م، ص116.

² السيوطي، المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، ج2، ص453.

³ أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني التّيسابوري، مجمع الأمثال، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1988م، ص206.

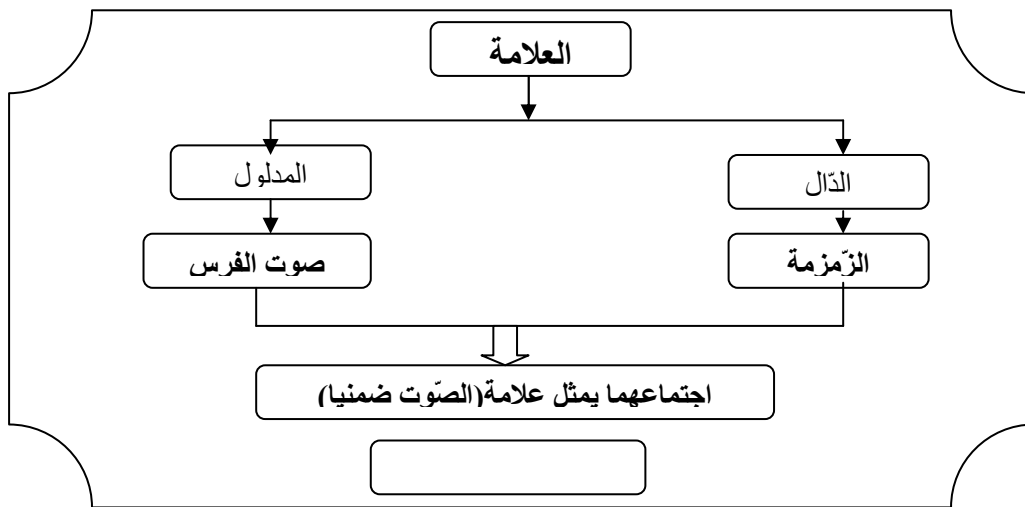
⁴ أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ديوان الحماسة، ج2، تحقيق: محمد التّنجي، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م، ص297.

⁵ أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدّينوري، أدب الكاتب، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، ط4، المكتبة التجارية، مصر، 1963م، ص133، 134.

⁶ عبد القاهر الجرجاني، ديوان الحماسة، ج1، ص98.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

وجاء في (المزهر) بعض الألفاظ الدّالة على الصّوت، نورد منها "ظليم هجاهج كثير الصّوت... وصيدح شديد الصّوت"¹، كما جاء في (التهاية في غريب الأثر) "الجوّار رفع الصّوت والاستغاثة"²، وكلمة "السّلق شدّة الصّوت"³، لقول الله عزّ وجلّ ثناؤه: ﴿سَلَقُواكُمْ بِالْسَيْتِ حَدَادٍ﴾ سورة الأحزاب، الآية (19). أمّا "قوله صلّى الله عليه وسلّم: (لقد أُوتِي مزماراً من مزامير داود)؛ فليس المراد به التّرديد والتّلحين، وإنّما معناه حسن الصّوت وأداء القراءة، والإبانة في مخارج الحروف والنّطق بها"⁴. إنّ هذه الكلمات الدّالة وغيرها تومئ لنا بالصّوت، وتختلف دلالتها حسب الموضوع أو السيّاق الذي ترد فيه ممّا يُضفي على النصّ طابعاً خاصّاً يتحرّى فيه المتلقّي كلّ ما خُفي وتوارى تحت برقع اللفظ. وسنسوق الآن ترسيمة تُوحى لنا بسميائية الصّوت إنطلاقاً من الدّال والمدلول؛ لأنّ اجتماعهما يمثّل لنا العلامة - علامة الصّوت ضمناً -



هذا مجرد مثال جئنا به ليّتضح أكثر هدفنا المُبتغى، وتنطبق عليه باقي الكلمات الدّالة على الصّوت. ثمّ عدنا لنوضّح دلالة أصوات كلمات أخرى وردت في أمّهات الكتب

¹ السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ج2، ص133، 135.

² الجزري، التهاية في غريب الأثر، ج1، ص232.

³ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، ج1، تحقيق: محمّد شاکر، عبد السلام محمد هارون، ط4، دار المعارف القاهرة، 1949م، ص45.

⁴ عبد الرّحمن أبو زيد ولي الدّين ابن خلدون، مقدّمة العلّامة ابن خلدون، ط1، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت لبنان، 1424هـ/2003م، ص408.

الفصل الثاني: بين الوقف والتخيم في القرآن الكريم

فـ "التقع: اختلاط الأصوات"¹، ومنه كذلك "رغا البعير وجرجر وهدر وقبب، وأطلت التّاقة ومهل الفرس وحمحم ونهل الفيل ونفق الحمار، وسحل وشحج البغل وخارت البقرة"². إنّها جلّها ألفاظ دالّة على أصوات الحيوان، وإذا ما أردنا معرفة الألفاظ الدّالة على أفعال وأصوات نافيها واردة لدى ابن جنّي: و"قالوا صرّ الجندب (فكرّروا الرّاء) لما هناك من استطالة صوته، وقالوا صرصر البازي فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته، وسمّوا الغراب غاقاً حكاية لصوته والبطّ بطاً حكاية لأصواتها"³، وكما "يقال سمعت خرير الماء، وسمعت أليل الماء أي صوت جريه"⁴، و"المهرهرة صوت الضّأن والبربرة صوت المعز"⁵ و"الكحلبة للنّار إذا توقدت، والمعمعة صوت لهبها إذا استوى توقدها، والهيقعة صوت ضرب السيّوف"⁶. و"رفع الصّوت في اللّغة هو الاستهلال، يقال استهلّ المولود صارخاً إذا رفع صوته عند الولادة. وأهل الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتّلبية، وسمي الهلال هلالاً لأنّ الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته"⁷، وكذا كلمة "الصّرف في اللّغة هو الصّوت الضّعيف كقولهم صرف ناب البعير وصرفت البكرة ومنه صريف القلم"⁸. كما ورد في "كتاب الأصوات لابن السكّيت حكى أنّه لصرنقح الصّوت واصلقح الصّوت بالرّاء واللام أي صلب الصّوت"⁹. إنّ هذه الأقوال جميعها وضّحت البعد السّمائي للصّوت في كثير من الألفاظ، فاللّغة العربيّة مليئة بالأسرار التي تستدعي منا تفصيها واكتشافها.

¹ أبو الرّبيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقي الدّين المصري، إتفاق المباي وإفراق المعاني، ج1، تحقيق: يحي عبد الرّؤوف جبر، ط1، دار عمار، عمان، 1985م، ص93.

² أبو الفرج جمال الدّين بن علي بن محمد بن جعفر الجزري، المدّش، ج1، ص46.

³ ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص65.

⁴ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، ج1، ص421.

⁵ أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ج1، تحقيق: إحسان عبّاس، عبد المجيد عابدين، ط3، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص515.

⁶ نفسه، ج1، ص449.

⁷ تقيّ الدّين أبي بكر علي عبد الله الحموي الأزرازي، خزّانة الأدب، ج1، تحقيق: عصّام شعيتو، ط1، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1887م، ص30.

⁸ أبو البقاء العكبري، مسائل خلافيّة في التّحوي، ج1، تحقيق: محمّد خير الحلواني، ط1، دار الشّرق العربي، بيروت، 1992م، ص103.

⁹ السيّوطي، المزهّر في علوم اللّغة وأنواعها، ج1، ص436.

مّا سبق نصادف الصّوت وهو يتوارى خلف حجاب اللفظ يومئ لنا بالكثير من الدّلالات، فحينئذ تدلّ اللفظة على صوت شيء، وقد تدلّ على صوت حيوان أو عن فعل أحدث صوتاً، أو عن أصواتٍ من الطّبيعة، وكلّها غير مُصرّح بها علناً؛ بل يتمّ استنتاجها من خلال اللفظة في حدّ ذاتها. ذلك كون اللفظة تعتبر دالّاً والصّوت مدلولها، فباجتماعهما تتكوّن لدينا ما يُسمّى العلامة في علم

عبر هذه اللمحة الخاطفة والرّحلة السيميولوجية القصيرة لمسنا تعالق العلوم بعضها ببعض، فكلّ علمٍ مكملّ للآخر، إذ أنّ النظرة السيميائية وضّحت لنا الكثير من الدّلالات الصّوتية الدّقيقة داخل اللفظ، وهو ما كنّا نرمي إليه من خلال عنواننا (البعد السيميائي للصّوت).

المبحث الثاني: اشتغال الوقف بالقرآن وجوانبه السّحرية:

1- الوقف القرآني:

يعتبر كلّ من الوقف والتّخيم من الظواهر الصّوتية البارزة في الدّراسات القرآنية، وهذا لما لهما من جوانب سحرية تزيد النصّ القرآني تألقاً وجمالاً، إذ أنّ لكلّ منهما خصوصيته، ورغم هذه الخصوصية إلّا أنّنا نلفي رابطاً عجيباً بينهما يتمثّل في النّغم الموسيقيّ، وهذا ما يسمّى بموسيقى الكلام¹؛ لأنّ فيهما نغمات نابغة من كليهما.

● **الوقفات القرآنية:** إنّ الوقفات القرآنية توحى لنا بلفظ الوقف، وحتى تُزيل الغموض عن هذا الأخير يجب علينا أنْ نكشف عن لبّه وواسطة عقده ونقش فصّه، هذا لا لشيء إلّا لتتضح الصّورة في ذهن القارئ، وهنا سنتطرّق لتعريفه لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الوقف لغة: لقد تعدّدت تعاريف الوقف لغة غير أنّها تصبّ في نفس المعنى، فهناك من فكّك الكلمة في قوله: "الواو والقاف والفاء، أصل واحد يدلّ على تمكّث في شيء، ثم يقاس عليه، ومنه

¹ ينظر: ماريو باي، أسس علم اللّغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط1، منشورات جامعة طرابلس، 1973م، ص55.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

وقفت أرف وقوفا ،ووقفت وقفي¹ ، وهناك من اشتقّ الكلمة من الوقوف "والوقوف، خلاف الجلوس، وقف بالمكان وقفاً، ووقوفاً فهو واقف"².

يقول الخليل في هذا الشأن: "الوقوف: مصدر قولك: وقفت الدابة، ووقفت الكلمة وقفاً"³، وهناك من

فصل فيه وقال⁴: "اللفظ (الوقف) مصدر ثلاثي من الفعل وقف، وهو مثال واويّ على شاكلة وعد ووصل وورد، وهي تدلّ في عمومها على الحبس والتّرك والإنقطاع عن فعل الشّيء بعد الشّروع فيه فعلاً". كما يبرز أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري في معجمه (أساس البلاغة) معنى الوقف أثناء القراءة وذلك في قوله: "وقف القارئ على الكلمة وقوفاً، ووقف الكلمة وقفاً، ووقفت (بالتّشديد) توقيفا علّمته مواضع الوقوف... ومن المجاز: وقفته على ذنبه وعلى سوء صنيعه، ووقف على المعنى أحاط به"⁵. أمّا الفيروز أبادي في القاموس المحيط فيقول في هذا الصدد "وأوقف سكت، وعنه امسك وأقلع... واستوقفته سألته الوقف"⁶، وهذان القولان يتفقان في كون الوقف هو الإقلاع والحبس وترك الشّيء. وفي حديث الحسن البصري: "إنّ المؤمن وقاف متأنّ، وليس كحاطب ليل"⁷. ولا بدّ من التّنويه بأنّ الوقف يجعل الإنسان يتأنّ، وإذا تأنّى أدرك ما تمّنى وأصاب المعنى المراد وحقّقه، وهكذا يدخل معنى التّدبّر "ووقف على الشّيء: تدبّره، ونظر فيه"⁸؛ أيّ تأمّله وأدرك معانيه وأتمّها قراءةً. ومن الدّارسين من أراد بالوقف معيّنين في قولهم: "توقّف عن

¹ ابن فارس، مقاييس اللّغة، ج6، تحقيق عبد السلام هارون، دط، دار الفكر بيروت، 1399هـ/1979م، ص135.

² الزّيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، مادّة وقف، مج24، دط، حكومة الكويت، دت، ص468.

³ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مج05، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دط، مطبعة الرّسالة، الكويت، 1400هـ-1980م، ص223.

⁴ المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيّر المعاني النحويّة من خلال سورة النّساء، ص51.

⁵ الزّمخشري، أساس البلاغة، راجعه وقدم به إبراهيم قلاتي، دط، طبعة دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دت، ص740.

⁶ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج3، ص212.

⁷ الحسن بن محمد بن الحسن الصّغاني، العباب الرّآخر واللبّاب الفآخر، تحقيق: الشّيخ حسن آل ياسين، دط، مطبعة دار الرّشيد العراق، 1981م، ص638.

⁸ مالك بن أنس، الموطأ، ج1، صحّحه ورّقمه ونشره محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء الكتب العربيّة، 1370هـ، 1951م، ص201.

الفصل الثاني: بين الوقف والتخيم في القرآن الكريم

الأمر توقفاً امتنع وكف... توقّف فيه تمكّت وانتظر¹. والتوقّف في هذا المفهوم يعتبر انقطاعاً كلياً أو تمكّناً وانتظاراً، ومّن يساند هذا الرأي ويذهب مذهبه صاحب (معجم الأفعال المتعدية بحرف) الشيخ موسى الأحمدي الملياني إذ تحدّث في هذا السياق "توقّف على الأمر، تلبّث عليه، وتوقّف عن جواب كلامه وأنا متوقّف في هذا لا أمضي رأياً"².

وبتنوّع هذه المعاني لكلمة وقف وتقلباتها، سعت لجنة مجمع اللغة العربية المكلفة بتأليف (المعجم الوسيط) سعيًا حثيثاً، وذلك في إيرادها لهذا الأمر في مضاربه وسياقاته المختلفة في قولهم: "وقف الانسان جعله يقف... ووقف القارئ علمه موضع الوقف... وتوقّف عن كذا امتنع وكف، والوقف في القراءة قطع الكلمة عمّا بعدها"³. وهناك من نحى نفس المنحى في التعريف، وهو صاحب تهذيب لسان العرب إذ أشار إلى أن "وقف الحديث بينه، ووقفته على ذنبه أي أطلعته عليه"⁴.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أنّ هذه الكلمة - وقف - وردت في مواضع مختلفة من القرآن الكريم ونأخذ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ^ط إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الصافات(24)، أي "أحبسوهم"⁵. ونجد هذه الكلمة متداولة في الشعر أيضاً، وذلك في قول ذي الرمة:

"وقفت على ربع لمية ناقتي *** فما زلتُ أبكي عنده يوم أحاطبه"⁶.

والوقوف هنا بمعنى المكوث. ولقد تطرق اللغويون إلى معنى الوقفة، وذلك بوصفها أنّها: "الهدأة التي يحتاج إليها الخطيب أو المتكلم أو الشاعر حينما يتكلم، فيتوقّف برهة ليتابع حديثه"⁷، ونضيف

1 سعدي أبو حبيب، المعجم الفقهي، ط2، دار الفكر دمشق، سوريا، 1419هـ/1998م، ص385.

2 الأحمدي موسى بن محمد الملياني، معجم الأفعال المتعدية بحرف، ط1، دار العلم للملايين، 1979م، ص439.

3 حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، المعجم الوسيط، مج2، مجلة مجمع اللغة العربية، ط2، مطابع دار المعارف مصر 1393هـ، 1973م، ص1051، 1052.

4 علي مهنا، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ج2، دط، دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م، ص755.

5 الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج8، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ص441.

6 ديوان ذو الرمة، تصحيح وتنقيح: كارليل هندي هيس مكارتي، دط، طبع لكلية كاترج، 1337هـ/1919م، ص37.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

حديثه¹، ونضيف إلى هؤلاء قارئ القرآن أثناء ترتيله أو تجويده، فهو يحتاج إلى الوقفة - الوقف - من حين إلى حين.

نلاحظ من خلال إنتقالنا عبر فضاءات تعريف الوقف لغة أنّ هذه الكلمة حملت في جمعيتها الكثير من الدلالات، وهذا ما جعل العلماء وأصحاب المعاجم والقواميس يتناولونها بالدرس؛ لأهميتها وشيوعها في الاستعمال. فمن خلال ما أوردناه سابقاً من تعاريف مختلفة للوقف في اللغة نرى بأن هذه الكلمة لم تبقَ في بوتقة ضيقة، بل شهدت إنفراجاً في المعنى، وذلك في علوم وفنون مختلفة، وهو ما سنتطرق إليه في التعريف الاصطلاحي.

ثانياً: الوقف اصطلاحاً: سنتعرض لأهم ما أُصطلح وأُثفق عليه في الجانب المفهومي للوقف حسب السياق الوارد فيه والعلم الذي يندرج ضمنه، فقبل كل ذلك "وانطلاقاً مما سبق نوّكد أنّ الوقف لفظ يراد به وقف القارئ على الكلمة المفضية إلى انتهاء المعنى المتوخى في الجملة المقروءة أو الآية المتلوّة كاملة أو على جزء منها حسب مقتضى الوقف"². وفي هذا القول تأكيد على ربط الوقف بالمعنى، فقارئ القرآن مثلاً لا يقف كيفما شاء، وإنما يرتبط الوقف عنده بتمام المعنى في كامل الآية أو في جزء منها، حسب ما تدعو إليه الحاجة أثناء القراءة الصحيحة؛ لكي لا يختل المعنى. ويعتبر الوقف نوعاً من التنفيس عن القارئ كي لا تشقّ عليه القراءة، إذ يرى البعض بأنه "قطع الصوت عن الكلمة زمناً يُتنفّس فيه عادة بنية استئناف القراءة"³. وهنا نوع من إستراداد للتنفس مقرون بنية الاستئناف في الآية الموالية أو حتى في المعنى الموالي، هذا النوع من الوقف نجده في علوم القرآن خاصّة عند القراء في التجويد، فلِكَيْ تنجلي وتّضح الأمور في مفهوم الوقف نُوردُ بعض الآراء المتعلّقة به وبالميدان الذي تستخدم فيه هذه الكلمة، والمعنى الذي تكتسبه من رأي لآخر، ومن ميدان لآخر ونبدأها بـ:

أ- الوقف في علوم القرآن (عند القراء وأهل التجويد):

¹ التوحي محمد، المعجم المفصل في الأدب، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ-1993م، ص888.

² المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيير المعاني النحوية من خلال سورة النساء، ص54.

³ محمد شاعري، المختصر المفيد في قواعد التجويد، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م، ص183.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

إنّ الوقف هنا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقراءات القرآنيّة "ويكون الوقف هنا بمعنى السّكوت على آخر الكلمة زمنياً يتنفس فيه على أن يستوفي العامل معموله ويتمّ معنى الجملة، ويكون الوقف على رأس الآية ووسطها من خلال تدبّر معاني القرآن لمعرفة الأماكن التي يجوز فيها الوقف، والأماكن التي لا يجوز الوقف عليها، والمعنى هو الأصل في هذه العمليّة"¹؛ أي أن القارئ كلّما كان على دراية واسعة بمعاني القراءة، يسهل عليه تطبيق الوقف وخاصّة إذا كان وسط الآية، فالتركيز أثناء القراءة من العوامل الأساسيّة لتحقيق الوقف.

وقد تحدث أبو يحيى زكرياء الأنصاري عن الوقف كونه يرتبط بمعنيّين في قوله "الوقف يطلق على معنيّين، أحدهما القطع الذي يسكت القارئ عنده، وثانيهما المواضع التي نصّ عليها القراء"²، وتلك المواضع مرتبطة بالرّسم الموجود في الكتاب القرآنيّ، وهي تختلف باختلاف القراءات. وهذا العلم - علم القراءات - يعتبر بمثابة المرشد لقارئ القرآن، فيتعلّم من خلاله مواضع الوقف المختلفة التي يجب مراعاتها أثناء وقوفه، وهذا من باب الحرص على سلامة اللّغة ووضوح وانسجام المعنى، وصولاً إلى الهدف المنشود من خلال تحقيقه - الوقف - أثناء القراءة، وهو ما يسمّى "الفهم والإدراك"³ فكلمة فهمت المعاني وأدركت عُرف مكان الوقف عليها، فلا يختل المعنى ولا تنكسر اللّغة.

ب- الوقف في اصطلاح الفقهاء:

يرتبط الوقف عند الفقهاء بالصدقة، فهو في هذا الصّدد يُعرّفونه بقولهم أنّه "الحبس، وهو الصدقة المحبوسة؛ أي الموقوفة للصّالح العام"⁴؛ أي يُنتفع بها وتبقى موقوفة لفائدة الجميع، والقصد منه إبتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ، ونيل الأجر منه جلّ وعلاً. ولقد قيل: "للموقوف وقفا، تسميّة بالمصدر ولذا جمع على أوقاف، ووقوف"⁵، فالوقف هنا غير الوقف في القراءات؛ لأنّه يتعلّق بما

¹ المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في سورة النساء، ص 56.

² الأنصاري، المقصد لتخليص ما في المرشد للمعاني، دط، دار المصحف دمشق سوريا، دت، ص 02.

³ أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف و الإبتداء، تحقيق: محي الدّين عبد الرحمن رمضان، دط، دمشق، 1971م، ص 21، 22.

⁴ الشّافعي محمد بن إدريس، الأمّ، ج 4، دط، مطبعة محمّد زهري النجّار، مصر، دت، ص 58.

⁵ سعيد الحذري الشّرتوني اللّبناني، أقرب الموارد في فصيح العربيّة و الشّوارد، دط، بيروت، دت، ص 14، 18.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

يُوهَب لشخص أو أشخاص بغرض الانتفاع مع شرط عدم التصرف فيه، كأن يُقال هذه المكتبة وقف للمسلمين؛ أيّ ينتفعون بها وبما فيها من كتب دون بيعها أو التصرف فيها. ومن خلال ما تقدّم من تعاريف للوقف لغة واصطلاحاً نصل إلى نتيجة هامّة وهي أنّ الوقف على اختلاف دارسه قد حضى باهتمام بالغ، هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى أهميته في شتى الفنون والعلوم.

ج- الوقف في اصطلاح اللّغويين: المفصل (joncture) :

ويطلق كذلك عليها مصطلح "الانتقال (transition)"¹، وهو "عبارة عن سكتة خفيفة بين الكلمات، أو مقاطع في صوت كلاميّ بقصد الدلالة على مكان إنتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر"². هنا نقرّ بأنّ الوقف يعتبر بمثابة المحطّة أو الموقف الذي يقف عنده المتكلّم أو القارئ للقرآن وذلك عند إتمامه للمعنى سواء أكان جزئياً أو كلياً، أو عند انقطاع النفس وتجنيدته، وهو ما يؤكّده جون كوهن في أنّ "الوقف في الأصل، حسب ضروريّ للصوت حتى يسترجع المتكلّم نفسه، فهي في حدّ ذاتها لا تعدو أن تكون ظاهرة فيزيولوجيّة خارجة عن الخطاب"³، لكن هناك من يرى أنّ القضية لها بعد دلاليّ يُراد منه إزالة الغموض واللبس إذ "أنّ قارئ النصّ سواء أكان الأديب أو المتلقّي تعدّ وقفاته أو سكتاته الكلاميّة ذات دلالة في توضيح المعنى"⁴، فالفواصل عند كمال بشر هي: "الوقفة (stop)، والسكتة (pause)، والاستراحة أو آخر النّفس، وكلّها ذات خطر وبال في صحّة الأداء الصّوتيّ وتجنيدته"⁵.

فالظاهرة الأخيرة جدّ مهمّة في الدّرس الصّوتيّ كغيرها، حيث أنّ (المفصل) أو (الوقف) أو (السكتة الكلاميّة) كلّ منها "يعتبر من الفونيمات فوق التّركيبية التّحريبيّة المصاحبة للكلام، وهو

¹ ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغوي، ص 196.

² مراد عبد الرّحمن مبروك، من الصوت إلى النصّ، ص 63.

³ جان كوهن: بنية اللّغة الشعريّة، ص 55.

⁴ مراد عبد الرّحمن مبروك، من الصوت إلى النصّ، ص 64.

⁵ كمال بشر، علم الأصوات، ص 553.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

مثل: التبر والتّخيم يميّز النظام الصّوتي للغة، ونستطيع عن طريقه التّمييز بين الأداء الكلامي لأبناء اللغة وغيرهم، وله دور وظيفي في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلّم¹

فكلّما رأينا بشكل عامّ الأسس العامّة التي تقوم عليها الفواصل، لنا أن نُخصّص في تبيان الأمور وتوضيحها، فوجود هذه الفواصل "مرتبط بأمرين: المعنى والدلالة (أي معنى الكلام ودلالته)، وكذلك القواعد التّحوية للغة: (فلكلّ لغة صحّتها النحويّة التي يلتزم بها متكلّموها)². ويورد مراد عبد الرحمن مثالا من كتب البلاغة في قوله: "إذا ملك لم يكن ذا هبة *** فدعه فدولته ذاهبة". والتّمثيل هنا خاصّ بالكلمتين ذاهبة فالكلمة الأولى مركّبة لذا وجب الوقف فيها (ذا+هبة)، أمّا الثانية فيجب نطقها بدون وقف³. كما يجب ألا نغفل دور علامات الوقف في تحديد الوقف وإعطاء الرّاحة للجهاز التنفّسي ليستردّ أنفاسه، "إذ أن تشكّل علامات التّرقيم في اللغة المكتوبة وبخاصّة علامة الوقف الدالّ في اللغة المنطوقة أهميّة كبيرة في كشف دلالات النصّ الأدبيّ يعتمد على أمرين أساسيين: الأوّل علامات التّرقيم وبخاصّة علامة الوقف من خلال النصّ المنطوق وتوضيح مدى التأثير الدلالي الذي يحدثه الوقف في النصّ ومدى توافق الوقف (المفصل) مع الحالات الشعوريّة التي يطرحها النصّ الأدبي⁴. وعليه فإنّ الوقف (المفصل) يؤثر بشكل خاصّ وبكلّ هدوء في العمل الفنيّ أو الأدبي و حتى في النصوص القرآنيّة وتفسيراتها.

2- أنواع الوقف و أقسامه:

لا أحد بإمكانه أن يُنكر أن التتابع الصّوتي يتميّز بانقطاع وتوقف نظرا لأسباب مختلفة إختلاف العلماء :

1 مراد عبد الرحمن مبروك ، من الصّوت إلى النصّ ، ص64.

2 حسام البهنساوي ، علم الأصوات ، ص170.

3 مراد عبد الرحمن مبروك ، من الصّوت إلى النصّ ، ص64.

4 مراد عبد الرحمن مبروك ، من الصّوت إلى النصّ ، ص65.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

أ- فمنهم من يُرجع ذلك إلى إستحالة القراءة من نفس واحد، إذ يحتاج القارئ إلى تحديد الهواء. وهذا الجانب الفيزيولوجي مهمّ، حيث أنّه "لمّا لم يُمكن القارئ أن يقرأ السّورة أو القصّة في نفس واحد... ووجب حينئذ اختيار وقف للتنفّس والاستراحة"¹.

ب- وهناك من يرى أنّ أمر الوقف يكون في بعض الأحيان على سبيل الجواز فـ "اعلم أنّ الوقف في الكلام قد يُمكن أن يكون من غير انقطاع نفس، وإن كان لا شيء من انقطاع التّفنّس إلّا ومعه وقف، والوقوف أمرها على سبيل الجواز إلّا الذي بُني عليه الكلام وما سواه، فعليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل بشرط أن تطابق به انقطاع نفسك لينجذب عند السّكت إلى باطنك"²، فههنا نجد أنّ أمر الوقف قد يكون اختياريًا حسب رغبة القارئ بعيدا عن الجانب الفيزيولوجي المذكور أعلاه إذ النوع الأول يصطّح عليه بالضروري، أمّا الثاني يكون اختياريًا.

فما الفرق الحقيقيّ بينهما، وما الحكمة من ذلك ؟

النوع الأوّل: الوقف الضّروري:

فهو غير مقصود (القارئ يقع فيه غالباً لا إرادياً)، إنّما هناك من الموانع ما يُعيق الإتمام داخل الآية، فالضرورة هنا هي التي دفعت بالقارئ إلى مثل هذا دون تعمدٍ لكنّ هنا علينا التّفرقة بين: ضرورة لمجرّد انقطاع التّفنّس، وبين ضرورة لمانع لا إراديّ أو تنبيهيّ على سبيل المثال لا الحصر. فيتّضح لنا أنّ هناك أقساماً تتفرّع عن العامّ (الضروري) وفق سبب الوقف كما ذكرناه سابقاً وهي كالآتي:

أ- الوقف الاضطراريّ:

¹ ابن الجزري، التّشريح في القراءات العشر، ج1، ص224، 225.

² الرّكشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص446.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

وقد يلقّب بالإجباريّ نظراً لارتباطه بالجانب الفيزيولوجيّ للقارئ والمتعلّق بالتنفّس و"انقطاع النَّفس"¹، كما يرى الشيخ محمود خليل الحصري أنّ هذا النوع "هو الذي يضطرّ إليه القارئ اضطراراً بسبب انقطاع نفسه أو ضيقه أو عجزه أو غلبة التّوم أو العطش"². هذا الأخير قد أضاف بعض المسبّبات عدا التنفّس ، كما هناك من يربط هذا النوع من الوقف بالعياء على غير السابقين إذ أنّه "وقف عند ضيق النَّفس والعي"³، لكن ههنا على القارئ الذي وقّع في مثل هذا النوع من الوقوف أن يبدأ من الكلمة التي وقف عليها إذا كانت صالحة للإبتداء وإلاّ الرجوع إلى ما قبلها.

ب- الوقف الاختباريّ:

ويسمّيه بعض العلماء "بالوقف الامتحاني"⁴، لا لشيء إلاّ لكون المعلم يمتحن فيه المتعلّم بالوقف في مواضع مختلفة قد لا يكون فيها الوقف مسموحاً قصد اختبار الطالب "وهو ما يمتحنه الأستاذ بقوله: كيف تقف على هذا اللفظ بعينه ليعلم مهارته في وجوه قراءاته"⁵، ومن ذلك كاختباره في كَيْفِيَّةِ إمالة الحرف الموقوف عليه أو تسهيله أو مدّه أو قصره، وهو كذلك "أن يقف القارئ على كلمة ليست محلاً للوقف عادة، ويكون ذلك في مقام الإختبار أو التّعليم من أجل بيان حكمة الكلمة الموقوف عليها"⁶. كلّ قصد الحصول على إجابة عن سؤال أو تعليم أو تعلّم.

ت- الوقف الإنتظاري:

ويكون هذا الإنتظار من طرف القراء قصد جمع القراءات في ختمة واحدة إذ يسمّى "بالأرداف أي أن يقف القارئ على الكلمة القرآنيّة ذات الخلاف قصد إستيعاب الأوجه

1 الرّكشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص436.

2 محمود خليل الحصري ، معالم الاهتداء في الوقف والابتداء ، دط ، مطابع شركة الشروق ، القاهرة ، دت ، ص46 ، 47.

3 الإمام خالد الزهري ، الحواشي الزهرية ، ص56.

4 علي محمد الضّباع ، مختصر بلوغ الأمانة ، ص127.

5 ملاً علي القارئ ، المنح الفكرية في شرح المقدّمة الجزرية ، دط ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1367هـ ، 1948م ، ص64.

6 حياة بن خليل بن محمّد بن حسنين ، المبتكر المفيد في علم التّجويد ، ط4 ، دار المحمّدي للنشر والتّوزيع ، المملكة العربيّة السعوديّة ، 2009م ، ص101.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

المختلفة لها، وعكسه الأفراد وهو أن يقرأ بوجه واحد دون جمع¹، كما أنّه هناك من يدعم هذا القول وهو الحال بالنسبة حياة بنت خليل بن محمد بن حسين إذ أنّه "وقف على الكلمة القرآنية بقصد استيفاء ما في الآية من أوجه الخلاف حين القراءة بجمع الروايات"². الأمر كلّه لما ينتظره الأستاذ من الطالب بشأن تكملته للأوجه التي وردت في الآية المقروءة.

النوع الثاني: الوقف الاختياري:

هو وقف مقصود لذاته بفعل إراديّ، وليس نظراً لضرورة ما كما سبق ذكره وهو الوقف الذي يعمد القارئ إليه بمحض اختياره وإرادته؛ لملاحظته معنى الآيات وارتباط الجمل وموقع الكلمات دون أن يعرض له ما يقتضي من عذر أو ضرورة أو تعلّم حكمة أو إجابة عن سؤال³، فيمكننا اعتبار هذا النوع كذلك وقف دون الإضطرار والاختبار والانتظار، وهو كذلك "أن يقف القارئ على الكلمة القرآنية باختياره دون أن يعرض له ما يُلجئُه للوقف من عذر أو إجابة سؤال"⁴. وكان هذا من أهم الأسباب لتفريع هذا النوع إلى أقسام وفق أحكام مختلفة أهمّها:

أ- الجائز: وبدوره يتفرّع إلى:

1_ الوقف التام: ويسمّى بالمختار والتّمام ومعناه "الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده عنه في المعنى"⁵، كما هناك من يرى أنّه "الوقف على كلمة قرآنية ليس بينها وبين ما بعدها لا تعلق لفظي (من جهة الإعراب كأن يكون معطوفاً أو صفة)، ولا تعلق معنوي (من جهة المعنى كالإخبار عن حال المؤمنين أو الكافرين أو إتمام قصّة)"⁶. فبعد تتبّع العلماء مواضع التّمام إهتدوا إلى علامات يُعرف بها منها:

"أ_ أن التّام يكون عند انتهاء القصص، وعند آخر كلّ سورة قصيرة كانت أو طويلة.

1 ينظر: الإمام المارغني تحفة المقرئين والقارئ، رسالة بمامش النجوم الطواع في الدرر اللوامع، ص 213، 215.

2 حياة بن خليل بن محمد بن حسين، المبتكر المفيد في علم التجويد، ص 101.

3 محمد خليل الحصري، معالم الاهتداء في الوقف والابتداء، ص 63.

4 حياة بن خليل بن محمد بن حسين، المبتكر المفيد في علم التجويد، ص 101.

5 علي محمد الطّباع، الإضاءة في أصول القراءة، ط 1، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1420هـ، 1999م، ص 36.

6 حياة بن خليل بن محمد بن حسين، المبتكر المفيد في علم التجويد، ص 102.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

ب_ أن يكون ما بعده مبدوءاً بالاستفهام ظاهراً أو مقدرّاً، أو بياءِ النداء غالباً أو بفعل الأمر أو بالشرط لم يتقدّم جوابه، أو بالتّفي أو التّهي .

ت_ أن يكون ما بعده مبدوءاً باسم الجلالة أو بضمير يعود على الله تعالى .

ث_ أن يكون ما بعده مبدوءاً بـ(إنّ) المكسورة المشدّدة.

ج_ أن يكون ما بعده مفصّلاً عنه في الخطاب، بأن يُفصل فيه بين صفتين متضادّتين، كالفصل بين المؤمنين والكافرين أو المنافقين¹.

2- الوقف الكافي : هناك من سمّاه "الوقف الطيّب"²، إذ هو الذي "يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلّق بما قبله من جهة المعنى دون اللفظ، فهو منقطع لفظاً متّصل معنّى وإنّما سمّي كافياً لإكتفائه واستغنائه عمّا بعده واستغنائه ما بعده عنه"³. وقد نلفيه مختصراً في معناه مبسّطاً في مفهومه عند حياة بنت الخليل في قولها: "هو الوقف على كلمة قرآنيّة بينها وبين ما بعدها تعلّق معنوي لا لفظي"⁴، فالأصل ههنا هو المعنى وليس اللفظ، إذ عمادُ العلائق تضمين المعنى وتواليه وإرتباطه بما سبقه وما سيّلحقه، وهذا الأخير ذاته "له علامات أخرى يعرف بها منها:

1. أن يكون ما بعده مبدوءاً بـ(إنّ) المكسورة الخفيفة.
2. أن يكون ما بعده مبدوءاً باستفهام نحو (ألَمْ).
3. أن يكون ما بعده مبدوءاً بمبتدأ.
4. أن يكون ما بعده مبدوءاً بفعل.
5. أن يكون ما بعده مبدوءاً بـ(بل) أو(لأ)⁵.

¹ سعيد ربيع ، دكتوراه موسومة بـالوقف والابتداء وأثرها في توجيه النصّ القرآني_دراسة نظريّة وتطبيقية، إشراف: زين العابدين محمّد بلافريج ، جامعة الحسن الثاني ، عين الشقّ ، الدار البيضاء ، 2001م ، ص115.

² محي الدين عبد القادر ، كفاية المستفيد في فنّ التّجويد ، ص73.

³ ابن خلدون الجزري ، التّشريح في القراءات العشر، ج1، ص226.

⁴ حياة بن خليل بن محمّد بن حسنين ، المبتكر المفيد في علم التّجويد ، ص102.

⁵ ينظر: سعيد ربيع ، دكتوراه ، الوقف والابتداء وأثرها في توجيه النصّ القرآني ، ص118.

الفصل الثاني: بين الوقف والتخيم في القرآن الكريم

3- الوقف الحسن : يسمّى بالصّالح، وقد عرفه بعض العلماء على أنّه "الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الإبتداء بما بعده لتعلّقه به لفظاً ومعنى"¹، لكنّ هناك من أضاف أمراً عن سابقه كما هو الحال بالنسبة لـ حياة بنت خليل "فهو الوقف على كلمة قرآنية بينها وبين ما بعدها تعلّق لفظيٍّ ومعنويٍّ إلاّ أنّ الوقف عليها يعطي معنى تاماً"²، لكنّ مكان الوقف عليه هنا له قراءات مختلفة فمنه ما هو أثناء الآية*، ومنه ما هو في رأس الآية**، وهو بذاته له صورتان سنعرّج عليهما من خلال المخطّط اللاحق إذ نجد "له علامات يعرف بها منها:

1- أن يكون بين معطوفين.

2- أن يكون ما بعده مستثنى أو بدلاً أو نعتاً أو حالاً أو توكيداً لما قبله"³. وهذا كلّه يدخل ضمن نطاق ما هو جائز من الوقوف ضمن القراءات المختلفة .

ب- القبيح : هو غير الجائز، بمعنى أنّه على عكس كلّ ما ذُكرَ آنفاً "فهو الذي لا يُعرّف المراد من

الكلام بسببه، أو يُفهم منه غير المراد"⁴. وهو قبيح لأنّه قد يوقف على موضع من غير انقطاع النفس في غير موضع وقوفٍ، بل وهناك من يرى أنّه "وقف على ما لم يتمّ معناه، لتعلّقه بما بعده لفظاً ومعنى" فالوقف عندئذ يُعطي معنى ناقصاً أو مرفوضاً"⁵.

• وهذا النوع القبيح من الوقوف له ستة محاور أو صور أهمّها:

"الوقف على كلام لا يفهم السامع منه معنىً، ولأ يستفيد منه فائدة بحسن السكوت عليها لشدة تعلّقه بما بعده لفظاً ومعنىً.

الوقف على الكلام يُفضي إلى إفساد المعنى أو تغيير الحكم الشرعيّ.

¹ الأنباري أبو بكر محمّد بن القاسم، إيضاح الوقف والابتداء، ج1، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، 1390هـ، 1971م، ص150.

² حياة بن خليل بن محمّد بن حسنين، المبتكر المفيد في علم التجويد، ص102.
* أثناء الآية : (وسطها).

** رأس الآية : (البداية وفيه قد يتوهّم القارئ وقد لا يتوهّم معنى الآية).

³ ينظر: سعيد ربيع، دكتوراه الوقف والابتداء وأثرها في توجيه النصّ القرآني، ص121.

⁴ خالد الأزهرى(905هـ)، الحواشي الأزهرية، مخطوطتان خاصتان مصوّرتان بالمكتبة الوطنيّة بالمغرب للإطلاع ص58.

⁵ حياة بن خليل بن محمّد بن حسنين، المبتكر المفيد في علم التجويد، ص103.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

-الوقف على كلام يُوهَمُ معنىً لا يليق بالله تعالى، أو يُفهم منه معنىً يخالف العقيدة"¹

"-الوقف على كلمة تُوهَمُ معنىً يخالف ما أَرادَه اللهُ سبحانه وتعالى .

-الوقف على نَفْيٍ بعده إيجاب، وهو أقبح القبيح.

-التعسّفي لأنّه يُوَدِّي إلى معنى غير المقصود من سياق الآية وسمي كذلك؛ لأنّ أهل الأهواء تعسّفوا في تأويله كما أرادوا"².

3-أحكام الوقف وفق الأقسام :

إنّ أحكام الوقف تختلف من جائز وحسن وضروريّ، لذا إرتأينا أن نُجسّدَ هذه الأحكام

وفق خطأة نعرض من خلالها أقسام الوقوف وفروعه مُعرّفين بها، مُعرّجين إلى سبب التّسمية ومن ذلك الوصول إلى الحكم المناسب لكلّ فرع وهي كالآتي:

¹ ينظر: سعيد ربيع ، دكتوراه الوقف والابتداء وأثرها في توجيه النصّ القرآني، ص123، 126.

² حياة بن خليل بن محمّد بن حسنين ، المبتكر المفيد في علم التّجويد، ص103.

أ- أقسام الوقف: ¹

| الترتيب | إسم الوقف: | التعريف: | سبب التسمية: | الحكم: |
|---------|------------|--|---|---|
| الأول | الإضطرابي | هو ما يعرض للقارئ أثناء قراءته بسبب ضرورة كالعطاس أو ضيق نفس يضطره للوقف على أي كلمة من الكلمات القرآنية. | إن سببه الإضطراب الذي تعرض له القارئ أثناء قراءته. فلم يتمكن من وصل الكلمة بما بعدها. | جواز الوقف على أي كلمة حتى تنتهي الضرورة، ثم يعود القارئ إلى الكلمة التي وقف عليها فيصلها بما بعدها إن صلح الابتداء بها، وإلا فيما قبلها. |
| الثاني | الإختباري | أن يقف القارئ على كلمة ليست محلاً للوقف عادة، ويكون ذلك في مقام الإختبار أو التعليم من أجل بيان حكم الكلمة الموقوفة عليها. | لحصول إجابة على سؤال أو تعليم أو تعلم. | جواز الوقف على أي كلمة طالما كان ذلك في مقام الإختبار والتعليم، على أن يعود إلى ما وقف عليه فيصله بما بعده إن صلح ذلك، وإلا فيما قبله مما يصلح الإبتداء به. |
| الثالث | الإنتظاري | الوقف على الكلمة القرآنية بقصد استيفاء ما في الآية من أوجه الخلاف حين القراءة بجمع الروايات | لما ينتظره الأستاذ من الطالب بشأن تكملته للأوجه التي وردت في الآية التي يقرأها. | يجوز للقارئ الوقف على أي كلمة حتى يعطف عليها باقي أوجه الخلاف في الروايات وإن لم يتم المعنى، وإذا انتهى القارئ من جمعه للروايات على الكلمة التي وقف عليها، فلا بد له من وصلها بما بعدها إن كانت متعلقة بما بعدها لفظاً ومعنى. |
| الرابع | الإختباري | أن يقف القارئ على الكلمة القرآنية باختياره دون أن يعرض له ما يلجئه للوقف من عذر أو إجابة على سؤال. | لحصوله بمحض إختيار القارئ وإرادته. | فيه تفصيل وله أربع أقسام: التام، الكافي، الحسن، القبيح |

¹ ينظر: حياة بن خليل بن محمد بن حسنين، المبكر المفيد في علم التجويد، ص 101.

ب- أنواع الوقف الاختياري:¹

الجائز (الوقف التام، الوقف الكافي، الوقف الحسن)

غير الجائز

الوقف القبيح وله
6 محاور سيأتي
تفصيلها

علامات الوقف في
المصحف الشريف
استعملت اللجنة
التي قامت على
ضبط مصحف
مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف
الشريف بالمدينة
المنورة العلامات
التالية:

| | | |
|---|--|----------------|
| <p>ب- الوقف الكافي: وهو الوقف على كلمة قرآنية بينها وبين ما بعدها تعلق معنوي لا لفظي.</p> | <p>أ- الوقف التام: هو الوقف على كلمة قرآنية ليس بينها وبين ما بعدها تعلق لفظي² ولا معنوي³</p> | |
| <p>قال تعالى ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ البقرة الآية (07)</p> | <p>الوقف على رؤوس الآي بشرط تمام المعنى، انتهاء القصص، أو آخر السور</p> | <p>مثاله</p> |
| <p>يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.</p> | <p>يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.</p> | |
| <p>بيان الكافي ويسمى بالوقف اللازم وهو: الوقف على كلمة قرآنية بينها وبين ما بعدها تعلق معنوي لا لفظي لكن (لو وصل بما بعده لوهم معنى غير المعنى المراد).</p> | <p>بيان التام ويسمى بالوقف اللازم وهو الوقف على كلمة قرآنية ليس بينهما وبين ما بعدها تعلق لفظي ولا معنوي، لكن (لو وصل بما بعده لأوهم معنى غير المعنى المراد)</p> | <p>ملحقاته</p> |

¹ ينظر: حياة بن خليل بن محمد بن حسين، المبتكر المفيد في علم التجويد، ص 102.

² التعالق اللفظي: من جهة الإعراب يكون معطوفاً أو صفة.

³ التعالق المعنوي: من جهة المعنى كالإخبار عن حال المؤمنين أو الكافرين وإتمام قصة.

الفصل الثاني:

بين الوقف والتنعيم في القرآن الكريم

| مثاله | قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: 36) | قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (المائدة: 51). | |
|--|--|--|---|
| (م) علامة الوقف اللازم | | | |
| (لا) علامة الوقف الممنوع | | | |
| (ج) علامة الوقف الجائز جوازا | | | |
| مستوى الطرفين | | | |
| (صلى) علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى | | | |
| (قلى) علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى | | | |
| (....) علامة تعاقب الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يوقف على الآخر | | | |
| ج-الوقف الحسن: هو الوقف على كلمة قرآنية بينها وبين ما بعدها تعلق لفظي ومعنوي إلا أن الوقف عليها يُعطي معنى تاماً مكان الوقف عليه: 1- أثناء الآية. 2- رأس الآية وله صورتان. | | | |
| المثال القرآني | مكان الوقف | الحكم | العلّة |
| 1- قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2) | أثناء الآية | يحسن الوقف ولا يحسن الابتداء، بل يرجع كلمة أو أكثر حتى يبدأ بمعنى تام | للتعلق اللفظي والمعنوي |
| 2- قال تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: 219، 220). | رأس الآية وصورته أنه قد لا يتوهم للقارئ معنى غير المعنى المراد | يحسن الوقف ويحسن الابتداء | لأن الوقف على رأس الآية سنّة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم. |
| 3- قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (الذين هم عن صلاتهم ساهون) (الماعون: 04). | رأس الآية وصورته أنه قد يتوهم للقارئ معنى غير المعنى المراد | يجوز الوقف ويصح الابتداء | لأن الوقف على رأس الآية سنّة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم. |

ج- الوقف القبيح:¹

تعريفه: هو الوقف ما لم يتمّ معناه ، لتعلّقه بما بعده لفظاً ومعنى (فالوقف حينئذ يُعطي معنى ناقصاً أو مرفوضاً) وله (ستة) محاور.

1

الوقف على كلمة لا يفهم
معناها مثال: قوله تعالى
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

2

الوقف على كلمة تُوهم معنى
لم يُردّه الله سبحانه وتعالى.
مثال قوله تعالى:
﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ
سُورَةُ الْأَنْعَامِ [36]﴾

3

الوقف على كلمة تُوهم معنى يُخالف ما
أراده الله سبحانه وتعالى. مثال قوله تعالى:
﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
سُكَرَىٰ﴾ سُورَةُ النَّسَاءِ [43]

¹ ينظر: حياة بن خليل بن محمّد بن حسين ، المبتكر المفيد في علم التّجويد ، ص103.

4

الوقف على كلمة تُوهم معنى لا يليق بالله عزّ وجلّ
أو يُفهم منه معنى يخالف العقيدة. **مثل** قوله تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا
بَعُوضَةً﴾ سورة البقرة [26]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة
الأحقاف [51]

5

الوقف على نفي بعده إيجاب. **مثل** قوله تعالى:
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾
سورة محمد [19]
من تعدّد هذا الوقف مُعاندًا كفر؛ لأنه نفي للألوهية
(وهو أقبح القبيح)

6

التعسّفيّ

من الوقف الممنوع الملحق بالوقف القبيح لأنه يؤدي إلى معنى غير المقصود من سياق الآية.... وسُمّي تعسّفيًا
لأنّ أهل الأهواء تكلفوا وتعسّفوا في تأويله، أي سلّكوا طريقًا غير مراد لا عقلا ولا شرعا، ومن ذلك الوقف
على: ﴿عَيْنَا فِيهَا تَسْمَى﴾ أي مسماة ومعروفة. ثم يبدأ ﴿سَلِّ سَبِيلًا﴾ على أنّ (سَلِّ) فعل أمر بمعنى: اتّبع سبيلا أي
طريقًا يُوصلك إلى تلك العَيْن، وهذا مردود، لأنها رُسِمَتْ في القرآن موصولة

حكمه: لا يجوز للقارئ تعدّد هذا الوقف إلّا لضرورة (ضيق نفس، عجز أو نسيان) ويسمّى وقف الضرورة وعليه الابتداء منها، ويصلها بما بعدها إن صلح الابتداء بها، وإلا فيبتدئ بما قبلها ممّا صلح
البدء به إلى أن يصل إلى ما يجوز أن يقف عنده.

4-وظائف الوقف في القرآن الكريم:

إن تعدد التأليف في موضوع الوقف من طرف علماء العربية وأهل القراءات على وجه الخصوص لأكثر دليل على أهمية القضية، لا لشيء إلا لضبط القواعد اعتماداً على أدلة موثقة روايةً ودرايةً وكان المرتكز حينئذ هو الوقوف السنيّة (النبويّة) القائمة على رؤوس الآيات كما عهدناه عن الرسول صلى الله عليه وسلم كونه يقطع على رأس كل آية، ويتدى بما بعدها¹، ولهذا النوع من الوقوف أغراض وغايات أهمها:

1. "حُسن الأداء ورونقه وما له من تأثير في النفس البشرية.
2. التمثيل الواعي للمعاني.
3. تمكين السامع مع من تصوّر وتخيّل المدلول واستيعابه.
4. الأُنس بفهم الآية السابقة.
5. التّسويق لاستقبال الآية اللاحقة"². فبتفاعلها تزيد وتُعين السامع على الفهم، ومن ذلك الخشوع لله عزّ وجلّ، ولَمَّا كان القرآن متميّزاً عن سائر الكلام العربي بجمال رونقه وإنسجامه، وتعالق ألفاظه ومعانيه، فهو يعلو ولا يُعلَى عليه، نجده لا يقبل تحريف لفظ أو انقطاع جملة غير تامّة المعنى دون ضبط الفائدة ، وإلاّ كان وقوعاً في الخطأ والمحذور. فنجد العديد من العلماء الذين اهتمّوا بهذا النوع من التناسق "فرايت لكلّ لفظة روحاً في تركيبها من الكلام فإذا أفردتها وجدتها قريبة ممّا كانت؛ لأنّها هي نفسها التي كانت من روح التركيب"³. ومعنى هذا أنّ الكلام في القرآن الكريم معجز فهو قطعة واحدة متألّفة ملتحمة ليس بين جزئياتها تضارباً وتناقضاً ولا حتى تجاوزاً.

لكن هناك من أنكر قضية تصنيفات الوقف كما هو الحال عند "أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، إذ اعتبر أنّ القول بتصنيف الوقف إلى تامّ وكاف وحسن وقيح بدعة"⁴.

¹ ينظر: ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: فغام قدوري محمد، ط 4، مؤسسة الرسالة، 1997م، ص 117.

² المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تفسير المعاني النحويّة في سورة النساء، ص 69.

³ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب - إعجاز القرآن، ج 2، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974م، ص 245.

⁴ ينظر: ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص 177، 178.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

كلمة بدعة هنا تعني خروج عن القاعدة والمألوف، وما فيهما من سلبٍ إلى أن جاء السخاوي وخطأه، إذ أنه من غير المنطقي أن ترد اللفظة القرآنية بعيداً عن سياقها؛ لأنه هو من يضمن ويسبغ عليها من البهاء والرونق عن طريق التّظم المعجز لفظاً ومعنى — "ليس الأمر كما ذكر أبو يوسف فإنّ الكلمة الواحدة ليست من الإعجاز في شيء، وإنما المعجز الرّصف العجيب، والتّظم الغريب، وليس ذلك لبعض الكلمات"¹.

الوقف بأنواعه وأقسامه المعهودة عند علماء القراءات والتّجويد واضح الأهميّة من حيث التّأصيل في الوجود بداية بوقوف النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم على رؤوس الآي وانتهاءً باكتمال الوقف المتّفنّ عند أهله، ولأكبر دليل على وجوب الوقف على مواضع مختلفة ضمن قراءات متنوّعة هو ما "رواه الطّبري عن عبد الرّحمن بن أبي بكره عن أبيه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (قال جبريل: اقرأوا القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده فقال: على حرفين، حتى بلغ ستّة أو سبعة أحرف فقال: كلّها شافٍ كافٍ، ما لم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"². وإنّ هذا للدليل قاطع على وجوب تعلّم الوقف وتعليمه .

من خلال ما سبق ذكره نرى أنّ للقرآن أهميّة بالغة مع وجوب طرائق ووقفات أثناء قراءاته مؤثّرة في المعنى وموجّهة له، لكن اعتماداً على معطيات وضوابط موضوعيّة قصد الحفاظ على السياق لذا خلصنا إلى جملة من الوظائف المنوطة بتعدّد الوقفات أهمّها:

1- الوقف كسر للرتابة المفترضة في القراءة قصد إفشاء إنسجام بين مكوّنات السياق، ومنه التّناسب بين المضامين المتنوّعة لآي القرآن الكريم.

2- الوقف يربط معنوياً بين أجزاء الكلام ومكوّنات المعنى. وهنا نصل إلى الجانب الاعجازي التّأثيري السّمعي ثمّ القلبي إنطلاقاً من درجة القابليّة كما أشار إليه الجاحظ (255هـ) إذ أنّ "لحسن الوقف في السّمع تأثيراً على القابليّة والتقبّل، إذ الكلام البليغ ما يكون لفظه إلى السّمع أسرع من معناه إلى القلب"³.

¹ السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، ج2، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي، ط1، دار البلاغة، بيروت، لبنان، 1993م، ص286.

² الطّبري محمد بن جريري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، قدّم له: خليل الميس، ضبط وتخرّيج: صدقي جميل العطار، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م، ص34.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1968م، ص79.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنخيم في القرآن الكريم

3- الوقف ساعد القراء في حفاظهم على الموروث اللغوي نطقاً وتذوقاً، مما يساعد في معرفة المعنى التام المكتمل، وكذا الشعور بالراحة أو الإشمئزاز من لحن أو نطق غير سليم، فبالوقف قد يتجدد المعنى أو الوصل تارة أخرى مما قد يحدث تداخلاً وتشابهاً بل وتشابكاً.

4- مراعاة الوقف كانت سبباً في إثراء علوم القرآن، بل وجعل رواد اللغة يضعون له مصطلحات خاصة مؤشراً عليه في مواضعه برموز متنوعة ملتصقة بالرسم القرآني.

5- الوقف يفصل بين الكلام الصادر عن الله كأوامر أو نواهٍ، بأسلوبه المعجز فقد "اختار العلماء وأئمة القرآن تبيين معاني الكلام الله عز وجل وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منبهاً على المعنى ومفصلاً بعضه عن بعض، وبذلك تلذذ التلاوة ويحصل الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية"¹.

6- الوقف يفصل السياق، ويوضح المقصد المتوخى من بناء الآية التي تحمل جملة كاملة أو تكون الجملة جزءاً منها أو تكون هي جزءاً من الجملة.

7- الوقف يفصل بين المواضيع التي يلحق بعضها بعضاً، "فالتداخل بين المواضيع دون إيقاف للكلام

عند التمام، يشوش المقصود على القارئ؛ فيذهب بذهنه بعيداً عن مقصدية النص الحكيم"². ونستنتج من خلال تنوع وظائفه أنه استبانة للمعنى، ونأي بالسياق عن التداخل وإزالة اللبس عن كل ما هو صرفي ونحوي من خلال ضبط مستويات اللغة وحتى البلاغة في القرآن الكريم.

5-علامات ورموز الوقف القرآني:

مما يجب علينا عدم إغفاله أن علماء القراءات لم يقفوا عند تحديد مواضع المواقف واختلافها وأسبابها، بل تواضعوا على علامات ورموز خطية تقابل كل نوع من أنواع الوقوف وفق أقسامه المتنوعة وهذا دافعا للخطأ واللحن عند قراءة القرآن، فمن خلال بحثي المتواضع وجدت أن أول كتاب استخدم هذه الرموز هو (علل الوقوف) للسجاوندي، فأفرد رموزه على حرف واحد ذي دلالة محكمة بعد الاتفاق، فارتأيت أن أتطرق إليها ضمن جدول إحصائي مفهومي كالآتي³:

¹ السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، ج 2، ص 388.

² نفسه، ج 2، ص 388.

³ أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، علل الوقوف، ج 1، ط 1، مكتبة الرشد-الرياض، 1994م، ص 176.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنخيم في القرآن الكريم

1- الرموز المفردة ومعانيها:

| الرمز | معناه | الدليل من القرآن الكريم |
|-------|---|--|
| لا | علامة الوقف الممنوع (أي أن الوقف في هذا الموضع ممنوع لشدة تعلق ما بعده به لفظاً ومعناً) | قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۚ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۚ لِأَنَّ الْمُتَّقِينَ صِفَةٌ |
| م | علامة الوقف اللازم (أي أنه ههنا لازم لأن الوصل يؤهم خلاف المراد) | قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۚ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ۚ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَنْفَعِلٌ عَمَّا بَعْدَهُ |
| ط | علامة الوقف المطلق (أي أنه أحسن والوصل لا يحسن مطلقاً) | قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۗ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ۗ |
| ج | علامة الوقف الجائز (أي أن الوقف والوصل يستويان في الجواز لكن الوقف أولى) | قوله تعالى: ﴿وَمَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ |
| ز | علامة الوقف المحوّر (أي أن الوقف والوصل يستويان في الجواز لكن الوصل أولى) | قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۗ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۗ |
| ص | علامة الوقف المرخص ضرورة (أي أن القارئ إذا اضطر إلى الوقف لانقطاع نفسه جاز له الوقف وإلا فالوصل أولى في كل حال وكثيراً ما يكون عند طول الكلام). | قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ۗ واذكروا نعمة الله عليكم ۗ |
| ق | علامة الوقف الضعيف (وهو لم يشتهر وقيل عنه وقف لكن الوصل أولى). | قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ۗ |

هذا كله بالنسبة للرموز المفردة عند السجاوندي في (علل الوقوف)، وقد أضاف إليها الشيخ محمد صادق الهندي و الشيخ حسن والي رموزاً أخرى غالبها مركب من حرفين أو أكثر، وهي كالتالي ضمن جدول إحصائي ومفهومي هو الآخر¹:

2- الرموز المركبة ومعانيها:

| الرمز | معناه | الدليل من القرآن الكريم |
|-------|--|--|
| قف | علامة أمر، وتعني الأمر بالوقف على هذا الموضع | قوله تعالى: ﴿لا تعبدون إلا الله ۗ قف وبالوالدين إحساناً﴾ |

¹ ينظر: كنوز أطفاف البرهان في رموز أوقاف القرآن - مخطوط خاص ومصوّر بجامعة الإمام محمد سعود بالرياض رقمها: 1139، ص 27.

الفصل الثاني: بين الوقف والتَّغْيِيم في القرآن الكريم

| | | |
|------|---|---|
| صلى | علامة تدلّ على أنّ الوصل أوّلَى من جواز الوقف | قوله تعالى: ﴿كَلَّ مِنْ عَلَيْهَا فَانْصَلَى وَيَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ |
| سم | علامة الوقف السَّماعي فإذا لم يقف القارئ فلا حرج عليه وإن وقف فلا بأس. | قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ |
| لاسم | علامة عدم الوقف لكونه قياسياً لا سماعياً | قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا أَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ |
| سكته | علامة السكوت يُشترط أن يكون السكوت أقرب إلى الوصل لا إلى الوقف ولا ينقطع النفس، وفي بعض المصاحف يرمزون لها بعلامة "وقف" | نحو "واعف عنا" و"اغفر لنا" |
| صل | علامة فعل أمر، تعني الأمر بالوصل لأنه الأحسن وهو ما يشبه (ز) عند السجاوندي | |
| ك | علامة معناها "كذلك/أيّ كذلك" يجرى الوقف السابق ومنهم من جعلها للوقف الكافي ¹ | |

لكن هذا الكمّ الهائل من الرموز كان يضع القارئ في لبس إلى أن اجتمعت لجنة علمية في مصر برئاسة الشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية من أجل ضبط العلامات والرموز المتداولة في طبع المصحف الشريف، فوقفت على خمسة منها فقط كالآتي:

1. (م) علامة الوقف اللازم.
2. (لا) علامة الوقف الممنوع.
3. (ج) علامة الوقف الجائز جوازا مُستوي الطرفين.
4. (صلى) علامة الوقف الجائز، لكنّ الوصل أوّلَى.
5. (قلى) علامة الوقف الجائز، لكنّ الوقف أوّلَى. وهي مُفصّلٌ فيها سابقاً، ثمّ أُضيفت علامة سادسة خاصّة بوقف المراقبة* ويرمز لها (.:).² من هنا نُنهى الجانب النظري من الوقف

¹ الشيخ حسن والي، كتاب الإملاء، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة (مصور)، ص106.

* المراقبة ليس حقيقة قسم مستقل بل هو من أقسام الوقف الاختياري ويسمى بوقف المعانقة فإذا اجتمع الوقفان في مكان واحد على القارئ الوقف على أحدهما فقط دونهما معا.

² صبر حسن محمد أبو سليمان، عمدة البيان في تجويد القرآن، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، 1997م، ص199.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنخيم في القرآن الكريم

مرورا بعرض مفهوماتي له لغة واصطلاحا، ثم الحديث عن أنواعه وأقسامه، ومن ذلك مذاهب القراء فيه وصولا إلى الفائدة منه مع تحديد وظائفه وأشهر رموزه شرقا وغربا.

6- مذاهب القراء في تعيين مواضع الوقف:

مما لاشك فيه أنه يستحيل على أي قارئ القراءة بنفس واحد دون راحة، فهو يحتاج إلى وقفات مختلفة للإستراحة وأخذ نفس للابتداء من جديد، لكن هاته الوقفات لا تكون إلا مع مراعاة مستويات اللغة المختلفة من جانب صوتي، صرفي ونحوي ووصولاً إلى المعنى المراد وفق بلاغة مُحكّمة مع مراعاة التناسب بين المواضع (الوقفات)، ومن هنا ظهرت إختلافات حول تحديد مواقع الوقفات من قراءة إلى أخرى وفق الإمام المختار أثناء الرواية مع احترام ضوابط روايته. وهو ما يؤكده ابن الجزري في قوله: "لابد من معرفة أصول مذاهب القراء الأئمة في الوقف والابتداء؛ ليعتمد في قراءة كل إمام على مذهبه وطريقته"¹. هذا الإختلاف بين القراء لأكثر دليل على مرونة المذاهب في الوقف وكذلك كون الوقف لم يكن من حسن الرواية وإلا لما اختلفوا وحددوا مواقع ثابتة بينهم للوقوف، ومن أهم مذاهب هؤلاء القراء نجد:

1. مذهب الإمام مالك: "إذ نجده كان يُراعي محاسن الوقف لحسن المعنى وضبطه"².
2. مذهب الإمام ابن كثير: وقد روي عنه أنه كان يقول: "وقفت في القرآن على آيات مختلفة لم أبال بعدها وفتت أم لم أقف، وهذا دليل على الوقوف أثناء انقطاع النفس"³، وروي عنه الإمام أبو الفضل الرازي "أنه كان يراعي الوقوف على رؤوس الآي مطلقا، ولا يعتمد في أوساط الآي وقفا سوى الثلاثة المتقدمة"⁴.
3. مذهب أبي عمرو البصري: ومما علم هنا أنه كان يتعمد الوقف على رؤوس الآي، ويقول هو أحب إلي، وذكر عنه الخزاعي أنه كان يطلب حسن الابتداء كما ذكر عنه الرازي أنه يطلب

¹ ينظر: ابن الجزري، التشر في القراءات العشر، ج1، ص224، 225.

² الهبيطي محمد بن أبي جمعة، تقييد وقف القرآن، تحقيق: الحسن بن محمد وكّك، ط1، مطبعة التّحجّح الجديدي، الدّار البيضاء، 1411هـ، 1991م، ص71.

³ ابن الجزري، التشر في القراءات العشر، ج1، ص238.

⁴ نفسه، ج1، ص239.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنخيم في القرآن الكريم

حسن الوقف فكان يقول: "أته أحبّ إليّ إذا كان رأس الآية أن يسكت عندها؛ لأنّ الآية قد اكتفت بما فيها"¹.

4. **مذهب الإمام عاصم:** وما علّم عنه أنّه يطلب حسن الابتداء ويطلب كذلك "الوقف حيث يتمّ الكلام مع التركيز على ظاهرة المد"²، مع مراعاة الإظهار والإخفاء الذي هو "النطق بالحرف بين الإظهار والإدغام من غير تشديد"³.

5. **مذهب الإمام حمزة:** وكان يقف عند انقطاع النفس، وقد كان "يسكت (يقف) على الحرف الصحيح الساكن الذي تتبعه همزة سكتاً قصيراً قبل نطق الهمزة دون أن يقطع نفسه، وكذلك بشرط عدم إسقاط الهمزة أو نقل حركاتها إلى الساكن الذي قبلها"⁴.

نلمس ممّا سبق التّضارب بين العلماء بالنسبة للإمام حمزة في قضية انقطاع النفس "وهمزة اتّفقت الرواة عنه أنّه كان يقف عند انقطاع النفس، فقليل: لأنّ قراءته التّحقيق والمدّ الطّويل، فلا يبلغ نفس القارئ إلى وقف التّمام ولا إلى الكافي، وعندني يقول ابن الجزري: أنّ ذلك من أجل كون القرآن عنده كالسّورة الواحدة، فلم يكن يتعمّد وقفا معيّنا، ولذلك آثر وصل السّورة بالسّورة، فلو كان من أجل التّحقيق لآثر القطع على آخر السّورة"⁵، إنّّه لأكبر دليل على ما كان يعمد إليه الإمام حمزة لكن ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أنّهم كانوا يعمدون على الوقف على حسب تمام المعنى "فالوقف عند نافع وابن كثير وابن عامر حيث يتمّ الكلام، وعند أبي عمرو وعاصم حيث يحصل وعند حمزة حيث يقف"⁶، ولنا أن نوضّح أكثر عن طريق الشّروحات مُستدلين بخطاطة تنويريّة لما سيأتي بعدها.

¹ الدّاني أبي عمرو عثمان بن سعيد، المكنى في الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تحقيق: عبد الرّحمن المرعشلي، ط2، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1987م، ص146.

² ينظر: سمير شريف إستيتيّة، القراءات القرآنيّة بين العربيّة والأصوات اللّغويّة، دط، إربد، عالم الكتب الحديثة، 2005م، ص99.

³ محمد الصّادق فحمأوي، البرهان في تجويد القرآن، دط، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، 1972م، ص09.

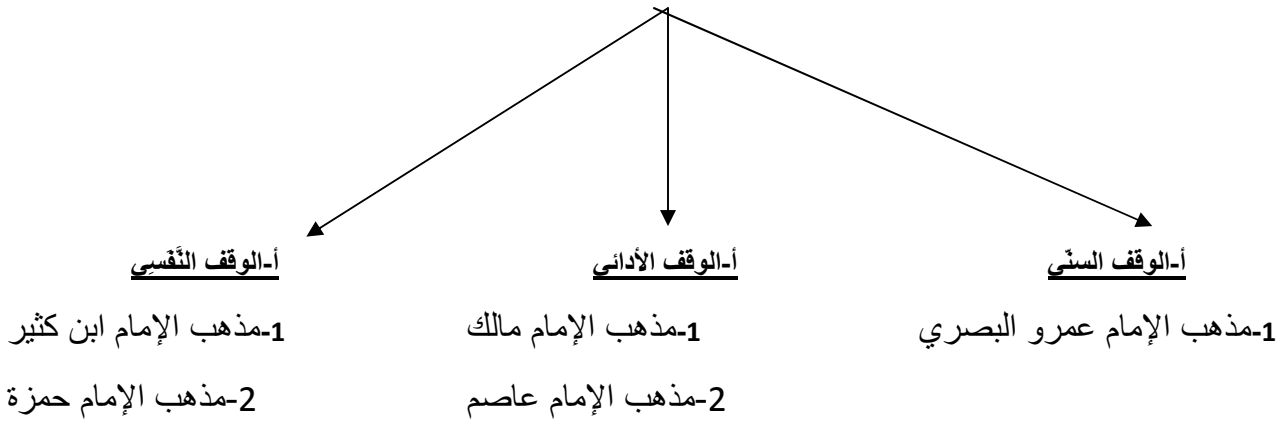
⁴ ابن الفاصح علي، سراج القارئ المبتدئ وتذكرة المقرأ المنتهى، دط، مكتبة الباقي الحلبي القاهرة، دت، ص80.

⁵ ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، ج1، ص238، 239.

⁶ ينظر: المصطفى سفيان، دكتوراه موسومة بـاختلافات القراءة القرآنيّة وأثره على الوقف، إشراف: التّهامي الرّاجحي الهاشمي، جامعة محمّد الخامس، الرّباط، 2006م، 2007م، ص105، 108.

****خطاظة تحديد مذاهب القراء في تحديد الوقف****

مذاهب القراء



من خلال الخطاظة يمكننا أن نلاحظ أنّه هناك ثلاثة مذاهب في الوقف بما تتحدّد المنازل والمواضع التي يتوجّب على القارئ الاستراحة عندها :

- أولاهما: الوقف السني الذي يلتزم فواصل الآي؛ لكونها فواصل القرآن أو رؤوس الآي، وسمي بالسني لأنّ "السنة هو أن يقف على رؤوس الآي كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية أمّ سلمة"¹.
- وثانيهما: الوقف الأدابي الذي يتحرّى فيه تمام اللفظ والمعنى في أيّ موقع كان خلال السور القرآنية، ويقول فيه الأشموني: "إعلم أنّ كلّ كلمة تعلّقت بما بعدها من تمامها لا يُوقف عليها"²، تأكيداً لفكرة تلازم المعاني، وينفي الوقوف على الفواصل إذ "ليس آخر كلّ كلمة وقفا بل المعبر المعاني، والوقف تابع لها، فكثيراً ما تكون آية تامّة، وهي متعلّقة بآية أخرى لكونها إستثناء، والأخرى مستثنى منها، أو حالاً ممّا قبلها، أو صفة، أو بدلاً"³، فالقرآن مبانٍ ومعانٍ مترابطة ومتعلّقة وفق نظام ربّانيّ خاصّ جدّاً.

¹ أبي القاسم الهذلي، الكامل في القراءات الخمسين، مخطوط مصوّر، يوجد أصله بالأزهر، 465 ورقة، ص37.

² أحمد بن عبد الكريم الأشموني. منار الهدى في الوقف والابتدا، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1983م ص04.

* التلازم هنا هو: الرّبط والضمّ بين المعاني لا تعارض بينها.

³ نفسه، ص17.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّغيم في القرآن الكريم

• وثالثهما: وقف الأنفاس "فحيثما انقطع التّفّس كان الوقف"¹. لكن علينا ألاّ نغفل سبب هذا الاختلاف كلّهُ، فنظراً لكثرة ما ورد فيه من أسباب إرتأيناً أن نُلخّصها ضمن نقاط محدّدة نذكرها كالآتي:

1- تعدّد القراءات، فرغم كونها عيناً لا تُنضب ومثالاً عن فصاحة النّطق العربيّ ومرونته إلاّ أنّها لازالت تُشير إلى يومنا هذا الكثير من الجدل بين النحّاة، ومن ذلك الفقهاء والمفسّرون على وجه الخصوص.

2- تعدّد الإعراب، وهذا ما يمسّ بصورة خاصّة مواضع الوقف، وبذلك تغيّر الوظائف النحويّة للكلام والسياق عموماً.

3- اختلاف التّأويل، ومن ذلك ظهور دراسة معاني القرآن والغريب فيها الذي يُستعربُ تأويله؛ نظراً لعدم عمل وعلم سائر النّاس به.

التّغيم القرآني:

بمجرّد سماعك أو قراءتك لهذا العنوان - التّغيم القرآني - يتبادر إلى ذهنك الصّوت الجميل المنبعث من ثنايا النصّ القرآنيّ الذي حيّر العجم والعرب لما له من سِحْرٍ وتأثيرٍ على كلّ من يسمعه أو يقرأه، سواءً أكان يفهمه أو لا يفهمه. ومَرَدُّ الأمرِ لما ينبجس من داخله من كتلٍ إيقاعيّة، ممّا يجعل المتلقّي يسبح في شلّالات الإيقاع الصّادر عن هذا النّغم الموسيقيّ، فيفتن به ويقف عاجزاً أمام روعته، فما التّغيم في الأصل؟

المبحث الثالث: اشتغال التّغيم بالقرآن وجوانبه السّحرية:

1- التّغيم القرآني:

¹ ينظر: ربيع سعيد، دكتوراه الوقف والابتداء وأثرها في النصّ القرآني، ص136، 137.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّغيم في القرآن الكريم

أولاً: التّغيم لغة: " (ن غ م) التّعْمُ بسكون الغين، الكلم الخفيّ، وقد نغم من باب ضروب وقطع وسكت فلان فما نغم بحرف وما تنغم مثله وفلان حسن التّغمة، أي حسن الصّوت في القراءة (ن غ ي) الملاغة، المغازلة والمرأة تناغي الصبيّ؛ أي تكلمه بما يعجبه ويسره"¹، أمّا صاحب لسان العرب فيرى أن "نغم التّغمة: جرس الكلمة وحسن الصّوت في القراءة وغيرها، وهو حسن التّغمة والجمع نغم، قال ساعدة بن جؤية: ولو أنّها ضحكت فتسمع نغمها رعرش المفاصل...، نغم قال ابن سيده: وعندي أنّ التّغم اسم للجميع كما حاكاه سيبويه من أنّ حلقا وفلكا اسم لجمع حلقة... وقد تنغم بالغناء ونحوه، وإثته ليتنغم بشيء ويتنسم بشيء أي يتكلموا به، والتّغم: الكلام الخفيّ. والتّغمة: الكلام الحسن... ونغم في الشراب: شرب منه قليلا، حكاه أبو حنيفة، وقد يكون بدلا والتّغمة كالنّغبة عنه أيضا"².

ثانياً: التّغيم اصطلاحاً: (Intonation): يُعتبر التّغيم من بين إهتمامات الدّرس الصّوتي، إذ به تتضح المعاني، وعليه تقوم. ويعدّ إبراهيم أنيس أول من أدخل مصطلح التّغيم في الدّراسات اللّغوية العربيّة المعاصرة، إذ أسماه موسيقى الكلام مُشيراً إلى أنّ "الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتيّة واحدة في النّطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصّوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها... ويمكن أنّ تُسمّى نظام توالي درجات الصّوت بالتّغمة الموسيقية"³، فما نلاحظه في تعريف إبراهيم أنيس أنّ التّغيم أو التّغمة الموسيقية يتمّ تحديدها أثناء الكلام وليس الصّمت، وهو ما يسهّل عمليّة تحديد التّغيمات. وتطرّق إليه تمام حسان حيث "التّغيم ارتفاع الصّوت وانخفاضه أثناء الكلام"⁴، وهنا ربطه أيضا بالكلام.

جاء كمال بشر لينحو هذا المنحى إذ "التّغيم في الاصطلاح هو موسيقى الكلام، فالكلام عند القائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن الموسيقى إلّا في درجة التّواؤم والتّوافق بين التّغيمات الداخليّة التي تصنع كلاً مُتناغم الوحدات والجنبات. وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات

1 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (نغم)، ج1، ص279.

2 ابن منظور، لسان العرب، مادة (نغم)، ج12، ص590.

3 إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص143.

4 تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، دط، دار الثقافة، الدّار البيضاء، 1974م، ص164.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّنعيم في القرآن الكريم

وانخفاضات أو تنويجات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام - مهما كان نوعه - لا يلقي على مستوى واحد بحال من الأحوال"¹، وهنا إشارة إلى اختلاف مستويات الكلام، والتّنعيم هو من يحدّد صورتها الحقيقية.

وإنّ تساءلنا عن كيفية حدوث هذه الظاهرة، سنجد الإجابة في قول محمود فهمي حجازي _____ "التّنعيم يحدث نتيجة توتر الوترين الصوتيين ممّا يؤدي إلى اختلاف الوقع السّمعى، ولذا نجد كلمات كثيرة تتعدّد طرق تنعيمها لتؤدي وظائف دلالية مختلفة"² من خلالها يدخل السياق الذي تردّ فيه الكلمة، وكذلك طريقة إلقائها والمناسبة التي تنضوي تحتها في تغيير الدلالة اللفظية، ممّا يفضي إلى تغيير في النغم الموسيقي، كما يرجع دانيال جونس "التغيرات هي التي تُحدثُ درجة نغم الصوت في الكلام والحديث المتواصل نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية"³، وهو تأكيد لأهمية الكلام أو القراءة أو الحديث للوصول إلى درجات التّنعيم. أمّا كارتشفسكي فيرى بأنّ "التّنعيم يوظّف لتمييز حدّ الجملة، وذلك بمعارضة الاستفهام للجواب، وبتمييز الجملة العقلية عن الجملة التعبيرية"⁴؛ ولكي نتعرّف على التّنعيم في هذه الحالة، علينا التركيز أثناء إلقاء الجملة مهما كان نوعها وتمييز حدّها.

وتحدّث الدكتور سامي عوض و عادل علي نعامة عن دور التّنعيم في تحديد معنى الجملة العربية فهما يُجمعان "على ارتباطه بالجمال الفني ارتباطاً وثيقاً، وأنّه القاسم المشترك بين الفنون جميعاً ومن هنا ارتبط التّنعيم كقرينة لفظية في التعبير عن المعاني النفسية، وارتباطاً جعله من أهمّ الأدوات ذات التأثير في نفس القارئ ووجدانه"⁵. إنّه لتأكيد على الأهمية الصوتية والإيقاعية للتّنعيم في لدن الإبداعات الأدبية، وهذا الأخير "يعتمد على تركيب النغمة الأساسية مع النغمات التوافقية

¹ كمال بشر، علم الأصوات، ص533.

² حجازي محمود فهمي، مدخل إلى علم اللّغة، دط، دار الثقافة، القاهرة، 1978م، ص82.

³ Jones, Daniel, An out Line of Englishe phonetics.comblidge(1967),P275.

⁴ Karcevsy.s. Sur la phonologie de la phrase.in(T.C.L.P.Y° ? (1931).P192-193.

⁵ سامي عوض، عادل نعامة، مجلّة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلميّة، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج28، العدد01، 2006م.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

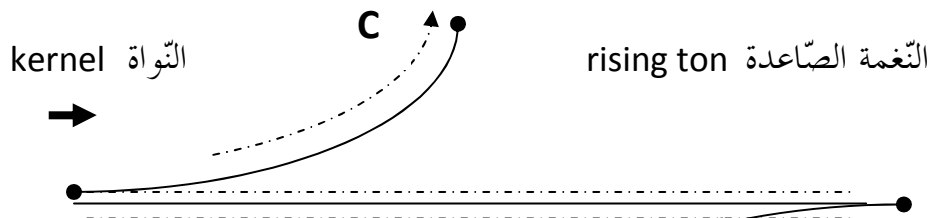
المرتبطة بها أو هو تتابع التغمات الموسيقية والإيقاعات في حدث كلامي معين¹، فلو أردنا أن نُبرز التنغيم في أيّ كلمة، في أيّ جملة أو في أيّ آية علينا التعرف على النغمة الصوتية التي قيلت بها والتي وردت فيها

لذلك اختلف النقاد في شرح معنى قول المتنبّي:

"عيد بأية حال عدت يا عيد *** لما مضى أم لأمر فيك تجديد"²

هل هو استفهام؟ أم تعجب؟ أم ماذا؟ والموقف والحالة التي أُلقي فيها هذا البيت كفيلان بتحديد المقصد إن كان استفهاماً أو تعجباً... و"كيفية تنغيم الصوت هي التي تُعيننا على تمييز أصوات الأشخاص"³، فالنطق هو السبيل أو الوسيلة التي يتحرك بها الساكن وتذبّ عبره الحيوية ولقد بين العرب القدماء أثر التنغيم في سلسلة الأحداث النطقية، ووظفوه في كلامهم وأشعارهم، إذ نجده "يلعب دوراً فاعلاً في التقرير والتوكيد والتعجب والاستفهام، والنفي، والإنكار والتهكم، والزجر والموافقة والرفض والقبول وغيرها من أنواع الفعل الإنساني كالغضب واليأس والأمل والفرح،... عن طريق التلوين في الدرجات التنغيمية وفيما يلي تسجيل لمستوياتها:

1. النغمة العالية، ورمزها الفونيمي /I/
2. النغمة المتوسطة، ورمزها الفونيمي /II/
3. النغمة الصغرى، ورمزها الفونيمي /III/. ويمكن تصوير التنغيم في سلسلة الحدث الكلامي بالشكل التالي:



¹ مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، ص 60.
² المتنبّي أحمد بن الحسين، الديوان، شرح ناصيف اليازجي، وط، دار المعرفة، بيروت، دت، ص 359.
³ ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، ط 8، عالم الكتب، القاهرة، 1419هـ/1998م، ص 92.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّنعيم في القرآن الكريم

A

B

falling to التّغمة الهابطة

D

←
kernel التّوأة

تمثّل التّقطتان (AC) التّغمة الصّاعدة في التّيّار الكلامي، وإنّ النّقطة (C) تمثّل نواة المقطع الذي يقع عليه أثر التّنعيم؛ لتحقيق الغرض القصدي، أمّا التّقطتان (BD) التّغمة الهابطة في التّيّار الكلامي حيث تمثّل (B) ابتداءها و (D) نواة المقطع الذي يحمل درجة التّنعيم¹.

نلاحظ من خلال هذا التّقسيم، والرّموز التي لحقت به أنّ التّنعيم بمستوياته المختلفة يوصل المستمع إلى نوع من الإيقاع الذي يشدّه ويأسر نفسه، وهذا ما نلمسه في إستماعنا للنصّ القرآنيّ.

وفي قول جليسون (Gleason) تأكيد على ما ورد سابقا فهو يعتبر التّنعيم "قمة الظواهر الصوتيّة التي تكسو المنطوق من أوّله إلى آخره، فكلّ عبارة موسومة ومقيّدة في الوقت نفسه بمنحنى تنغيميّ عام (intonation contour) مركّب من أحد مستويات درجة التّنعيم (Pitch Levels) التي تتدرّج صعودا من 1/ إلى 2/ إلى 3/ إلى 4/ . ومن نهاية عبارة واحدة (TCs) Terminal contour"²، والمقصود هنا أنّ "منحنى التّنعيم يقتضي ضرورة شدّ الأوتار الصوتيّة عند بدء الكلام، وعلى العكس من ذلك يقتضي - لدواعي الاقتصاد في الجهد- ميلها إلى الاسترخاء حالما يقترب الكلام من نهايته؛ وذلك لأنّ المتكلّم في أوّل نطقه يكون أقوى نفسا وأظهر نشاطا، وبين البداية والنهاية يمكن للمرء أن يستخدم هذا المسار لإدخال بعض التّمايز، وهو ما يحدث عند البشر جميعا بطريقة واحدة، ولو أنّ الأشكال تختلف من مجتمع إلى آخر"³، فالمتكلّم بالعربيّة ليس كالمتكلّم بالفرنسيّة أو بأيّ لغة كانت؛ لأنّ نبرة الصّوت تختلف، ومستويات التّنعيم تختلف كذلك، وهذا حسب ما تدعو إليه الحاجة وما يقتضيه الموقف؛ لأنّ التّنعيم له دور فاعل وفعّال في حديثنا أو كلامنا وهذا ما يؤكّده عبد الجليل عبد القادر في جمعه للحالات التي يحدث فيها وهي: "التّقرير والتّوكيد والتّعجب، والاستفهام، والتّفي، والإنكار، والتّهكّم، والزّجر، والموافقة

¹ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغويّة، ط1، دار صفاء للنشر والتّوزيع، 1418هـ، 1998م، ص257، 258.

² ينظر: Gleason. An introduction to descriptive linguistics. P48.

³ فوزي حسن الشّايب، قراءات وأصوات، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع، إربد، شارع الجامعة، 2012م، ص153.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

والرّفص والقبول وغيرها من أنواع الفعل الإنسانيّ كالغضب واليأس والأمل، والفرح والحزن، وبيان الحال، والغنى والفقير، والشكّ واليقين، والإثبات واللامبالاة، والإقناع¹؛ فكلّ حالة من هذه الحالات يختلف فيها التنغيم وتتغير مستوياته بين انخفاض وارتفاع وتوسّط، وسنسوق على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ ﴿٣٠﴾ الطور الآية (30)، فهنا (أَمْ) تقوم مقامها (بَلْ)؛ أي: "بَلْ يقولون شاعر، فيهبط التنغيم إلى أدنى درجاته فيوحي منهم بالتشكيك في شاعريّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، و(أَمْ) تأتي بمعنى الاستفهام كقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ البقرة (108)؛ أي: أتريدون أن تسألوا رسولكم. فيصعد التنغيم للاستفهام منهم عن سؤال الرسول...²".

والملاحظ هنا أنّ الحرف قد تتغير دلالته، والتنغيم له دور في الكشف عن معناه، وهذا ما لمسناه في المثالين السابقين من تحوّل دلالة الحرف (أَمْ)، إذ أصبح يفيد معنى (بَلْ)، ثم وظف (أَمْ) في سياق آخر فأصبح يدلّ على السؤال.

2- بين النغم والتنغيم:

يبدو لنا أنّ مصطلح النغم عند الفلاسفة العرب عموماً "يدلّ على شيئين: النغم إذا تعلق الأمر بالمفردات، والتنغيم (ويطلقون عليه اللحن أيضاً) إذا كانوا يتحدثون عن الأقوال"³، وهو نفسه ما ذهب إليه عبد القادر عبد الجليل في الأصوات اللغوية "نجد الفراوي قد استخدم مصطلح النغم (Ton)؛ ليستدلّ به على التنغيم... ويبدو أنّ اللحن عند الفراوي ذو منعكس دلاليّ، والمراد به التنغيم المصاحب للألفاظ، وعنده إنّ اللحن جماعة النغم التي تصاحب الحروف في رحلتها الاسماعيّة"⁴، وهذا كلّّه بالنسبة إلى الرّبط بين النغم واللحن والتنغيم. لكننا في نفس الآن نجد

¹ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات العربيّة - سلسلة الدراسات اللغوية، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م، ص257.

² ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص164.

³ أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة-دراسة لسانيّة في الصوّات الإيقاعيّة، ج 01، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م، ص163.

⁴ عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغويّة، ص255.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّغيم في القرآن الكريم

اللّسانيين المحدثين يفرّقون بين مصطلح التّغيم والتّغمة، فالنّغمة "هي إرتفاع الصّوت أو إنخفاضه على مستوى الكلمة كما نرى في مثل هذه الكلمات (نعم، لا، ولد). كما نجد لغات نغميّة تستعمل التّغمت بوصفها فونيمات تقوم بدور وظيفي لتحديد دلالة الكلمات كما نرى في بعض اللّغات الأوروبيّة مثل: السّويدية وبعض اللّغات الإفريقيّة مثل: الصّوماليّة، وبعض اللّغات الآسيويّة مثل: الصّينيّة التي تنطق بعض كلماتها بثلاث نغمت مستوية وصاعدة وهابطة"¹، وتسمّى اللّغات المعتمدة على التّغمة "باللّغات النّغمية؛ لأنّها تستخدم النّغمة لتميّز بها بين الكلمات"².

أمّا عن التّغيم "فهو درجة ارتفاع الصوت أو إنخفاضه على مستوى الجملة أو العبارة، ونجد هذا في معظم اللّغات مثل العربيّة والإنجليزيّة اللّتين تستخدمان التّغيم كما نرى في جملة الاستفهام (محمود موجود؟) بنغمة صاعدة وجملة الإخبار (محمد موجود) بنغمة هابطة"³، وتسمى هذه اللّغات "بالنّغمية"⁴، كما أنّ التّغيم في الكلام "يقوم بوظيفة التّرقيم في الكتابة، غير أنّ التّغيم أوضح من التّرقيم في الدّلالة على المعنى الوظيفي للجملة... فلقد كانت اللّغة العربيّة الفصحى في عصرها الأوّل ككلّ لغات العالم ربّما أهملت أنّ تذكر الأدوات في الجملة اتّكالا على التّعليق بالنّغمة"⁵

3- أنواع التّغيم:

لقد برز التّغيم كظاهرة صوتيّة خاصّة عند القراء والمرتلين لكتاب الله العزيز، وهذا لما له من أهميّة ونعزو إهتمامهم بهذه الظّاهرة إلى محاكمتهم لقراءات السّلف نقلاً عن رسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وذلك لأنّ جبريل عليه السّلام كان يلقّن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم القرآن مشافهة وفي ذلك حكمة بالغة قد نتساءل ونقول كيف ذلك؟ إنّ بتلقين جبريل عليه السّلام القرآن شفهيّاً

¹ صبيح التّميمي، دراسات لغويّة في التّراث القديم، صرف نحو تركيب دلالة، مناهج بحث، ط01، 2003م، ص164. وينظر: شهرزاد كامل سعيد، التّغمة في اللّغة العربيّة، مجلّة جامعة دمشق، مج 27، ملحق 2011م، ص 640.

² زين كامل الخويسكي، لسانيّات من اللسانيّات، د ط، جامعة الإسكندرية، 2002م، ص 73.

³ صبيح التّميمي، دراسات لغويّة في التّراث القديم، ص 164.

⁴ ينظر: شهرزاد كامل سعيد، التّغمة في اللّغة العربيّة، ص 460.

⁵ سهل ليلي، التّغيم وأثره في إختلاف المعنى ودلالة السّياق، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 07، جوان 2010 م، ص 05.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمعه ويحفظه عنه، كما أنزل بوقعه وتنغيمه ومدّه وإدغامه، وبكلّ ما فيه؛ أي يحفظه أداءً ومعنىً (دلالةً). ومنه جاء تقسيم التنغيم إلى نوعين أدائيّ ودلاليّ، والدلاليّ تنفرّع منه أيضاً تقسيمات أخرى سنتطرق إليها في حديثنا لاحقاً.

أولاً: التنغيم الأدائي: هذا النوع من التنغيم مرتبط بالأداء اللغوي ارتباطاً وثيقاً "وأقصد به هنا طريقة نطق الكلمة حسب النظام اللغوي المتعارف عليه عند أهل اللغة أنفسهم، وهذا لا يكون إلّا بالتعلّم المكتسب من خلال ما يسمعه المرء"¹، فالأداء مرتبط بالبيئة، وكذلك بنوع الكلام المؤدّي.

أ- ارتباطه بالبيئة: فالبيئة تفرض على الإنسان نمطاً معيناً من الكلام، فالعربيّ ليس كالعربيّ مثلاً، فكلّ واحد منهم يؤدّي لغته سليقة كما إعتاد وألف قومه وعشيرته عليها، وهنا يختلف التنغيم أثناء أدائه في نغماته ومستوياته المختلفة.

ب- ارتباطه بنوع الكلام المؤدّي: يجدر بنا في هذا الجانب أن نخصّص، فمن يتكلّم باللغة العاميّة ليس كمن يتكلّم بالفصحى، ومن يقرأ قصّة ليس كمن يتلو القرآن، فإذا كانت الدلالة في الكتابة تتحدّد بعلامات التّرقيم، وتتحدّد في الكلام عن طريق التنغيم، فإنّها في القرآن الكريم لا تتحدّد إلّا بواسطة التّجويد. وهو العلم الذي نُصوّنُ به اللسان عن الخطأ في لفظ القرآن²، فبالتّجويد تتضح معالم التنغيم، وهنا الكلام المؤدّي هو كلام الخالق، وأدائه (الكلام) ينبغي أن يكون عن دربة وإتقان وعلم باللغة العربيّة، وطريقة النطق الصّحيح لها.

ثانياً: التنغيم الدلالي: عندما نسمع كلمة دلالة يتبادر إلى أذهاننا المعنى المراد، والذي يجتمع تحت أيقونة مميّزة لنا أن نشير إليها:

الدال + المدلول = علامة

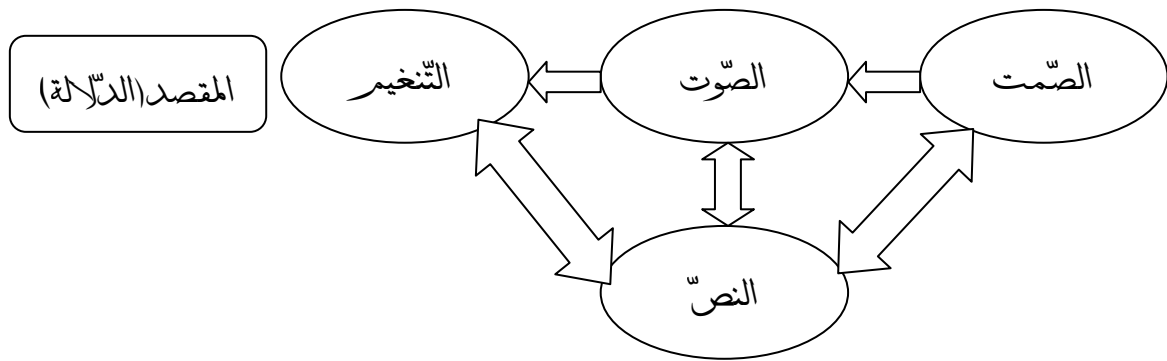
¹ صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة العربية_دراسة لسانية، ص 89، 90.

² الحوارنة يوسف عبد الله، التنغيم والدلالة في اللغة العربية، مجلة الموقف الأدبي، ع 31/369، يناير 2002م، ص 40.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

فاجتماع كل من الدال والمدلول يشكّل لنا علامةً، وبها تتضح الكثير من المعالم. فالتنغيم الدلالي هو الذي يقودنا إلى المعنى المتوخى من خلال الجملة المنطوقة أو حتى الكلمة "فالتنغيم عنصر مكمل للمنطوق لا ينفك عنه، وأمانة صحته ووفائه بالمعنى المقصود وفقاً لنوعيات التراكيب، ونوعيات مقام الكلام"¹.

نستشف من خلال ما سبق ذكره الارتباط الوثيق بين الصوت وتنغيمه، فهما عنصران مكملان لبعضهما البعض، فعند خروج النص من الصمت إلى الصوت تتحدّد الخاصيتان معاً مُشكّلةً لنا دلالة وهذا ما توضّحه الترسّيمة التالية:



ترسّيمة تمثل علاقة التنغيم بالصوت

الترسّيمة تشير إلى أنّ النصّ يكون في حالة الصمت، ثمّ يخرج إلى الصوت وتُثبت فيه الروح الصوتية، وبعد الصوت يأتي التنغيم بآثاره الأدائية والدلالية، فيتولّد بذلك روح النصّ وهو (المقصد-الدلالة- المعنى). والتنغيم الدلالي بدوره ينقسم إلى قسمين هما: (التنغيم التعبيري- التنغيم النحوي)

أ- التنغيم التعبيري: هذا التنغيم له علاقة بالتعبير الذي يُوصّل به المتكلّم ما يريد قوله إلى الغير، فعلى سبيل المثال "التنغيم التعبيري في العربية واضح جليّ، والعربيّ يستخدمه في كلامه كيّ يفصح عن دلالات محدّدة، وهذا التنغيم لا يقتصر على التأكيد أو الانفعال أو الدهشة والغضب وما إلى ذلك، ولكنّه يشمل كلّ مناحي التنغيم المصاحب للكلام، فهو شموليّ حتى وإن كان القول مجرد

¹ كمال بشر، علم الأصوات، ص 547.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّنعيم في القرآن الكريم

إخبار، فلإخبار نعمته الخاصّة به، وللسرّد الكلاميّ تنغيمه الخاصّ به، وفي هذا المستوى يكون التّنعيم تمييزيّاً¹، فبذلك يخرج التّنعيم من الخصوصيّة إلى الشموليّة، ويشمل جميع التّعابير الدلاليّة الموحية. و"نعمات الكلام دائماً في تعيّر من أداءٍ إلى آخر، ومن موقف إلى موقف، ومن حالة نفسيّة إلى أخرى، ولتّعمات مدى من حيث الارتفاع والخفض تحسّسه الأذن المدربة؛ فعندما ترتفع درجة التلّوين الموسيقي نحصل على تنغيم مرتفع (rising tone)، وعندما تنخفض هذه الدّرجة نحصل على تنغيم منخفض (Falling)، أمّا إذا لزمَت هذه الدّرجة مستوى واحداً، فالحاصل إذن نغمة مستويّة (Level)"².

فالتلّوين التّعبري تنتج عنه هذه المستويات وفق نغمة الكلام المتغيّرة والمصاحبة للحالة النفسيّة والشعوريّة للمتكلّم أو المعبر، وهو ما لا نجد في لغةٍ واحدةٍ إذ تشترك كثير من اللّغات في التّنعيم التّعبري بل في طريقة التّنعيم نفسه في بعض المواقف كالتعجّب مثلاً، والأصل أن يصاحب المتكلّم تنغيمات مختلفة بحسب الكلام الذي يتحدث به والموقف الذي يحيط بهذا الكلام، فالتّنعيم يعطي دلالات مختلفة ومتباينة. على المتكلّم أن يراعي قواعد التّنعيم التّعبري في كلامه وإلاّ فهم خطأ³، ففي هذا الباب تحضّرنا قصّة أبي الأسود الدؤلي مع ابنته أثناء حديثه معها حين ألقت على مسامعه عبارتها المشهورة: (ما أجملُ السّماء) فقال: (نجومها)، فقالت: ما إلى هذا قصدت، وإّما أردت أن أتعجّب من جمالها، فقال الرّجل: فقولي إذن: (ما أجملُ السّماء). فالفتاة هنا لم توفّق في أدائها التّعبري في الوهلة الأولى كما لاحظنا؛ لأنّ المقصد تعيّر بمجرد تغيّر التلّوين الموسيقي "فالجملّة الواحدة قد يتنوّع معناها بتنوّع صور نطقها وكيفيّة التّنويع في موسيقاها. تأمل مثلاً عبارة: يا إلهي! فقد تعني التحسّر أو الزّجر أو عدم الرّضا أو الدهشة... إلخ وفقاً للحالة المعينة، وهذه المعاني وغيرها إنّما ندركها بلون الموسيقى التي تصاحبها عند النّطق في كلّ حالة"⁴. فالتّنعيم التّعبري مرتبط بالتّنويع في موسيقى التّعابير أو الجمل وفق الحالة التي يكون عليها المتكلّم والمعنى الذي يريد إيصاله من خلال كلامه.

1 صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدّلالة في العربيّة، ص 90.

2 كمال بشر، علم الأصوات، ص 533، 534.

3 صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدّلالة في العربيّة، ص 90.

4 كمال بشر، علم الأصوات، ص 534.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّنعيم في القرآن الكريم

ب- التّنعيم التّحوي: لقد ربط الدّارسون ظاهرة التّنعيم بالتّحو، وذلك لِمَا لَهَا من أهميّة "في فهم التّركيب، إذ بدونه يحدث إغلاق الفهم أو فهم التّركيب على غير المعنى الذي قصد به"¹. وهذا بمجرد تغيّر الحركات الإعرابيّة. في هذا الصّدّد تحضرنا قصّة الفتاة الّتي كانت في الصّحراء وطلبت من والدها الماء فقالت له: (أبي عطشت)، فقال لها: (ما أنا بعطشان)، وكانت تُعيد نفس العبارة ولكنّ والدها لم يفهمها، فكادت تهلك من العطش بسبب لبسٍ في الفهم مرتبط بلحن في الحركة الإعرابيّة، إذ كان عليها أن تقول: (أبي عطشت). ومنه يتّضح لنا "أنّ للتّنعيم فوائد جمّة في التّفريق بين دلالات الجمل ومعانيها، إذ أنّ للتّنعيم وظائف نحوية ودلاليّة هامّة، فالجملة الواحدة قد تكون إثباتيّة (تقريرية) أو استفهاميّة، والفيصل والحكم في التّمييز بين الحالتين يرجع إلى التّنعيم"².

فإذا قلت على سبيل المثال (كَمْ مدينة زرت) و(كَمْ مدينة زرت)، فهنا التّلوين الصّوتي هو الفيصل في الحُكم، إذ أنّ الظّاهرة التّحوية هنا تتغيّر بمجرد تغيّر الصّوت، وهذا ما يجعلنا نربطها بالتّنعيم التّحوي، فالجملة الأولى بدأت بـ (كَمْ) العددية، والجملة الثانية بدأت بـ (كَمْ) الاستفهاميّة ولا نفهم المعنى هنا إنّ كان إخباريًّا تقريريًّا أو استفهاميًّا إلاّ من خلال التّنعيم نحوًا.

4-أهميّة التّنعيم في القرآن الكريم:

إنّ اللّغة الغنيّة بالموسيقى يفوق سحرها وتأثيرها سحر الموسيقى؛ لأنّ للّغة معانٍ مؤثّرة أوّلاً "فإذا انتظمت بطريقة تنعيميّة أو موسيقيّة صار التأثير مضاعفًا لوجود عاملين مؤثّرين: المعاني أوّلاً والتّنعيم ثانيًا، والكلام الّذي يتوفّر فيه الإيقاع والتّنعيم يثير في السّامع إنتباهًا عجيبًا لِمَا فيه من توقع لمقاطع تنسجم مع ما سبق سماعه، فتتحفّز النّفس وتتهيأ لاستقبال المعاني والاستجابة لها أيّا كانت تلك المعاني"³، هذا بالنّسبة إلى اللّغة عامّة؛ فما بالنا بلغة القرآن الكريم؟ فإنّ من إعجازه نظمته الموسيقي الرّائع المسيطر على المستمع، ولو من غير العرب المسلمين حيث أنّ "قوانين

¹ صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدّلالة في العربيّة، ص93.

² حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص168.

³ سناء حميد البيّاتي، التّنعيم في القرآن الكريم- دراسة صوتيّة، جامعة بغداد، مركز إحياء التّراث العلمي العربي للدراسات الإسلاميّة، 2007م، ص05.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّغيم في القرآن الكريم

الموسيقى قد لُحِظت في القرآن تامة كاملة¹، ويكون التّغيم في الجملة القرآنيّة ذات معنى محدّد له، وله "دلالة وظيفيّة على معاني الجمل تتّضح في صلاحية الجملة التّأثيرية المختصرة نحو: (لا، يا سلام، الله... إلخ) لأنّ تقال بنغمات متعدّدة ويتغيّر معناها التّحوي والدّلالي مع كلّ نغمة بين الاستفهام والتّوكيد والإثبات لمعاني الحزن والفرح والشكّ والتّأنيب والاعتراض والتّحقير وهلمّ جرّاً، حيث تكون النّغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبّب عنه تباين هذه المعاني؛ لأنّ هذه الجمل لم تتعرض لتغيّر في بنيتها ولم يضاف إليها أو يستخرج منها شيء، ولم يتغيّر فيها إلا التّغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم ممّا يعتبر من القرائن الحالية². كما أنّ للنّغمة الصّوتية أثر في الحركة الإعرابيّة في أواخر الكلم في الجملة "فالنّغمة في الجملة تعدّ قرينة من القرائن اللفظية يتوقف عليها أحيانا مدلول الكلام وقد تُغني عن بعض الأدوات كأدوات الاستفهام وغيرها..."³.

ودليلنا على ما في القرآن من تنغيم معجز "ذلك الأثر الذي أوقعه في نفوس القاسية قلوبهم من أهل الزّيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق. وكان الوليد بن المغيرة واحداً من الذين لانوا للقرآن ورقّوا له بعد مكابرة وعناد فقال... (والله إنّ لِقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنّ عليه لَطلاوة، وإنّهُ لثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّهُ ليعلو وما يعلى، وإنّهُ ليحطّم ما تحته)"⁴، وهو ما أكده ابن أثير صاحب المثل السائر في قوله: "ومن له أدنى بصيرة يعلم أنّ للألفاظ في الأذن نغمة أوتار... وأنّ لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل، وهي على ذلك تجري مجرى النّغمات والطّعم"⁵.

فإنّ كان من الواجب على المسلم الاستماع والاستمتاع والتدبّر من خلال القرآن الكريم، وجب عليه التّغني به في "قوله صلّى الله عليه وسلّم: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن)، وقال أيضا:

¹ محمد أحمد حنفي، الموسيقى العربيّة قبل الإسلام حتى سيّد دويش، دط، محيط الفنون، دار المعارف بمصر، القاهرة، دت، ص 62.

² تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 228.

³ عبد الزهرة زبون حمود الرّبيعي، تنغيم الجملة في القرآن الكريم، قسم اللّغة العربيّة، كليّة التربية، الجامعة المستنصريّة، العراق، 2013م، ص 03.

⁴ سناء حميد البيّاتي، التّغيم في القرآن الكريم، دراسة صوتيّة، ص 07.

⁵ ابن الأثير ضياء الدّين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ج 01، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دط، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، 1995م، ص 15.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّغيم في القرآن الكريم

(زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)¹، ومن ذلك تستحبّ قراءة القرآن بالصّوت الحسن؛ لإظهار عظّمته واستدّاقة فنّه. والتغنيّ بلحون العرب الذي يدعوننا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: "إقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنّه سيحيي من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنّوح"². لكن هذا التنوّع حسب ألحان العرب وأصواتها له من الوازع ما يضبطه "فأهمّ المصطلحات التي تدخل ضمن نطاق التّغيم ومكوّناته في القراءات القرآنيّة نجد:

- 1- المقام الصّوتي: هو الطّابع الموسيقيّ الذي يمتاز به نغم مسمّى له أبعاده ودرجاته المتعارف عليها.
 - 2- السّلم الموسيقي: يعني درجات ارتفاع الصّوت وانخفاضه ضمن نسق منتظم، فإذا تمّ القفز مباشرة أصبح نشازا.
 - 3- النّشاز: هو الصّوت الذي لا تقبله أو تستسيغه الأذن نتيجة الأداء غير المتناسق.
 - 4- القرار: انخفاض في عدد اهتزاز النّبرات الصوتيّة في أداء الطّبقات الصوتيّة.
 - 5- الجواب: هو ارتفاع الطّبقة الصوتيّة الناتج عن إزدياد في عدد اهتزاز النّبرات الصوتيّة"³.
- لكن لا بدّ أن نوضّح أنّه قد اختلف العلماء حول "نظام المقامات وأصولها التّغمية وأوزانها الإيقاعيّة، فمنهم من شرع فيه وأباحه، ومنهم وجه في الابتعاد عن التكلّف فيه، ومنهم من وضّح حرّمته إذا كانت القراءة على لحن أغنيّة يميّزه السّامع، وربّما يصل به إلى مرحلة التّطريب"⁴.
- 5-وظائف التّغيم في القرآن الكريم:

¹ ينظر: نعيم الباقي، عودة إلى موسيقى القرآن، مجلّة التراث العربي، فصلية تصدر عن إتحاد الكتّاب العرب، دمشق العدد 25، السنة 07، 1984م، ص 64.

² ينظر: نعيم الباقي، عودة إلى موسيقى القرآن، مجلّة التراث العربي، ص 64.

³ علي حسين البوّاب، القراءات القرآنيّة والأحاديث الشّريفة، دط، دار الفرقان للتوزيع والنّشر، عمّان، الأردن، 1983م، ص 28.

⁴ علي عبد الله، التعبير الدرامي والتّغيم في ترتيل القرآن - القاريءعبد الباسط أمودجا، المجلّة الأردنيّة للفنون، مجلّد: 06، العدد 01، 2013م، ص 09.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّغيم في القرآن الكريم

من بين الظواهر الصّوتية التي وُجِدَتْ بصمتها بين ثنايا آي القرآن الكريم التّغيم "ولقد وردت عدّة إشارات دالّة على وظائفه في الدّراسات القرآنيّة، وهي وإن لم تنظر لذلك بصورة واضحة وصريحة فإنّ تراكم تلك الإشارات يدلّ على تمثّل أصحابها واستحضارهم للظاهرة"¹ خاصّة أثناء ترتيلهم أو تجويدهم للقرآن، أو حتى سماعهم له، فالتّغيم لا تحدّد ملامحه الحقيقيّة إلّا أثناء السّماع أو القراءة . وهنا يطرح السّؤال نفسه: ماهي وظائف التّغيم في القرآن الكريم؟ للتّغيم ثلاث وظائف أساسيّة تعمل عملاً تعاونياً حيثّ داخل جسد النصّ والمتمثّلة في: (الوظيفة الانفعاليّة التعبيرية، الوظيفة التّركيبية والوظيفة الدّلالية).

1- الوظيفة الانفعاليّة التعبيرية: إنّ قارئ القرآن ومرثله يتفاعل معه ومع معانيه، فيترجم تلك الانفعالات إلى نعماتٍ مختلفة تصدر أثناء تَفَنُّهِ في ترجمة الحروف إلى أصوات ذات دلالة، فإن كان في مقام الحديث عن الثّواب استبشر، وإن كان في مقام الحديث عن الخلق تدبّر، وإن كان في مقام الحديث عن العقاب خاف وتقهر. "وبذلك فإنّه يوظّف منحنيات أو نطاقات تنغيميّة مختلفة تؤدّي الوظيفة الانفعاليّة التعبيرية"². والمقصود ههنا "التّعبير عن الأحاسيس والانفعالات التي تختلج داخل نفس المتكلّم"³، فكلّ من يقرأ هذا الكتاب المعجز كان لزاماً عليه التّفاعل معه ومع ما يحتويه. وفي هذا الصدد يؤكّد الزّركشي: "فحقّ على كلّ مسلم أن يرتله، وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعه [...]" فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال التّرتيل فليقرأه على منازل، فإن كان يقرأ تهديداً، لفظ به لفظ المتهدّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم، لفظ به على التّعظيم [...]. فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها واستبشر إلى ذلك وسأل الله تعالى أن يُعيّده من النّار. وإن هو مرّ بآية فيها نداء (وللّذين آمنوا) فقال: (يا أيّها الذين آمنوا) وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول: لبيك ربّي وسعديك ويتأمّل بعدها ممّا أمر به ونهي عنه، فيعتقد بقول ذلك [...]. فإنّه إذا فعل هذا فقد نال كمال التّرتيل"⁴.

1 أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة، ج1، ص255.

2 أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة، ج1، ص256.

3 نفسه، ج1، ص255.

4 الزّركشي بدر الدّين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص532، 533.

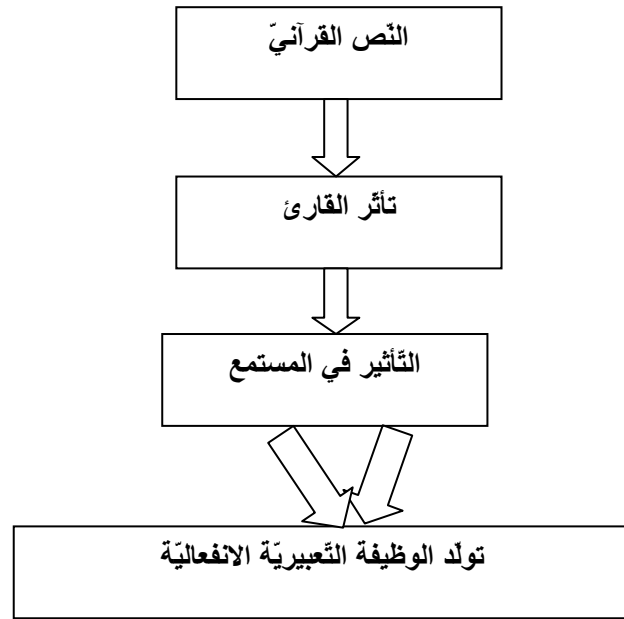
الفصل الثاني: بين الوقف والتّنعيم في القرآن الكريم

وكما رأينا فإنّ هذا القول الذي بين أيدينا يركّز فيه الزرّكشي على قراءة القرآن على منزله، وفي ذلك حكمة إذ أنّ لكلّ منزلة بصمتها التّنعيمية الخاصّة بها والتّمط الذي يحدّدها، فنمط التّهديد والوعيد ليس كنمط التّرعيب والتّرهيب والتّخويف. وسياق الحديث عن الجنّة ليس كالحديث عن النار فالقارئ عليه أن يتبحّر في هذه التّلوينات التّنعيمية التّعبيرية والانفعالية ليبيّن عمّا يختلج في سريره من تفاعل مع آي القرآن الكريم.

فبقراءتنا مثلاً قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾¹ الماعون، الآيتين (4، 5) علينا أن نُظهِرَ المستوى التّنعيمي بين ثناياها حتى إذا سمعها السّاهون عن صلاتهم خافوا وارتعبوا، وفي هذه اللحظات تتحرّك قلوب المؤمنين الذين يحشون عذاب ربّهم، أمّا إذا قرأنا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾² الكهف، الآية (31). علينا أن نُبرِزَ وتبيّن الجزء العظيم، ونصوّر للمستمع من خلال إنفعاله المعنى المقصود، وهو وصف الجنّة جاعلاً المتلقّي يسبح في تلك الأنهار من خلال التّلوينات التّنعيمية فتكتمل الصّورة لديه ويتمنّى لو يكون من هؤلاء، وفي هذا المقام يقول الإمام الغزالي عن قارئ القرآن أنّه عليه "أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجد يتّصف به قلبه من الحزن والخوف والرّجاء وغيره"¹، فهو يعيش داخل النصّ القرآني بمختلف تعبيراته ومعانيه، ويشرك المتلقّي في تلك المعاني التي يتأثر بها ويشحنه بها كأنّه مغناطيس يجذب إليه كلّ من يستمعه.

وفقّ ما عرضناه سابقاً نلمس أهميّة الوظيفة التّعبيرية الانفعالية البارزة في القراءات القرآنية والعلاقة التّناغمية بين القارئ والمستمع، فكلّ ما يحسّه القارئ يُوصّله إلى المستمع فمن ذلك قطب يؤثّر ويتأثر، وهو ما سنوضّحه في التّرسّيمة الآتية:

¹ الغزالي أبو حامد بن محمّد، إحياء علوم الدّين، ج1، ط3، دار القلم، بيروت، لبنان، دت، ص254، 255.



* ترسيمة توضّح التأثير والتأثر بين القارئ والمستمع*.

هذه الأيقونات متسلسلة يفضي بعضها إلى بعض، فالنصّ القرآني عندما يُقرأ من قِبَل القارئ يتأثر به، وهو بذلك يؤثّر في المستمع، وهذا التأثير والتأثر ينتج عنه نوع من التّوظيف التّغيمي الانفعالي

2- الوظيفة التركيبية: إنّ هذه الوظيفة لا تقلّ أهميّة عن سابقتها كَوْن آيات القرآن مركّبة تركيباً تعجيزياً فلو قدّمت أو أخّرت أو غيّرت، أو حتى نصّبت في غير محلّ للنصب ورفّعت في غير محلّ للرفع وقرأت الآيات، لكان الصّوت المنبعث نشازاً لا يستصغفه سمعٌ ولا تطرب له أذنٌ، ولا يقبله عقلٌ. يُقصدُ بهذه الوظيفة "التّفريق بين أنواع الجمل وتبيان وظائفها التّحوّية من خلال التّمييز بين أسلوب تركيبّي وآخر، فلكلّ جملة قالب تنغيميّ خاصّ بها تتفرّد به ولا تقاسم فيه جملة أو جملاً

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

أخرى¹. وهذا إن دل على شيء فإتّما يدلّ على الإعجاز المتجدّر في النصّ القرآني، فبتنوع وتعدّد الجُمْلِ المكسوة بطابع تنغميّي تنوّع وتعدّد الأساليب ما بين أمرٍ وتأكيّدٍ واستفهامٍ، ونهيٍّ ونفيٍّ، وقَسَمٍ ونداءٍ وخبرٍ وإثباتٍ.

فلا تظهر صبغة أيّ لون من هذه الألوان التنغميّة إلاّ بعد النطق به أو سماعه، إذ التنغيم "يقوم بوظيفة تمييزيّة واضحة بين الجمل الإنشائيّة الاستفهاميّة والجمل الخبريّة، وذلك عن طريق مدّ الصّوت"². فإذا نطق القارئ بآية دالّة على الاستفهام وجب عليه تحقيقه، وإذا نطق بآية دالّة على الخبر وجب عليه الإخبار من خلال مدّ الصوت، ولقد أورد ابن جنّي مثالا في هذا الصّدّد فـ "قرأ: أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى بِالْمَدِّ الْحَسَنِ. وَأَنْ مَعْلَقَةٌ بِفَعْلِ مَحذُوفٍ وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ و تقديره: أَنَّ جَاءَهُ الْأَعْمَى أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَوَلَّى بِوَجْهِهِ؟"³. فابن جنّي هنا أوضح لنا ظاهرة التنغيم من خلال الوظيفة التركيبيّة .

لتتضح المعالم أكثر وينقشع الغمام عن هذه الظاهرة، نسوق بعض الأمثلة من الذّكر الحكيم إذ يقوم فيها التنغيم بوظيفته التركيبيّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا^ع وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ^ط إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يوسف الآية (29)، وهنا يبرز التنغيم من خلال تلاوة خاصّة "حيث يُتلى بالقالب التنغمي للنداء، وهذا القالب قائم رغم حذف حرف النداء"⁴. وفي قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ^ع﴾ الكهف الآية (05)، فهنا يوضّح الرّازي المعنى من خلال التنغيم التركيبي "وفيه معنى التعجّب كأنّه قيل ما أكبرها كلمة"⁵، ففي هذا التركيب نوع من التعجّب. أمّا في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ^ط تَبَتَّغِي

1 أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة، ج1، ص261.

2 أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة، ج 1، ص264.

3 ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جنّي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج2، تحقيق: عليّ التّجدي ناصف، عبد الحلّيم النّجار، عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء كتب السنّة، القاهرة، مصر، 1994م، ص352.

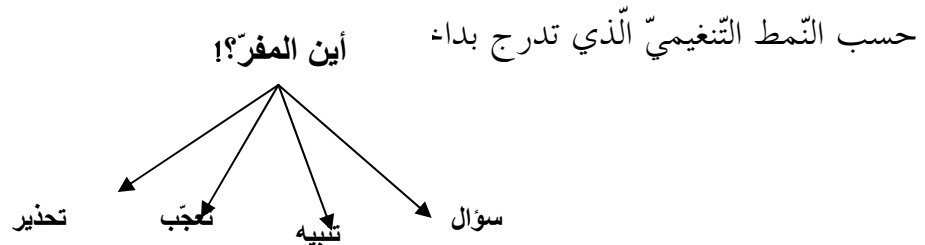
4 أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة، ج1، ص266.

5 فخر الدّين الرّازي، تفسير الفخر الرّازي- المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج21، قدّم له: خليل محي الدّين الميس، دط، دار الفكر، بيروت لبنان، 1995م، ص79.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

مَرَضَاتٌ أَرْوَجِكْ^١ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠١﴾ التحريم، الآية (01). هنا يكمن سؤال خفيّ بين ثنايا الآية "وبالرغم من حذف حرف الاستفهام إلا أن التنغيم ينقل دلالة الاستفهام، إذ الأصل "أَبْتَغِي"¹، وهذا إعجاز في القرآن الكريم. أدرجنا هذه الأمثلة لتتكشف لنا جوانب الوظيفة التركيبية المتعلقة بالتنغيم، فمن خلال كل ما سلف ذكره عنها يتضح تأثيرها في الجمل المنعّمة، ويعتبر التنغيم أداة تمحيص وكشف لتبيان أنماط الجمل وتركيبها الفعليّ.

3- الوظيفة الدلالية: بمجرد الخوض في مجال الدلالة نلمس تشعباً في المدلولات (المعاني) الجزئية من الحروف والكلمات، أو الكليّة من جمل و عبارات. والسبيل الموصل للتمييز بين تلك المعاني رغم اختلافها الوظيفة الدلالية "ويقصد بها التفريق بين دلالات السلسلة الكلامية الواحدة، حيث إنّ التنغيم يفوق الجملة الاستفهامية الواحدة إلى معانٍ متعدّدة بتعدّد أنماطها التنغيمية"²، فالكلمة الواحدة قد تتفرّع منها معانٍ عديدة، وذلك حسب السياق أو المقام الذي ترد فيه. الأمر نفسه ينطبق أيضاً على الجمل والعبارات إذ "يقوم التنغيم بوظيفته الدلالية أيضاً من خلال تنويع الأنماط التنغيمية للبنية التركيبية الواحدة"³، فعبارة (أين المرفّ) على سبيل المثال لا الحصر تقبل عدّة دلالات



هذه العبارة تتفرّع منها دلالات مختلفة فقد تدلّ على السّؤال، وقد تدلّ على التّنبية أو التعجب أو التحذير، والتنغيم هو الشّفرة التي توصل إلى معرفة المعنى الدلالي في كلّ قراءة، وخروج العبارة عن معناها الأصليّ الذي خصّص لها أرجحه الفيومي إلى أن "المعنى الذي في أصله يُفاد يُؤدّي بواسطة الجملة الاستفهامية، يؤدّونه أحياناً بالقلب التركيبي للجملة الخبرية، وكذلك المعنى الذي يؤدّي بواسطة الجملة الخبرية يؤدّونه أحياناً بالجملة الاستفهامية، ولا ضير في ذلك ما دام

¹ أحمد البايي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج 1، ص 266.

² أحمد البايي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج 1، ص 267.

³ نفسه، ج 1، ص 271.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

التّخيم والأداء قرينة دالة ومفصحة عن الغرض. وشأنه في ذلك شأن العلامات الإعرابية فكما أنّ الإعراب يُتيح للكلمة حرّية الحركة داخل الجملة، فتتقدّم تارة وتتاخّر أخرى دون إخلالٍ بالمعنى، كذلك قرينة الأداء تتيح للمتكلّم الخروج عن الأسلوب المعتاد في إيّانة غرضه وتوضيح مقصوده إلى الأسلوب المقابل له أو الموضوع لإفادة دلالة أخرى¹، وقد ركّز الفيومي في قوله على قرينة الأداء؛ ذلك لأنّها توصل إلى الدلالة المتبغاة. وللمزيد من الإيضاح تُوردُ بعض النّماذج التي تُظهر وتبيّن دور التّخيم في خروج الاستفهام إلى نطاق آخر وهو نطاق تعدّد الدلالات المناقبة لمعناه الأصلي.

- وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ البقرة الآية (06)، وهنا الظاهر لأوّل وهلة هو الاستفهام، ولكن في الحقيقة هو يحمل دلالة أخرى "فلفظه لفظ الاستفهام معناه الخبر، ومثل ذلك قوله: (ما أبالي أشهدت أم غبت*** وما أدري أقبلت أم أدبرت) وإتما جرى عليه لفظ الاستفهام"².
- ومّا جاء على صيغة الاستفهام ودلالته التعجّب قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ سورة الرعد، الآية (32). وفي هذا المقام يشير أبو حيان "فكيف كان عقاب؟! إستفهام معناه التعجّب بما حلّ، وفي ضمنه وعيد معاصري الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من الكفّار"³.
- وهناك إستفهام دالّ عن التّوبيخ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة، الآية (44) ومّن أثبتوا هذه الدلالة العكبري في رؤيته بأنّه "إستفهام في معنى التّوبيخ"⁴.

¹ الفيومي أحمد عبد التّوّاب ، أبحاث في علم أصوات اللّغة العربيّة ، ط 1 ، مطبعة السّعادة ، 1991م ، ص 191.

² الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد ، الحجّة في علل القراءات السبع ، ج 1 ، تحقيق: علي التّجدي ناصف، عبد الحلّيم النّجّار ، عبد الفتّاح شبلي ، ط 2 ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، 1983م ، ص 198 .

³ أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط ، ج 5 ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، أحمد النجولي ، ط 1، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان ، 2001 م ، ص 384.

⁴ العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ج 1، دط دار الفكر، بيروت، لبنان ، 1986م ، ص 41 .

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

- كما ورد في آي القرآن الكريم صيغة الاستفهام، ودلت على التعظيم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ سورة الانعام الآية (06)، وقال العكبري في هذا المقام: "قوله تعالى: (كم أهلكتنا) كم استفهام بمعنى التعظيم"¹.
- وهناك استفهام دال على التهكم والاستهزاء نحو قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آءِ الْهَيْهَاتُمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٢﴾ سورة الصافات، الآيتين (91، 92)، وهذا وارد في قصة إبراهيم عليه السلام، إذ يسخر من قومه عن طريق سخريته بألهم بتنغيم خاص مزوج بالتهكم والاستهزاء.
- ومما ورد في سياق استفهامي قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ سورة الإنسان، الآية (01). فيقول ابن جني بأن (هل) جاءت: "بمعنى قد، أي قد أتى عليه ذلك"² والدلالة هنا تتحقق عن طريق التنغيم "ولعل خروج الاستفهام إلى معنى الخبر من أشد مفارقات التنغيم لأنهما معنيان متدافعان"³. فالتنغيم هو المحقق لهذه المفارقة العجيبة. ومن خلال ما أوردناه من آيات من الذكر الحكيم والتي تتغير عبرها دلالة الاستفهام الحقيقية؛ لأنه يخرج من إطار السؤال الذي ينتظر الإجابة إلى السؤال التعجيزي؛ لأن السؤال هو رب العالمين العالم بكل شيء وهذا ما يوضحه ابن خالويه فـ "لا يكون في القرآن استفهام؛ لأن الاستفهام استعلام ما لا يُعلم والله تعالى يعلم الأشياء قبل كونها. فإذا ورد عليك لفظ من ذلك فلا يخلو من أن يكون توبيخاً أو تعجباً أو تسوية أو إيجاباً أو أمراً"⁴.

¹ نفسه، ج1، ص242.

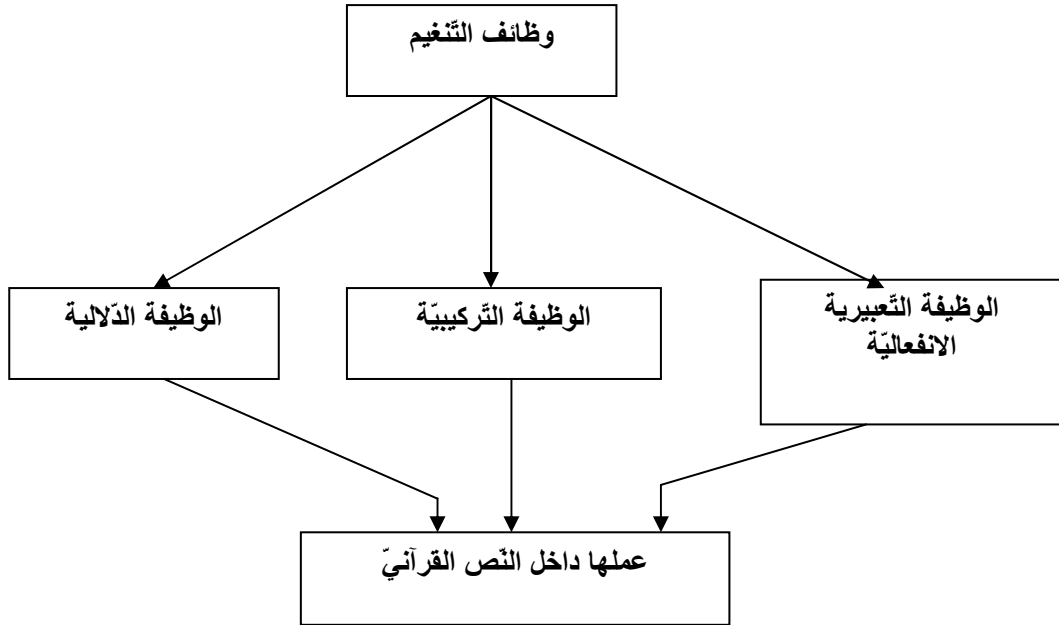
² ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، تحقيق، محمد علي النجار، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983م، ص462.

³ ابن جني أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج2، ص165.

⁴ ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد، إعراب القراءات السبع وعللها، ج2، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1992م، ص320.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

يعدّ في هذا الصّد ابن خالويه الدّلات التي يفيدها الاستفهام داخل النصّ القرآنيّ، والتي عرضنا الجزء اليسير منها فيما سبق. وفي الأخير نصل إلى القول بأنّ التنغيم به تقوم الدّالة، فهو ركيزتها وبه تتّضح دلالات الجمل. ونلخص كلّ ما ورد من وظائف التنغيم في الترسّمة الآتية:



إنّ هذه الوظائف مجتمعة تسهم ولو بالترز القليل في الكشف عن بعض مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، وذلك لما لها من أهمّية داخل النصّ القرآنيّ، فهي تعمل عملاً تعاونياً حثيثاً لتسهّل لنا كلّ صعب، وتُبيّر لنا كلّ درب داخل جنة القرآن الكريم.

6-التنغيم في القراءات القرآنيّة:

التنغيم من بين الظواهر الصوّتيّة التي شغلت بال الدّارسين للقراءات القرآنيّة، وذلك لما لها من أهمّية أثناء الترتيل فالقراءة المرتّلة تقتضي "أنّ يُوقّع القارئ بصوته ملامح العلوّ الموسيقيّ، أيّ النغم والتنغيم، فالترتيل ليس فقط تجويد الحروف، بل هو أيضا مراعاة المستوى اللّحني"¹، والمقصود بالمستوى اللّحني هنا (النغمة الهابطة، النغمة المتوسطة والنغمة المرتفعة-الصّاعدة-). فهناك من ربط قراءة القرآن بالصّوت المنغمّ مشيراً إلى القراءة القرآنيّة بأنّها "أصوات القراء ونغماتهم"²، فالتنغيم كظاهرة ينشط أثناء التلاوة بتغيير النغمة من قبل القارئ، ونورد في هذا الصّد قول بعض المحقّقين

¹ أحمد البايي، القضايا التطريزيّة في القراءات القرآنيّة، ج1، ص286.

² القرطبي أبو عبد اله بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج1، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1993م، ص04.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّنعيم في القرآن الكريم

إذ "ينبغي أن يُقرأ القرآن على سبع نعمات، فما جاء من أسمائه تعالى وصفاته فالتّعظيم والتّوقير، وما جاء من المفتريات عليه فبالإخفاء والتّرقيق، وما جاء على ردها فبالإعلان والتّفخيم، وما جاء في ذكر الجنة فبالشّوق والطّرب، وما جاء من ذكر النار والعذاب فبالخوف والرّهّب، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطّاعة والرّغبة، وما جاء من ذكر المناهي، فبالإبانة والرّهبة"¹. التّنعيم ههنا المقصود به هو التّنعيم الذي يتعامل فيه المقرئ أو القارئ مع ما يجده من أسرار ربّانية، فيصوّل ويحجول بنغماته الملوّنة التي تراعي المقام والمقال.

والتّنعيم في القراءات القرآنيّة لا يُضبط إلّا مشافهة (أي أثناء التّرتيل أو التّجويد)، والغرض منه التّأثير في المستمع والاستحواذ على أحاسيسه ومشاعره، فكلّما كان الصّوت جميلا زاد جمال الظّواهر الصوتيّة معه وبخاصّة التّنعيم.

التّنعيم كخصيصة صوتيّة مرتبط ببعض الظّواهر الموجودة داخل النصّ القرآنيّ كظاهرة المدود مثلا، فهي تحمل باقات تنغيميّة جميلة حسب نوع المدّ ودرجة طوله أو قصره، ففي الدّراسات القرآنيّة مثلا يطلقون على المدود بعض التّسميات كـ "المدّ المعنوي، ومدّ الاستفهام ومدّ التذكّر، ومدّ الندبة، ومدّ الإنكار... إلخ، ويدرجون المدّ ضمن الأنماط التّنعيميّة"²، وذلك لما يبعثه من نعمات تناسب المواقف التي يعترها، فهو يجعل القارئ يمدّ صوته، ويمدّه ذلك كأنه يعبر عمّا بداخله من انفعالاتٍ كما تتصل ظاهرة المدود في القرآن بالإشباع في الحركات القصيرة، فيصدر نغم موسيقيّ مختلف "ولعلّ ذلك يظهر في التّجويد أكثر ممّا يظهر في التّرتيل، فيمكن تفسير هذه الممارسة الصّوتية على أنّها حاجة قرائية"³ قصد زيادة جمال التّنعيم الموسيقيّ الصّادر عند الإشباع.

7- بين الوقف والتّنعيم:

آثرنا بعد تعرّفنا على كلّ من الوقف والتّنعيم أنّ نبيّن العلاقة القائمة بينهما، فهل هما عنصرا مكملان لبعضهما البعض؟ أم أنّ أحدهما يحتوي الآخر؟

¹ ينظر: الحمد غانم قّدوري، الدّراسات عند علماء التّجويد، ط1، دار عمّار، عمان، 2003م، ص480.

² ينظر: أحمد البايبي، القضايا التّطريزيّة، ج 2، ص300.

³ أفنان عبد الفتّاح النّجار، إشباع الحركات في العربيّة بين الممارسة والتّعليل، ص159.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

إنّ هناك من الدّارسين من يرى بأنّ التنغيم لون من موسيقى الكلام، وبه يتمّ التحكم في الصّوت تارة، وخفضه أخرى لا بصورة عشوائية مُنفلتة، بل بانتظام وذوق ودقة، وفقاً لمتطلّبات المعنى المتوخّى وطبقاً لقواعد التّحو وضاوابط الوقف، وهي عمليّة من شأنها التّسامي بإثبات الإلقاء المثالي¹ نستشف من خلال هذا القول بأنّ التنغيم له ضوابط تضبطه ومن بينها الوقف وهذا كلّ من أجل تحقيق ما يسمّى بالإلقاء المثالي، وهناك من ينظر إلى التنغيم والوقف بمنظور آخر إذ "يضع التنغيم في البنية العميقة، وقد عُرف الوقف باعتباره الحدود الموجودة بين النّطاقات التنغيميّة، تلك الحدود التي لا تتناسب مع الصّمت، أو غياب التّصويت أو المجموعات التنفسية"². ونلاحظ هنا بأنّ التنغيم يحتوي الوقف وذلك باعتباره حدّاً من الحدود الموجودة بين النّطاقات التنغيميّة.

كما يرى روسي (rossi) أنّ "الوقف لا يمثّل سوى جزءاً من الملامح التي تشترك في تحديد الذرّات التنغيميّة، أي في المناعِم والتي هي العناصر المكوّنة للصرّيفات التنغيميّة... والوقف قد لا يحقّقه الصّمت، وفي هذه الحالة فإنّنا نقتصد ملامحا تنغيميّاً"³. فالوقف هنا أشير إليه على أنّه جزء من الملامح المتّحدة لتبيّن الذرّات التنغيميّة، وفي أحيان كثيرة يعتمد على التنغيم لبيان الوقف والمقصد منه و"الوقف الذي ندرسه أكثر رواجاً وأغزر تأليفاً وتداولاً، وأقرب إلى النصّ القرآني المسيّج بعلوم القرآن، وعلوم التّجويد الدّقيقة التّنوع، ولكنّه يلتقي مع التنغيم... من حيث كونه ظاهرة صوتيّة، إذ تشكّل من مجموع ما يسمّى بموسيقى الكلام"⁴؛ أي أنّ كلّاً منهما يمثّل قرينة صوتيّة تعمل داخل جسدية النصّ وتظهر أثناء التّصويت؛ أي القراءة " فلا يمكن تصوّر وقف- وخاصة السّكت- بدون نطاقات تنغيميّة، بل نكاد نزعّم أنّ جلّ السّكت* في حاجة إلى التنغيم، وإذا كان الوقف بنية إيقاعيّة فرعيّة، فثمّة تعالق بين التنغيم والإيقاع، وهو تداخل تؤكّده في الواقع

1 المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيّر المعاني النحويّة من خلال سورة التّساء، ص 166.

2 Stockwell.R.P.(1972).P86.87

3 ينظر: Rossi.Met al.(1981).P190.

4 المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيّر المعاني النحويّة، ص 167.

* الفرق بين السّكت والوقف، الوقف هو قطع الصّوت عن آخر الكلمة والوقف عليها بصورة معيّنة، أمّا السّكت فهو عبارة عن قطع الصّوت زماناً من دون زمن الوقف عادة من غير تنفّس، فيسكت سكتة خفيفة ولطيفة من غير قطع شديد.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنغيم في القرآن الكريم

اللِّسَانِيَّةُ الْقُرْآنِيَّةُ"¹، وهذا دليل على أنّ كلاً من الوقف والتنغيم يكملان بعضهما، فلا غنى لأحدهما عن الآخر.

ومن أمثلة تآزر التنغيم مع الوقف نحو قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ فَلَوْ قَرَأْتَ الْآيَةَ ووقفت عند (لاتقربوا الصلاة) لاختل المعنى وخرج عن حدوده المعقولة، فيجب إكمال الآية حتى يكتمل المعنى. وهنا يكمن دور التنغيم، فهو وسيلة مساعدة للكشف عن كل غامض، فعن طريقه يتبين كمال المعنى أو نقصانه .

عبر هذه التلويحات الوقفية والتنغيمية نخلص إلى القول بأن الوقف والتنغيم يتعانقان ليرسما لنا لوحة مزدانة بالمعاني الدفافة، وما قدمناه في هذه الأسطر يحتاج إلى البحث أكثر والتحصيص؛ لأنها دراسة فتيية.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية وتنوعاتها:

تعتبر القراءات القرآنية من العلوم الراقية التي استرعت اهتمام الكثير من الدارسين كونها تخدم كتاب الله عز وجل وتبين وجهاً من وجوه إعجازه، وتكشف لنا عن بعض أسرارهِ. فعلى الرغم من اختلافها وتنوعها إلا أنها لا تُفضي إلى خلل أو عيب أو نقص في المقروء -القرآن الكريم- ومرد الأمر كله لحكمة ربانية، إذ لا يتأثر النص القرآني بمجرد تغييرنا لنوع القراءة، كيف لا وهو كلام رباني مُترل من لدن عزيز حكيم، إذ أمرنا في مُحكم تنزيله بإجادة قراءته وترتيله لقوله عز وجل: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزملة الآية (04)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُر

¹ أحمد البايي، القضايا النظرية في القراءات القرآنية، ج2، ص300.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنخيم في القرآن الكريم

﴿٤﴾ وَقُرَّأْنَهُ فَأَتَّبِعَ قُرَّأْنَهُ ﴿القيامة، الآية (17، 18)؛ أَي "إِذَا تَلَوْنَاهُ بِوَسْطَةِ جَبْرِيْلَ فَأَتَّبِعَ قُرَّأْتَهُ"¹.

فأمين الوحي جبريل هو من علّم سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم قراءته (توتيله)، ورسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه علّم صحابته وكلّ من أحبّ هذا القرآن العربيّ المبين، وتناقلته الأجيال حفظاً وكتابةً، وتلاوةً وترتيلاً إلى أن وصل إلينا بقراءاته المتنوّعة، ولكنّ مضمونه بقي واحداً ولم، ولن يتغيّر؛ لأنّ الله يحفظه من فوق سبع سموات لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١﴾، سورة الحجر الآية (09). وقبل أن نعرّج إلى الحديث عن القراءات القرآنيّة علينا أن نعطي ومضة بسيطة عن المعجزة الخالدة ألاً وهي القرآن الكريم.

1- القرآن الكريم وعلاقته بعلم القراءات:

القرآن من "قرأ، تأتي بمعنى الجمع والضمّ، والقراءة ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترسل، والقرآن في الأصل كالقراءة مصدر قرأ قراءةً وقرآناً، فهو مصدر على وزن فعلان بالضمّ كالغفران: والشكران: نقول قرأته قرءاً، وقراءةً وقرآناً بمعنى واحد، سمّي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر... ويطلق اللفظ قرآن على مجموع القرآن وعلى كلّ آية من آياته"². وهو معجزة خالدة جمع بين ثناياه مختلف العلوم والمعارف التي أعجزت العلماء متحدّياً المكذّبين والأعداء.

ورد في تعريف آخر أنّ "القرآن هو كلام الله المتّزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلاّ أنّ الصحابة رووه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على طرقٍ مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتُنقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق

¹ التواتر بين التواتر، القراءات القرآنيّة وأثرها في النحو العربي والفقّه الإسلامي، دط، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة، الجزائر، 2008م، ص18.

² محمّد محمود عبد الله، جمال القرآن وهيمته على التاريخ والعلوم، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دت، ص8.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها، واحتصت بالانتساب إلى من إشتهر بروايتها من الجَمّ الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة¹. هنا نلاحظ العلاقة المبنية بين القرآن والقراءات المتسمة بالتجاذب فالنصّ القرآني يتزّين ويبرز جماله عن طريق القراءة، إذ هذه الأخيرة تجذب بدورها طرفاً آخر ألا وهو القارئ أو المستمع إلى جمال منقطع التّظير "فهو جميل في ظاهره جميل في باطنه، جميل في معناه، جميل في مبناه، جميل إذا سمعته، جميل إذا تلوته، يزداد حسناً كلما أعدته ورونقاً كلما فتشنته، إذا أردت أن تجد حداً لوسامته أو مثيلاً لقسماته أعيذك الحيل، وإن جزالته لتنفذ إلى القلوب العامرة بالإيمان فتبكيها، وإلى القلوب القاسية فتدخل الخشية فيها"²، فهو يتسلل إلى تلك القلوب دون طرق باهما باعثاً الطمأنينة فيها؛ لأنّه كلام الله المعجز في رسمه وتطقه وتفسيره، ويقدم لنا بين صفحاته رسالته السامية "وإنّ مضمون الرّسالة القرآنية في رحابتها وشمولها ودقّتها فوق مستوى الإنسانيّة كلّها، ناهيكم بفرد واحد، مهما كان ذكاؤه وعبقريته"³، ولقد تحدّى الله عزّ وجلّ السابقين على أن يأتيوا بمثله في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾، سورة الطور الآية (34) وهذا من دلائل الإعجاز.

مهما سُقنا من تعاريف للقرآن الكريم فلن نفيه حقّه، ولو كتبنا فيه المجلدات كما وصلنا إلى تعريف نهائيّ يليق بجماله وجلاله وجبروته وقوّته، وإذا ما نظرنا إلى العلاقة القائمة بينه وبين القراءات لوجدنا بأنّ هذه الأخيرة مشتقة منه، فهي بذلك لصيقة به، وتعتبر بمثابة القلب النابض فيه، فالقراءة تبعث النصّ القرآني من الصّمت إلى الصّوت فيتأثر به من يسمعه، فتبرز لنا لبّ لبّه وواسطة عقده ونقش فصّه.

2- تعريف القراءات القرآنية:

¹ عبد الرّحمن أبو زيد وليّ الدّين ابن خلدون ، مقدّمة العلّامة ابن خلدون "المسمّى ديوان المبتدأ والخبر" في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، ص419.

² محمّد محمود عبد الله ، جمال القرآن وهيمنته على التّاريخ والعلوم ، ص11.

³ فاروق حمادة ، القرآن الكريم ميزان المعرفة الإنسانيّة ، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة محمد الخامس ، الرّباط ، العدد 14، 1988م، ص127.

الفصل الثاني: بين الوقف والتنخيم في القرآن الكريم

أ- لغة: "القراءات جمع قراءة، وهي مصدر من قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً، واسم الفاعل منه (قارئ) وجمعه قرّاء، ويراد الفعل غير مهموز كقري ولا يختلف مع الأوّل في معناه"¹، و"قري(القاف والراء والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلّ على جمع واجتماع، وإذا همز هذا الباب كان هو والأوّل سواء، ويطلق لفظ قرأ ويُرَاد به عدّة معانٍ، فإذا قلت: قرأت القرآن معناه به مجموعاً، أي ألقيته وأقرأت حاجتك إذا دنت وإذا قلت: قرأت في الكتاب فمعناه تفقّهت فيه، وأقرّته السّلام، أي: أبلغه"².

ب- اصطلاحاً: هي "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، منسوبة لناقلها"³. وهناك من يرى غير هذا "فالقراءات هي تلك الوجوه اللّغويّة والصّوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيراً وتخفيفاً على العباد"⁴. كما ورد في تعريف آخر بأنّ "القراءة هي النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو كما نُطِقَتْ أمامه صلّى الله عليه وسلّم فأقرّها، سواء كان النطق باللّفظ المنقول عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو تقريراً واحداً أم متعدداً"⁵.

نجد ممّا سبق أنّ القراءات تخدم القرآن الكريم بكيفية أو بأخرى، وهي سبيل من السبيل المبرزة لظواهره الصوتيّة من وقفٍ وتنخيمٍ، وفصلٍ ووصلٍ، ومدٍّ وإدغامٍ وغنّةٍ، ونبرٍ... وهي علم "يعرف به إتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في الحذف والإثبات والتّحريك والإسكان، والفصل والإيصال وهيئة النطق والإبدال من حيث السّماع"⁶، فهو يثبت كلّ ما ورد من فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الشّريف قراءةً وتلاوةً. ولقد أعطى نبينا المصطفى الإرهاصات الأولى لهذا العلم في أحاديثه "وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أقرّاني جبريل على حرف فراجعتّه، فلم أزل أستزيده

¹ ينظر: الأزهرى، تهذيب اللّغة، ج9، ص 272، والفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج1، ص24.

² ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، (مادة قرأ، قري)، ج5، ص79، وابن منظور، لسان العرب، ج1، ص123.

³ ابن الجزري، منجد المقرئين، تحقيق: عبد الحمى الفرماوي ببعض التصرف، ط2، القاهرة، دت، ص61.

⁴ محمّد سمير اللّبيدي، أثر القرآن والقراءات في التّحو العربي، دط، دار الكتب الثّقافية، الكويت، دت، ص309.

⁵ التّواتي بن التّواتي، القراءات القرآنيّة وأثرها في التّحو العربي والفقّه الإسلامي، ص122.

⁶ البقاعي أبو الحسن، كتاب الضّوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر، بيروت ودار الفكر، دمشق، 1466هـ، 1996م، ص01.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

ويزيدني حتى إنتهى إلى سبعة أحرف¹، وفيما يُروى أنّ معنى الأحرف التي أشار إليها النبيّ صلى الله عليه وسلم ههنا "يتوجّه إلى وجهين: أحدهما: يعني أنّ القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللّغات... على معنى أنّ كلّ شيءٍ منّا وجه والوجه الثاني: من معناها أنّ يكون سمّى القراءات أحرفاً على طريق السّعة، كعادة العرب في تسميتهم الشّيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره وكان كسبب منه، فلذلك سمّى صلى الله عليه وسلّم القراءة حرفاً².

والرّأي الغالب هو الأوّل وهذا على حدّ قول الإمام ابن الجزري: "وكلا الوجهين محتمل إلاّ أنّ الأوّل محتمل احتمالاً قويّاً في قوله صلى الله عليه وسلّم: (سبعة أحرف) أيّ سبعة أوجه وأنحاء..."³. وقيل بأنّ الأحرف السّبعة فسّرت على أنّها "إختلاف اللّهجات بالتّفخيم والترقيق، والفتح والإمالة والإظهار والإدغام، والهمز والتسهّل، والإشمام ونحو ذلك"⁴. ومع كلّ هذه الإختلافات التي ذكرناها والتي لم نذكرها نخلص إلى أمر مهمّ وهو أنّ لتزول القرآن الكريم على سبعة أحرف حكّم وأسرار منها:

"أولاً: الدّلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التّبديل والتّحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.

ثانياً: التّخفيف على الأمّة وتسهيل القراءة عليها، خاصّة الأمّة العربيّة التي شوفت بالقرآن، فإنّها كانت قبائل كثيرة وكان بينها إختلاف في اللّهجات ونبرات الأصوات وطريقة الأداء... فلو أخذت كلّها بقراءة القرآن على حرف واحد لشقّ ذلك عليها"⁵. ومن مميزات الدّين الإسلاميّ التيسير على الأمّة لا التعسير عليها.

3- أنواع القراءات القرآنيّة:

¹ رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، ج5، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، طبعة الحلبي، ومسنّد الإمام أحمد، ص41، 51.
² شعبان محمّد إسماعيل، القراءات - أحكامها ومصدرها، ج1، ط1، دار السّلام للطباعة والتّشتر، 1406هـ، 1986م، ص30.
³ ابن الجزري، التّشتر في القراءات العشر، ص23، 24.
⁴ شعبان محمّد إسماعيل، القراءات - أحكامها ومصدرها، ج1، ص37.
⁵ الرّزقاني محمّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، دط، مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1980م، ص145.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

يعتبر تنوّع القراءات نعمة من النّعم الّتي منّ الله بها على عباده، حتّى لا يشقّ عليهم، وهي تنقسم من حيث السّنَد إلى ستّة أقسام:

"الأوّل(المتواتر):وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وهذا هو الغالب في القراءات.

الثّاني (المشهور):وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربيّة والرّسم، واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من اللفظ، ولا من الشّدوذ. وذكر العلماء في هذا النوع أنّه يقرأ به.

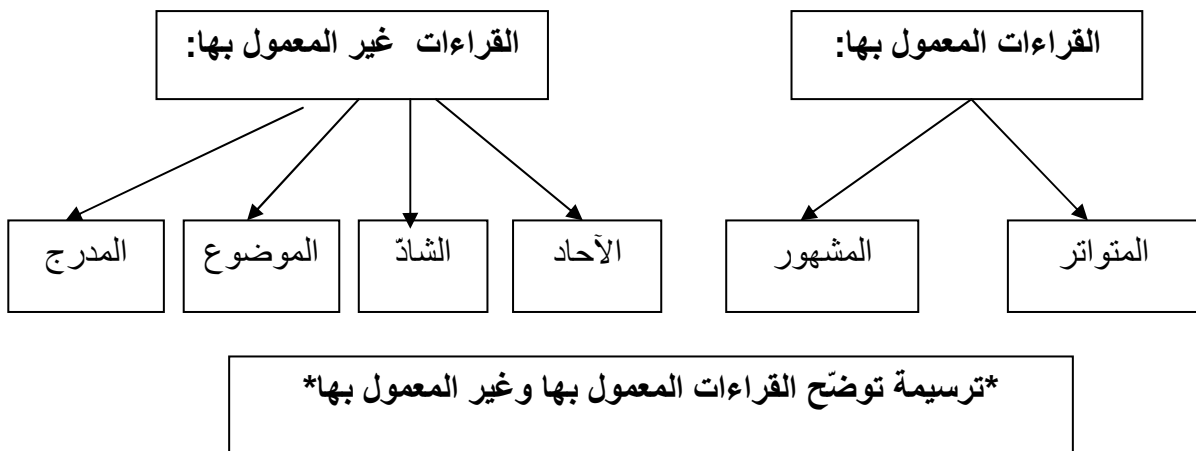
الثّالث(الآحاد): وهو ما صحّ سنده، وخالف الرّسم أو العربيّة، أو لم يشتهر بالاشتهار المذكور، وهذا لا يقرأ به.

الرّابع(الشاذ): وهو ما لم يصحّ سنده كقراءة (ملك يوم الدين) بصيغة الماضي، ونصب (يوم).

الخامس(الموضوع): وهو ما لا أصل له.

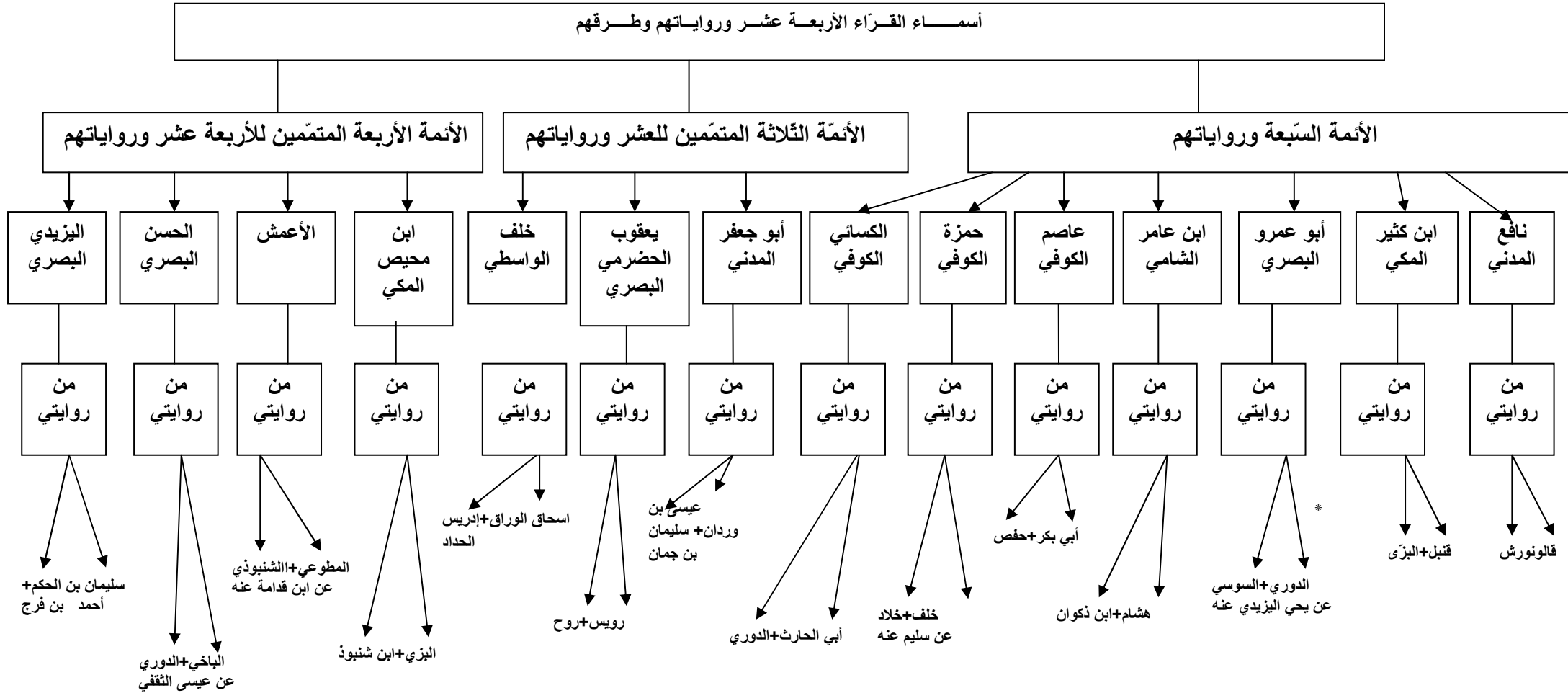
السّادس(المدرج): وهو ما زيد في القراءات على وجه التّفسير...¹.

ومن ضمن القراءات السّابقة هناك نوعان معمول بهما وهما:المتواتر والمشهور، أمّا الأنواع الأخرى فغير معمول بها، وهذا ما توضّحه التّرسيمّة الآتية:



¹ مناع القطّان ، مباحث في علوم القرآن ، دط ، الناشر مكتبة وهبية، عابدين القاهرة، دت ، ص180.

****مخطط توضيحي للقراء الأربعة عشر ورواياتهم****



* أسماء القراء مأخوذة من كتاب ، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر، لمحمد بن خليل بن أبي بكر شمس الدين بن عبد الله الشهير (بالقباقبي)، تحقيق: فرحات عياش، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر ، 1995م ، ص38.

الفصل الثاني: بين الوقف والتَّخِيم في القرآن الكريم

أ- القراء السبعة:

لقد علا ذِكْرُ القراء السبعة، فذاع صيتهم وسطع نجمهم في سماء القراءات، وأولهم حسب ما أوردناه في التَّرسِمة السابقة هو:

1- الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني(169هـ).

"هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وكنيته أبو رويم قرأ على سبعين من التابعين منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة، وعبد الرحمن بن هرمز وغيرهم... يُعدّ من الطبقة الثالثة من الصحابة، اشتغل بالإقراء أكثر من سبعين سنة، أصله من أصبهان كما روى الأصمعيّ حكاية عنه وكان أسوداً شديداً السّواد، صبيح الوجه، حسن الخلق فيه دعابة. إذا تكلم يشمّ من فيه رائحة المسك، وهو إمام أهل المدينة، صاروا إلى قراءته ورجعوا إلى إختياره. كان عالماً بوجوه القراءات، متبّعاً لآثار الأئمة، زاهداً، جواداً. صلّى في مسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم ستين سنة.

وروى القراءة عنه عرضاً، الإمام مالك وقالون من أهل المدينة، والأصمعي وأبو عمرو بن العلاء من أهل البصرة، وورش والليث بن سعد من أهل مصر... توفي بالمدينة سنة (169هـ) من خلافة الهادي وقيل سنة (159هـ) في خلافة المهديّ. وأشهر رواّته: ورش وقالون¹**. ونلفي ابن الجزري يؤكّد ما ذكرناه سابقاً على هيئة بيت شعريّ:

"فنافع بطيبة قد حظيا *** فعنه قالون وورش رويًا"²

* ورش: هو عثمان بن سعيد بن عبد الله المصري، ويكنى أبا سعيد، و(ورش) لقب له، لقّب به لشدة بياضه توفي سنة سبع وتسعين ومائة عن سبع وثمانين سنة.

** قالون: لقب له، لقّب به (نافع) لجودة قراءته، وقالون أصم شديد الصم لا يسمع البوق فإذا قرئ القرآن سمعه، توفي بالمدينة المنورة سنة عشرين ومائتين في عهد الخليفة المأمون.

¹ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص8، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مج1، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2003م، ص342، وينظر السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ط1، المكتبة الفيصلية، مكّة المكرمة، 1985م، ص88، 89.

² ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص8.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

2- الإمام ابن كثير المكي (45هـ-120هـ):

"هو أبو سعيد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان، ابن فيروزان بن هرمز الدّاري المكيّ، إمام النَّاس في الإقراء بمكّة. وُلد سنة خمس وأربعين، وكان فصيحاً بليغاً، أبيض اللّحية طويلاً أسمر جسيماً، كان مفوّهاً. عليه سكينه ووقار، روى عن عدد من الصّحابة لَقِبَهُمْ منهم عبد الله بن الزبير، وأبو أيّوب الأنصاري وأنس بن مالك، وأخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن السائب وعرض أيضاً على مجاهد ودرباس، ولم يزل هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكّة حتى مات. وأشهر الرواة عنه إثنان منهما: البرّي وقنبل¹**. وهذا ما أثبتته ابن الجزري في بيت شعري:

"(وابن كثير) مكة له بلد *** بزُّ وقنبل له على سند²"

3- الإمام أبو عمرو بن العلاء (68هـ-154هـ) البصريّ:

"هو زيّان بن العلاء بن عمّار بن العريان بن عبد الله المازني البصريّ، اُخْتُلف في اسمه كثيراً كان أعلم النَّاس بالقرآن والعربيّة مع الثّقة والأمانة والدّين، وُلد سنة ثمان وستّين بمكّة ونشأ بالبصرة، وهو إمامها ومقرئها. لُقّب بسيد القراء، قرأ على شيوخ كثيرين بمكّة والمدينة والكوفة والبصرة، وليس في السّبعة أكثر شيوخاً منه، سمع عن أنس بن مالك وغيره، قرأ على الحسن البصريّ وأبي العالبيّ وسعيد بن جبير، وعاصم بن أبي النّجود، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ، وابن كثير المكيّ... وأبو عمرو من الطّبقة الثالثة بعد الصّحابة... تتبّع حروف القرآن تتبّعاً استحقّ

* البرّي: (170هـ-250هـ) هو احمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، واسم أبي بزة (بشار) فارسي الأصل من أهل (همدان) أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد بمكّة، هو أكبر من روى قراءة ابن كثير كان إماماً في القراءة، محققاً وضابطاً، متقناً، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكّة .

** قنبل: (195هـ-291هـ) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد خالد بن سعيد المخزومي بالولاء، ولقب بقنبل لأنه كان من قوم يقال لهم القنابلة، كان إماماً في القراءة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز ورحل إليه النَّاس من جميع الأقطار .

¹ ينظر: ابن الجزري ، شرح طيبة التّشر في القراءات العشر، ص9 ، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، مج1، ص343 ، 344، وينظر السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص77، 78.

² ابن الجزري ، شرح طيبة التّشر في القراءات العشر، ص9.

الفصل الثاني: بين الوقف والتتخيم في القرآن الكريم

بها الإمامة، وشهد له بها أئمة وقته كأبي سظام وسبعة بن الحجاج، توفي سنة (154هـ)، وقيل (158هـ)، وكانت وفاته بالكوفة عن ستّ وثمانين سنة.¹

أشهر من روى عنه اثنان: الدّوري* والسّوسي**، وقد ذكر ابن الجزري في منظومته:

"ثمّ (أبو عمرو) فيحيى عنه *** ونقل الدّوري وسوسٍ منه²

4- الإمام ابن عامر الشّامي (08هـ-118هـ):

"هو عبد الله بن عامر اليحصبي التّابعي الجليل، كان فصيح اللّسان، صحيح الثّقل عارفاً، فهما مشهوراً في علمه، جمع له بين الإمامة والقضاء ومشیخة الإقراء بدار الخلافة دمشق محطّ رحال العلماء. وليس في القراء في السّبعة من العرب إلّا هو وأبو عمرو، ولد سنة (08) من الهجرة، وتوفي سنة (118هـ) في أيام هشام بن عبد الملك بدمشق. سمع من أبي الدرداء، وفضالة بن عبيد، ووائلة بن الأسقع، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم. وراويه المشهوران الآخذان عنه بواسطة الإسناد هما: هشام* وابن ذكوان³، وكان من بين الذين ذكروا في منظومة ابن الجزري:

"ثمّ (ابن عامر) الدّمشقي سندي *** عنه هشام وابن ذكوان ورد⁴

5- الإمام عاصم الكوفي (-127هـ):

"هو عاصم بن أبي النّجود الضّرير الكوفي، ويُقال في بعض تراجمه ابن بحدلة، وقيل بحدلة هو أبو بكر النّجود، يُكنّى أبا بكر، وهو من التّابعين وانتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد السّلمي،

¹ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ص9، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصّصة، مج1، ص344، وينظر السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات-مدخل ودراسة وتحقيق، ص83، 84، 85.

* الدّوري: كان إمام القراء في عصره، وشيخ الإقراء في وقته ضابطاً، انتفع التّاس بعلمه في سائر الآفاق، حتى توفي سنة ست وأربعين ومائتين.
** السّوسي: كنيته أبو شعيب، كان مقرئاً ضابطاً محرراً، ثقة.

² ابن الجزري، شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ص9.

* هشام: كان عالم أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم، ومحدّثهم، ومفتيهم، مع الثقة والضبط والعدالة.

** ابن ذكوان، كان شيخ الإقراء بالشّام، وإمام الجامع الأموي، انتهت إليه مشيخة الإقراء بعد (أيوب بن تميم).

³ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ص10، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصّصة، مج1، ص345، وينظر السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات-مدخل ودراسة وتحقيق، ص75، 76.

⁴ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ص10.

الفصل الثاني: بين الوقف والتتخيم في القرآن الكريم

جلس موضعه ورحل إليه العالم من الأقطار، جمع بين الإتقان والفصاحة، والتجويد وحسن الصّوت، مات سنة مائة وسبع وعشرين.

روى قراءته كثيرون، اشتهر منهم اثنان: حفص* وشعبة**، ولقد أخذ مكانه في منظومة ابن الجزري في قوله: **ثلاثة من كوفة (فعاصم)*** فعنه شعبة وحفص قائم¹**. أي ثلاثة من الأئمة العشرة من مدينة الكوفة، وهم عاصم وحمزة والكسائي، والكوفة في الأصل: الرملة الحمراء وبها سُميت الكوفة.

6- الإمام حمزة الكوفي(80هـ-156هـ):

"هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، كان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، كان ثقة كبيراً حجةً مجوداً، فرضياً نحوياً حافظاً للحديث، ورعاً زاهداً خاشعاً ناسكاً. وحمزة من الطبقة الثالثة، وأدرك بعض الصحابة فهو من التابعين. أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش، وحمدان بن أعين، وأبي إسحاق السبيعي، وجعفر بن محمد الصادق. واختار مذهب حمدان الذي يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان. أما راوياه المشهوران فيرويان عنه بواسطة سليم بن عيسى الكوفي عن حمزة وهما: خلف* وخلاد²". وفي هذا الشأن أشار ابن الجزري في منظومته: "(وحمزة) عنه سليمٌ فخلف*** منه وخلادٌ كلاهما إغترف³".

* حفص: هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، ولد سنة سبعين من الهجرة، وكان اعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم، تردد بين بغداد ومكة وهو يقرأ الناس القرآن الكريم.

** شعبة: ولد سنة خمس وسبعين من الهجرة، كان إماماً علمياً كبيراً، عالماً عاملاً، حجة من كبار أئمة السنة، عرض القرآن على عاصم أكثر من مرة، وعلى عطاء بن السائب.

¹ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص11، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مج1، ص346، وينظر السيد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص80، 81.

* خلف: حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، قال عنه الدارقطني، كان عابداً فاضلاً، كما كان ثقةً وزاهداً عالماً، أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن حماد عن حمزة، وقد اختار لنفسه قراءة انفرد بها، فيعد من الأئمة العشرة، كما سيأتي ذلك.

** خلاد: كان ثقة عارفاً محققاً، مجوداً، ضابطاً، متقناً وأخذ القراءة عرضاً، عن سليم بن عيسى عن حمزة.

² ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص11، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مج1، ص346، 347، وينظر السيد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص86، 87.

³ ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص11.

الفصل الثاني: بين الوقف والتتخيم في القرآن الكريم

7- الإمام الكسائي الكوفي (119هـ-189هـ):

"هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن تميم بن فيروز الكسائي الكوفي، كان إمام الناس في القراءة في زمانه وأعلمهم بالقراءات وبالتحو ولغة العرب، رحل إليه الخلق وكثر عليه الآخذون حتى كان يجمعهم في مجلس واحد ويجلس على كرسيّ ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ، وكان ذا كرمٍ وحشمة وجاه عريض، أدب الخليفين الأمين والمأمون. أخذ القراءة عن حمزة، وعن محمد بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمداني، وروى الحروف عن جماعة منهم أبو بكر بن عياش. كان صادق اللّهجة، واسع العلم بالقرآن والعربيّة والغريب، وإمام مدرسة الكوفة التّحوية، وعمدة نحويّ الكوفة ومرجعهم. ألف كتباً كثيرة في اللّغة والتّحو والقراءة منها: معاني القرآن والقراءات، مقطوع القرآن وموصله والهاءات. توفي سنة مائة وتسع وثمانين، وبه تمّ القراء السبعة. واشتهر بالرواية عنه اثنان: الليث*، والدّوري**¹. وقال عنه ابن الجزري:

"ثمّ (الكسائي) الفتيّ عليّ *** عنه أبو الحارث والدّوري²"

وبهذا نكون قد ختمنا الأئمة السبعة وروّاهم، وسنقدّم أهمّ الملاحظات المتعلقة بهم.

-ملاحظات حول القراء السبعة:

- 1- "إنّ هؤلاء السبعة من أمصار العلم والمعرفة التي إنبتق عنها علم النبوة- كما يقول ابن تيميّة- وهي: مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام، ويلاحظ معرفة أحوال القراء أنّ حظّ الكوفة أكبر من غيرها من الأمصار، إذ كان منها ثلاثة من سبعة، وهم: عاصم، وحمزة والكسائي.
- 2- إنّ هؤلاء القراء جميعاً كانوا من رجال القرن الثاني الهجري، أدرك معظمهم القرن الأوّل، وتلقّوا عن الصّحابة، ولذلك فقد كان معظمهم من التّابعين وأولّهم وفاة هو ابن عامر توفي سنة (118هـ) وآخرهم وفاة الكسائي سنة (189هـ).

* الليث: هو أبو الحارث بن خالد المروزي البغدادي، كان ثقة حاذقاً، ضابطاً للقراءة محققاً لها، توفي سنة أربعين ومائتين.

** الدّوري: هو أبو عمر حفص ابن عمر المتقدّم عن أبي عمرو، وقول ابن الجزري الفتيّ: الكريم السخي، وعنه أي رويًا عنه بلا واسطة.

¹ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ص12، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، مج1، ص347، وينظر السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات-مدخل ودراسة وتحقيق، ص91، 92، 93.

² ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ص12.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

3- إن هؤلاء القراء جميعاً كانوا من المعمرين الذين أُتيح لهم أن يُقرئوا النَّاس القرآن مدّة طويلة، وتخرّجت عليهم أجيال.

4- إنهم كانوا جميعاً من العلم والورع والاستقامة والخلق بالمكان الأسمى .

5- يلاحظ أنّ بعض القراء تلقى رواّتهم القراءة عنهم مباشرة، وبعضهم تلقى الرواة المذكورون القراءة عنهم بالواسطة¹.

هذه أهمّ الملاحظات مجتمعة تُعلي من شأنهم وتعزّز مكانتهم في النفوس، وتكبر بما قاموا به وتُجلّ وتُثني عليهم أشدّ الثناء. "ومّا ينبغي التّنبية له وعدم إغفاله نسبة قراءات القرآن الكريم إلى هؤلاء الأئمة الأعلام نسبة إغتناء وقراءة وإقراء، لا نسبة إختراع وإبتداع، فالقرآن الكريم كلام الله سبحانه الموحى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والقراء كانوا يروون قراءة النبي وفق ما نقله الصّحابة إلى من بعدهم من التابعين"².

ب- الأئمة الثلاثة المكملون للعشرة:

1- الإمام أبو جعفر المدني(130هـ):

"هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزوميّ المدنيّ تابعيّ جليل، أخذ القراءة عن الصّحابة وكان كبير القدر، إنتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، وقال أبو الزّناد: لم يكن بالمدينة أقرأ للسنة من أبي جعفر، وقال مالك: كان أبو جعفر رجلاً صالحاً، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلي في جوف الليل ويدعو عقب الصّلاة لنفسه وللمسلمين ولكلّ من قرأ بقراءته. وهو من ثامن القراءة بالنسبة إلى هذا التّرتيب، ومناقبه كثيرة. وأشهر رواّته الراويان الآتيان: ابن وردان* (-160هـ)، وابن جمار** (-170هـ)³.

¹ ينظر: محمد بن لطف الصّبّاغ، لمحات في علوم القرآن وأتجاهات التفسير، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1410هـ، 1990م، ص181، 182.

² إبراهيم محمّد الجرمي، معجم علوم القرآن_علوم القرآن، التفسير، التّجويد، القراءات، ط1، دار القلم، دمشق، 1422هـ، 2001م، ص219.

* ابن وردان: قال فيه الداني: هو من حلة أصحاب نافع وقدمائهم وقد شاركه في الإسناد وهو غمام مقرئ حاذق وراو محقق، ضابط.

** ابن جمار: هو مقرئ جليل، ضابط نبيل، مقصود في قراءة نافع وأبي جعفر.

³ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص12، 13، وينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص348، وينظر السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص94، 95.

الفصل الثاني: بين الوقف والتتخيم في القرآن الكريم

وقال عنه ابن الجزري: "ثمّ (أبو جعفر) الحبرُ الرّضّي *** فعنه عيسى وابن جمارٍ مضى"¹.

2- الإمام يعقوب الحضرميّ البصريّ (117هـ-205هـ):

"هو أبو محمّد يعقوب ابن إسحاق بن يزيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرميّ البصريّ، كان إماماً كبيراً ثقة عالماً، إنتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبي عمرو، وكان إمام جامع البصرة قال عنه السّجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه ومذاهب النّحو. وأروى النّاس لحروف القرآن، ولحديث الفقهاء وراوياه المشهوران هما: رويس وروح² ***² .

وقال عنه ابن الجزري: "تاسعهم (يعقوب) وهو الحضرمي *** له روسٌ ثمّ روحٌ ينتمي"³.

3- الإمام خلف العاشر البغدادي (150-229م):

"هو خلف بن هشام البزار البغدادي، كنيته أبو محمد. تقدّمت ترجمته باعتباره راوياً عن حمزة وُلد سنة خمسين ومائة، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وكان إماماً جليلاً عالماً ثقة زاهداً. وذكر هنا مميّزاً بلقب العاشر؛ لأنّ المقصود هنا هو قراءته التي اختارها ممّا رواه عن شيوخه، وتفرّغ للإقراء بها زمناً، فكثرت الآخذون بها عنه، وأشهر رواة اختيَّاره الرّوايان الآتيان: إسحاق وإدريس⁴ *****⁴ .

ويختتم ابن الجزري الحديث عن القراء بقوله:

¹ ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص12.

رويس: مقرئ حاذق وإمام في القراءة ماهر مشهور بالضبط.

روح: هو روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري النحوي، كان من أجل أصحاب يعقوب وأفقههم.

² ينظر: ابن الجزري ، شرح طيبة التّشر في القراءات العشر، ص13، وينظر: مجموعة من العلماء ، الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ص348، 349، وينظر السيّد رزق الطّويل ، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص 95، 96، 97.

³ ينظر: ابن الجزري ، شرح طيبة التّشر في القراءات العشر ، ص13.

إسحاق: كان قيماً بالقراءة ثقة، ضابطاً لها، وإن كان لا يعرف من القراءات إلا اختيار خلف.

إدريس: هو إمام ضابط، متقن ثقة ، سئل عنه الدارقطني ، فقال: هو ثقة وفوق الثقة بدرجة .

⁴ ينظر: ابن الجزري ، شرح طيبة التّشر في القراءات العشر ، ص13، وينظر: مجموعة من العلماء المرجع السابق، ص349 ، وينظر السيّد رزق الطّويل ، ص97، 98.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

"والعاشر البزاز وهو(خلف) *** إسحاق مع إدريس عنه يعرف. أي من الشّموس المشار إليهم في منظومته"¹. والشّموس الثلاث السّالف ذكرهم هم تمام العشرة.

ت-الأربع الشّواذ:

"القراءة الشّاذة هي القراءة التي تُروى أحادًا وتخالف خطّ المصحف العثمانيّ. الإمام والقراءة الشّاذة لا تعني ضعف السّند، فقد تكون صحيحة السّند وموافقة للغة العربيّة؛ ولكنها لم تثبت بطريق التّواتر. وإنّ الجمع البكريّ والعثمانيّ للقرآن وإجماع الصّحابة على المصحف الذي دوّن حينئذ كان مقبولاً لما تضمّنه ذلك المصحف من قراءات ثبتت سماعاً ومشافهة، وكان من جهة أخرى رفضاً لما عده من قراءات لم تستفص تشتهر إشتهار قراءات المصحف الذي عُني بجمعه أبو بكر وعثمان والمسلمون أجمعون"².

1- الحسن البصري: (21هـ-110هـ)

"هو أبو سعيد بن يسار مولى الأنصار، علم من أعلام الإسلام ومن خيرة التّابعين، وإمام أهل زمانه علماً وعملاً، وهو أشهر من أن يُعرف. قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعريّ وعمر بن الخطاب... كان الحسن وضح العبارة، سليم اللّغة. أشهر الرّواة عنه: اثنان: شجاع بن أبي نصر البلخي البغدادي الزاهد*، والدّوري**"³

2- الإمام ابن محيّن المكي(-123هـ):

"محمد بن عبد الرّحمن السّهمي بالولاء، مُقرئ أهل مكّة مع ابن كثير، ثقة، أعلم قرّاء مكّة بالعربيّة وأقواهم عليها. عرض على مجاهد بن حبر ودرباس مولى ابن عبّاس وسعيد بن جبر،

¹ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ص13.

² إبراهيم محمّد الجرّمي، معجم علوم القرآن، ص220.

* شجاع بن أبي نصر البلخي: ثقة كبير عرض على أبي عمرو بن العلاء وكان من خيرة أصحابه.

** الدوري: سبق ترحمته باعتباره أحد رواي أبي عمرو بن العلاء.

³ ينظر: السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص99، 100.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

ولولا ما في قراءته من مخالفة المصحف لألحق بالقراءات المشهورة، قال ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربيّة، فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته

وأجمعوا على قراءة ابن كثير لأتباعه، وأشهر الرواة عنه إثنان: البزّي* وابن شنبوذ**¹.

3- الإمام الأعمش (60هـ-148هـ):

"هو سليمان بن مهران الكوفي مولى بني أسد، وكنيته أبو محمد، الإمام الجليل مقرئ الأئمة وصاحب النوادر. أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي، وزرّ بن حبيش وعاصم بن أبي النجود ومجاهد بن حبر وغيرهم، قال هشام: (ما رأيت في الكوفة أقرأ لكتاب الله من الأعمش، كان يقول: إن الله زين بالقرآن أقواماً، وإني ممن زين الله بالقرآن، ولولا ذلك كان على عنقي من أطوف به في سلك الكوفة)، وأشهر الرواة عنه المطوعي* والشنبوذّي**².

4- الإمام اليزيدي البصري (128هـ-202هـ):

"هو يحيى بن المبارك العدويّ بالولاء البصريّ، وكنيته أبو محمد نحوي. مقرئ، ثقة، علامة كبيرة في النحو والعربيّة والقراءة، أخذ القراءة عرضاً عن أبي عمرو بن العلاء وخلفه بالقيّام بها، وأخذ عن حمزة.

روى القراءة عنه أولاده: محمد وعبد الله وإبراهيم وإسماعيل. روى عنه الحروف أبو عبيد القاسم بن سلام. وله اختيار خالف فيه أبا عمرو في حروف يسيرة، وهو أضبط أصحاب أبي عمرو عنه

* البزّي: أحد رواي ابن كثير وقد تقدمت ترجمته.

** ابن شنبوذ: شيخ الإقراء في العراق، كان ثقة، عرف بالخير والصلاح واشتهر بالعلم وقوة الحفظ.

¹ ينظر: السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص100.

* المطوعي: إمام ثقة ارتحل في القراءة إلى شتى الأقطار، وقرأ عليه جماعة وعمر حتى جاوز المائة، فانتهى إليه علو الإسناد في القراءات له كتاب معرفة اللّامات وتفسيرها.

** الشنبوذّي: إمام من أئمة القراءة، مشهور نبيل حافظ حاذق، قرأ عليه جماعة واشتهر اسمه وطال عمره.

² ينظر: السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص102.

الفصل الثاني: بين الوقف والتشخيم في القرآن الكريم

وتصدى لروايتها عنه، والاشتغال بها. قيل أنه أملى عشرة آلاف ورقة عن أبي عمرو خاصة، نقل عنه أبو زرعة في حجة القراءات كثيرا. رواه سليمان بن الحكم* وأحمد بن فرج**¹.

-الفرق بين القراءات المتواترة والشاذة:

"- إن القراءات المتواترة صحيحة النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الجمع الكثير عن الجمع الكثير حتى يبلغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. - يجب اعتقاد القراءات المتواترة بحيث يكفر جاحدها جملة معاذ الله. - هذه القراءات هي التي يُقرأ بها القرآن الكريم ويعبد به في الصلاة وخارج الصلاة. - هذه القراءات يُستعان بها على فهم القرآن الكريم وإدراك مراميه. أما القراءات الشاذة فعلى عكس ذلك: - فهي مما لا تصح نسبة القراءة بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. - ويحرم اعتقادها، بل قد يكفر معتقدها إذا علم بطلان سندها. - لا يُقرأ بها في الصلاة أو خارج الصلاة ولا يتعبد الله بتلاوتها..."²

4-فوائد اختلاف القراءات وتنوعها:

لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد منها:

"إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم يتزل كتابٌ غيرهم إلا على وجه واحد. ومنها: إعظام أجرها من حيث إنهم يُفرغون جهدهم في تحقيق ذلك، وضبط لفظه حتى مقادير المدات وتفاوت الإمالات، ثم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كلِّ

* سليمان بن الحكم(الخطاط): البغدادي يعرف بصاحب البصري،مقرئ جليل ثقة قرأ على البيهقي ، توفي سنة 335هـ.

** أحمد بن فرج : ثقة كبير قرأ عليه الدوري بجميع ما عنده من القراءات وقرأ أيضا على عبد الرحمن بن واقد والبيهقي،وقد قارب التسعين من عمره.

¹ السيد رزق الطويل ، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق، ص103.

² ينظر: مصطفى ديب البغا ، محي الدين ديب مستو ، الواضح في علوم القرآن ، ط2 ، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، حلبوني ، 1418هـ-1998م، ص119.

الفصل الثاني: بين الوقف والتّخيم في القرآن الكريم

لَفَظٍ، وإمعانهم الكشف عن التّوجيه والتّعليل والتّرجيح...¹، فاعتدال نسق القراءات لا يتأتّى إلّا بتفاوت المقادير حفاظاً على إيقاعيّة سور القرآن الكريم.

¹ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، ج1، ص532.

الباب الثاني: التطبيق

الفصل الثالث

تجليات الوقف في سورة الرحمن

المبحث الأول: أسباب النزول في القرآن:

1_ الحكمة من معرفة أسباب النزول.

2_ فرش سورة الرحمن: (برواية حفص عن عاصم).

المبحث الثاني: سورة الرحمن عروس القرآن:

1_ التعريف بسورة الرحمن: معنى السورة.

2_ سورة الرحمن عروس القرآن.

3_ سبب نزول سورة الرحمن.

4_ نظرات في سورة الرحمن (التناسب).

أ_ التناسب بين المطلع والخاتمة.

ب_ التناسب بين سورتَي الرحمن والقمر.

5_ أهم ما فسّر من آي سورة الرحمن على يد النبي صلى الله عليه وسلم.

6_ فضل قراءة سورة الرحمن.

المبحث الثالث: الوقف في سورة الرحمن:

1_ جدول يوضّح مدى اختلاف العلماء حول مواضع وأنواع الوقف في سورة

الرحمن.

أ_ مواضع الوقف التام في سورة الرحمن.

ب_ مواضع الوقف الكافي في سورة الرحمن.

ت_ مواضع الوقف الحسن /الجائز في سورة الرَّحْمَنِ.

2_ أهمُّ الاختلافات في القراءات لسورة الرَّحْمَنِ (فرش الحروف).

3_ نظرة القراء على اختلافهم في قراءة سورة الرَّحْمَنِ.

المبحث الرَّابِع: أثر الوقف في توجيه النصِّ من ناحية الإعراب والمعنى
ضمن قراءات مختلفة لسورة الرَّحْمَنِ:

1_ أثر الوقف المستقلِّ وتعدُّد مواضعه ضمن قراءات مختلفة لسورة الرَّحْمَنِ.

_ الوقف وتوجيه العلاقات النحويَّة انطلاقاً من اختلاف القراءات.

أ_ وظائف الوقف في توجيه المعاني في سورة الرَّحْمَنِ:

_ الوظيفة الأولى: الوقف وتكثير المعنى.

_ الوظيفة الثانية: الوقف للفصل بين متباين المعاني.

_ الوظيفة الثالثة: الوقف والوصل لضبط الإعراب والمعنى ودفع التوهّمات المفسدة
لهما.

البدل، النَّهي، النَّفي، تعلّق الظرف والكلام بما قبله، تعلّق الظرف والكلام بما
بعده، الوصف (النُّعت)، الاستفهام، العطف، الحال.

ب_ الوقف وعنصر العلامة الإعرابيَّة:

_ الوقف وتنوُّع حركة الفعل بين الضمِّ والفتح فقط.

_ الوقف وتنوُّع حركة الفعل بين الضمِّ والكسر.

_ الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والفتح والكسر.

_ الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والفتح فقط.

_ الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والكسر فقط.

_ الوقف وتنوع حركة الاسم بين الفتح والكسر.

ج_ الوقف وعنصر الصيغة الصرفية:

_ تنوع الصيغة الصرفية بين الغيبة والمتكلم.

_ تنوع الصيغة الصرفية بين البناء للمعلوم والمجهول.

_ تنوع الصيغة الصرفية بين الاستفهام والخبر.

_ تنوع الصيغة الصرفية بين الأمر والتعليل.

_ تنوع الصيغة الصرفية بين التّشديد والتّخفيف.

_ تنوع الصيغة الصرفية بين الجمع والإفراد.

_ تنوع الصيغة الصرفية بين فعّال وفاعل.

_ تنوع الصيغة بين الفاعل والمفعول.

المبحث الأول: أسباب النزول في القرآن.

إنه ليس في القرآن فاضل ولا مفضول أو حسن دون الحسن، إذ القرآن كلام ربّ العالمين. والكلام صفة من صفاته، وصفاتُ الله هي الكمال الذي لا يقبل زيادة ولا نقصاناً. فاختيارنا لسورة الرحمن كان لوقعها الخاصّ على القلوب البشريّة وتأثيرها على النفوس الآدميّة حسب ما يدرك العقل من معارف؛ أمّا إذا أُستغلق عليه فهمه من آيات الله، فهيهات أن يفتح لها قلبه أو تنتعش بها روحه، فقبل أن نُلقِي نظرة على سورة الرحمن وما تحمله من إعجاز، وسبب في نزولها آثرنا أن نحدّد الفائدة والغرض من معرفة أسباب نزول أيّ سورة قرآنية.

1- الحكمة من معرفة أسباب النزول:

تعدّدت أقلام العلماء وتسابقت على ضبط أهمّ الأغراض من وراء تحديد أسباب نزول آي القرآن الكريم فوجدناها كالاتي:

- 1- "إنّ معرفة سبب النزول يُعينُ على فهم الآي"¹، إذ قال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب، لهذا كان أصحّ قول الفقهاء أنّه إذا لم يعرف ما نواه الخالق رُجع إلى سبب يمينه، وما هيّجها وأثارها"².
- 2- "إنّ العلم بسبب النزول يرفع الإشكال ويحسم النزاع، وهذا ما أكّده الشاطبي حيث قال: إنّ الجهل بأسباب النزول موقع في الشبه والإشكالات ومورد للتصوص الظاهر مَورد الإجمال متى يقع الاختلاف وذلك مظنة وقوع النزاع"³.

¹ خالد سليمان المزيني، محرّر في أسباب نزول القرآن_ من خلال الكتب التسعة ، ط1، دار ابن الجوزي للتشر والتوزيع، المملكة العربيّة السعوديّة ، محرّم 1427هـ، ص26.

² مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مج13، دط ، دار عالم الكتب للطباعة والتشر ، الرياض، 1412هـ ، ص339.

³ ينظر: خالد بن سليمان المزيني ، محرّر، ص28 ، وينظر الواحددي أبي الحسن علي بن محمد بن علي ، أسباب نزول القرآن ، رواية: بدر الدين الأريغاني ، ط1، دار الميمان ، السعوديّة، 2005م ، ص41 ، وينظر: مقال محمد عمر حويّه ، نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به ، مديريّة مركز الدّراسات القرآنيّة، مجمع الملك فهد للطباعة ، المدينة المنوّرة ، 2003م ، ص64.

كما أن "معرفة سبب النزول تبين الحكمة الداعية إلى تشريع الحكم"¹، وهو ما أكده الزرقاني في قوله: "وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن؛ أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله، والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيّطت بهذه الأحكام ومن أجلها جاء هذا التّزيل...."².

3- "أن يخصّص الحكم بالسبب الذي نزل من أجله ودفع توهم الحصر"³، وهذا ما أكدّه الزركشي⁴ في قوله: "ومنها: تخصيص الحكم به-أي بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب".

4- "بيان أخصيّة السبب بالحكم حيث أن تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ"⁵.

5- "معرفة التاريخ، والتأسي والافتداء بما وقع للسلف من حوادث في الصبر على المكاره واحتمال الأقدار المؤلمة"⁶، وقال فيها الطوفي⁷: "ومنها: التأسي بوقائع السلف وما جرى لهم فيخفّ حكم المكاره على الناس، كمن زنت زوجته فلأعنتها، فهو يتأسى بما جرى لهلال بن أمية، وعويمر العجلاني في ذلك ويقول: هؤلاء خير مني، وقد جرى لهم هذا، فلي أسوة بهم".

6- "تعيين المبهم وتيسير الفهم والحفظ"⁸، وقال فيهما الزرقاني: "معرفة من نزلت فيه الآية على التّعيين حتى لا يشتبه بغيره، فيتهم البريء، ويبرأ المريب... وتيسير الحفظ، وتسهيل الفهم، وتثبيت

¹ خالد بن سليمان المزيني، المحرّر، ص 31، وينظر الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 41.

² محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1، نشر عيسى البابي، حلب سورية، ص 109.

³ خالد بن سليمان المزيني، المحرّر، ص 34.

⁴ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 45.

⁵ أبي الحسن بن أبي الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 42، وينظر: خالد بن سليمان المزيني، المحرّر، ص 35.

⁶ خالد بن سليمان المزيني، المحرّر، ص 45.

⁷ نجم الدين بن سعيد الطوفي، شرح مختصر الروضة، مج 2، ط 1، دار الرسالة، بيروت، لبنان، ص 1410 هـ، ص 506.

⁸ ينظر: خالد بن سليمان المزيني، المحرّر، ص 45، 46، وينظر الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 42.

الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة؛ كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء¹.

2- فرش سورة الرحمن: (برواية حفص عن عاصم)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ ۝٥ وَالْقَمَرُ ۝٦ مِحْسَبَانِ ۝٧ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٨ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٩ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝١٠ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝١١ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٢ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١٣ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٤ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٥ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٦ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝١٧ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝١٩ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٠ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝٢١ بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۝٢٢ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ تَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝٢٤ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥ وَاللَّهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالَّذِي عَلَّمَ ۝٢٦ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٧ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٨ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٩ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٣١ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ۝٣٣ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ ۝٣٥

¹ ينظر: محمد عبده العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مج 1، ص 113، 114.

وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ
وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ
فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ
ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ
بِسِيمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ هَذِهِ
جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٧﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ
رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ
﴿٥١﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٤﴾
فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿٥٨﴾ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٩﴾
فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ فِيهِنَّ قَنَاصِرُ الطَّرَفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا
جَانٌّ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ
آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٨﴾ مُدْهَامَتَانِ
﴿٦٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٧٠﴾ فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٧١﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ
رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٧٢﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٧٣﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٧٤﴾
فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٥﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٧٦﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ

﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٢﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَرَّكَ أَصْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴿ صدق الله العظيم
سورة الرحمن (01-78).

المبحث الثاني: سورة الرحمن عروس القرآن.

1-التعريف بسورة الرحمن (معنى السورة) :

"(الرَّحْمَنُ) اسم مشتق من (الرَّحْمَةَ)، والرَّحْمَةُ هي الرِّقَّةُ والتعطف والمرحمة مثله، وقد رَحِمَهُ-بكسر الحاء-يرحُمه رحمةً ومَرَحَمَةً وتَرَحَّمَ عليه. بمعنى: رَقَّ له وشفق عليه وتعطف وغفر له، ويقال رَحِمَ وتَرَحَّمَ عليه. بمعنى قال: رحمه الله، واسترحمهُ. بمعنى استعطفهُ، وتراحم القوم أي رَحِمَ بعضهم بعضاً، والرَّاحِمُ اسم فاعل. وكذلك الرَّحِيمُ وجمعه رُحَمَاءُ لأنَّ صيغة (فَعِيل) تجمع على (فَعَلَاء) على أن لا يكون في المفرد حرف مكرّر مثل (لييب) و(طيبيب)، ففي هذه الحالة يكون الجمع على وزن (أفعلَاء)، والرَّحِيمُ (فَعِيل) بمعنى (فَاعِل)"¹. هذا بالنسبة إلى اشتقاقات كلمة (رَحْمَن)، فالرَّحْمَنُ اسم من أسماء الله تعالى ذكر في كتب سابقة ولم يكونوا يعرفونه "عدا مُسَيِّمَةً الكذّاب الذي كان يُلقَّب بـ(رحمن اليمامة)* ولكن بغير حرف التعريف فكلمة (الرَّحْمَن) لم يعرفوا بها إلا الله تعالى فهو قريب من اسم الذات"².

كما أن الله عزّ وجلّ سُمِّيَ إحدى سُورِ القرآن بهذا الاسم الكريم (الرَّحْمَن)، الذي ورد ذكره سبعا وخمسين مرّة في كلّ من السُّور الآتية: "الفاحة(03/01)، البقرة(163) الرّعد(30)، الإسراء(110)، مريم(96/93/92/91/88/87/85/78/75/69/61/58/45/44/26/18)،

¹ بهجت عبد الواحد الشّخيلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، مج9، تحقيق: فضلت الحديد، ط1، مكتبة دنديس، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 2001م، ص630.

* هو مسيلمّة بن تمامة الحنفي الوائلي، ولد ونشأ باليمامة، ادّعى النبوة وقُتِلَ سنة 12هـ وهو ابن مائة وخمسين سنة، ينظر: ترجمته في: خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم المشهورين)، ج7، ط3، بيروت، لبنان، 1969م، ص226.

² ينظر: عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، تحقيق: محمّد أيوب الإصلاحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص185.

طه(109/108/90/05)، الأنبياء(112/42/36/26)، الفرقان(63/60/60/59/26)، الشعراء(05)، النمل(30)، فصلت(02)، يس(52/23/15/11)، الزخرف(81/45/36/33/20/19/17)، ق(33)، الرحمن(01)، الحشر(22)، الملك(29/20/19/03)، التّبا(38/37)¹.

2- سورة الرحمن عروس القرآن:

لقد وصف الرسول الكريم كثيراً من سور القرآن فكشف عن معانيها التي ضمت عليها، وتبين من فضلها لما اشتملت عليه من عبر وعظات " فلم تُسمَّ سورة من سور القرآن الكريم باسم من أسمائه تعالى غير سورة الرحمن هذه، كما لم يتصدّر سورة من سور القرآن اسم من أسمائه تعالى غير هذه السّورة... ولهذا وصفها الرسول الكريم بأنها عروس القرآن، فقد روي عن موسى ابن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكلّ شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن جلّ ذكره)²، إضافة إلى إستفتاحها باسمه عزّ وجلّ هو إشارة لما فيها من فضل عظيم، ولما يُتلقى منها من رحمت الرحمن "فكأنّ المسلم منها في ليلة عرسٍ لا يفوته منه خير، فإن لم ينل ما ينال أهل العرس من مطاعم ومشارب ومسرات، أخذ حظّ عينيه من أنواره الساطعة وأهازيجه المرذدة، وذلك لأنّ سورة الرحمن كلّها معارضٌ لنعم الله تعالى على عباده، فمن وقف بين يديها فكأنّما هو في مشهد عرس بهيج"³.

لعلّ ما يُلفت الأنظار ويدعو إلى الوقوف عندها والبحث عن أسرارها الخفية هو نظّمها المعتمد على تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآية (13) إحدى وثلاثين مرّة، إذ جاء مُتحدّياً للعرب أرباب الفصاحة وسادة البيان، فوالله إنّه لحقاً إعجاز مُبين في آيات الله، فيما نستقبل من هذه السّورة من أنوار الحقّ جلّ جلاله.

¹ ينظر: محمّد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1364 هـ، ص307.

² عبد الكريم الخطيب، نظرات في سورة الرحمن، ط1، إصدار عن مؤسسة أخبار اليوم، السعودية، 2001م، ص44، 45.

³ نفسه، ص16، 17.

3- سبب نزول سورة الرحمن:

"أخرج ابن أبي حاتم و أبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة والموازن والجنة والنار فقال: وَدَدْتُ أَنِّي أَكُونُ خَضْرَاءَ مِنْ هَذِهِ الْخَضْرَى، تَأْتِي عَلَيَّ بِهَيْمَةٍ تَأْكُلُنِي، وَأَنْتِي لَمْ أُخْلَقْ. فترلت قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ الآية (46)، وأخرج كذلك ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق" ¹.

4- نظرات في سورة الرحمن (التناسب):

أ- التناسب بين المطلع والخاتمة:

"أُفْتِتِحَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِاسْمِ اللَّهِ جَلِّ وَجَلَالِهِ وَخُتِمَتْ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الآية (01)، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الآية (78) ²، فهناك نوع من التناسب الباني والموقع للسورة القرآنية بين اسمي الرحمن والإكرام.

ب- التناسب بين سورتي الرحمن والقمر:

"لَمَّا انْطَوَتْ سُورَةُ الْقَمَرِ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْقِصَصِ الْمَخْتَصِرِ مَعَ كُلِّ مَا يَحْمِلُهُ مِنْ زَجْرٍ وَوَعظٍ وَتَنْبِيهِ وَإِعْذَارٍ، وَتَبْيَانٍ فِيهَا لِعَظِيمِ الرَّحْمَةِ مِنْ تَكَرُّرِ الْقِصَصِ وَشَفْعِ الْعِظَاتِ، وَظَهَرَتْ حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ أَلْطَافِهِ تَعَالَى لِمَنْ يَسَّرَهُ لِتَدَبُّرِ الْكِتَابِ، وَوَفَّقَهُ لِفَهْمِهِ وَإِعْتِبَارِهِ، أَرْدَفَ ذَلِكَ سُبْحَانَهُ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى هَذِهِ النَّعْمِ فَعَدَّدَهَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ" ³. ومن "ثم إن سورة القمر

¹ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، أسباب النزول، أسباب النزول، لباب التقول في أسباب النزول، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 2002م، ص250.

² عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتمها، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، 1426هـ، ص69.

³ أحمد بن إبراهيم بن الزبير النقي، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، محرم 1428هـ، ص180.

إعذار للعباد فقط، فأردف سورة الرحمن تنبيها للثقلين وإعذارا لهم¹، فقرر نعمه بتكرار الاستفهام الإنكاريّ إحدى وثلاثين مرة.

5-أهم ما فُسر من آي سورة الرحمن على يد النبي صلى الله عليه وسلم:

"أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿كَلَّ يَوْمَ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال: مِنْ (شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا ويضع آخرين)²، كما أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما)³.

"وأخرج البغوي عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿هَلْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. وقال: (هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة)⁴، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُبعث الناس يوم القيامة والسما تطفئ عليهم)، قال الجوهري: الطش: المطر الضعيف⁵. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ قال محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبيد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و ذكرَ سِدْرَةَ المنتهى فقال: (يسير في ظلّ الفن منها الرّاكب مائة سنة - أوقال: يُستظلّ في ظلّ الفن منها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأنّ ثمرها القلال)⁶، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي حدثنا محمد بن حاتم

¹ نفسه ، ص 181، وينظر: عبد الكريم الخطيب، نظرات في سورة الرحمن ، ص 23، 24.

² ينظر: ابن كثير الحافظ القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، مج 04 ، ط 2، دار السلام ، الرياض، السعودية ، 1998م ، ص 349، 350.

³ الحافظ جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: مرسى عبد الحميد، عوض هيكل، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م ، ص 1037، وينظر: الحافظ ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص 353.

⁴ الحافظ جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 1073.

⁵ ابن كثير الحافظ القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم، ص 351.

⁶ نفسه ، ص 354.

حدّثنا عن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقَيْهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حَلَّةً مِنْ حَرِيرٍ حَتَّى يُرَى مَخَّهَا)¹.

6- فضل قراءة سورة الرحمن:

"قال الرسول المنصور محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من قرأ سورة الرحمن أدّى شكر ما أنعم الله عليه)، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)"².

¹ نفسه ، ص356، وينظر: أحمد الصّاوي المالكي ، حاشية العلامة الصّاوي على تفسير الجلالين، ج04 ، دط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، دت ، ص159.

² بمجت عبد الواحد الشّخيلي ، بلاغة القرآن الكريم ، مج 09 ، ص631.

المبحث الثالث: تنوع الوقف في سورة الرحمن .

1- جدول يوضح مدى اختلاف العلماء حول مواضع وأنواع الوقف في سورة الرحمن:

| رقم الآية | الآية | الوقف عند الأشعري | الوقف عند الأبياري | الوقف عند النحاس | الوقف عند الدايني | تعليقات وتوضيحات |
|-----------|--|----------------------|-----------------------|---------------------|----------------------|---|
| 01 | الرَّحْمَنُ | / | / | / | / | |
| 02 | عَلَّمَ الْقُرْآنَ | كاف | / | كاف | / | كاف إذا ابتدأت الخير بعده (م:الرحمن:خ:علم القرآن) |
| 03 | خَلَقَ الْإِنْسَانَ | / | / | كاف | / | |
| 04 | عَلَّمَهُ الْبَيَانَ | تام | حسن | تام | تام | لأن المعنى في التمام |
| 05 | الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسَبَانِ | كاف | / | كاف | / | |
| 06 | وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ | تام | / | كاف | تام | |
| 07 | وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ | رفعها/حائز | / | * | / | *لا تقف عليها لأنها متعلقة بما بعدها |
| 08 | أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ | كاف | حسن * | كاف/ للتصب* | كاف/ للتصب* | *إذا كانت في موضع نصب "أَنَّ لا تطغوا" أما إذا كان مجزوماً به (لا) فيكون الوقف تاماً على الميزان(3) |
| 09 | وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ | تام | تام(وفق ما سبق) | كاف | تام | |
| 10 | وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ | كاف | / | كاف | / | |

الفصل الثالث:

تجليات الوقف في سورة الرحمن

| | | | | | | |
|----|--|----------|-----|----------|------|---|
| 11 | فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ | كاف | تأم | *كاف | / | *لا نقف عليها لأن (والحب) معطوف على ما قبله إلا إذا وقفنا عند (ذو العصف) |
| 12 | وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ | تأم* | تأم | تأم | تأم | *لأن المعنى في التمام قد يكون تاماً إذا (الحب) بالضمّة، أما (الحب) بالفتحة فلا |
| 13 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم | / | تأم | تأم* | *ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده. |
| 14 | خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ | كاف* | / | / | تأم | *كاف إذا أستاذف ما بعده، وليس بوقف إذا عطف على ما قبله. |
| 15 | وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ | كاف* | / | تأم | تأم* | *كاف إذا أستاذف ما بعده، وليس بوقف إذا عطف على ما قبله. |
| 16 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم/كاف* | / | تأم*/كاف | تأم* | *ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده، أو تأم إذا رفعت ما بعده بالابتداء، وكاف إذا رفعت على إضمار المبتدأ أو نصبت على المدح، وإن رفعت على البدل مما في (خلق) أو خفضته مما في (ربكما) لا يكف الوقف. |
| 17 | رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ | كاف | / | تأم* | تأم | *إن لم ترفع بالابتداء على أن الخبر (مرج البحرين) |
| 18 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم | / | تأم | تأم* | *ما لم يتعلّق قبله بما بعده |
| 19 | مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ | كاف | / | / | / | |
| 20 | بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ | كاف | / | *كاف | تأم | *على أن تبتدأ الخبر. |
| 21 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | كاف | / | تأم | تأم* | *ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 22 | يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوءُ وَالْمَرْجَانُ | كاف | / | تأم | تأم | |
| 23 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم | / | تأم | تأم* | *ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 24 | وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ | كاف | تأم | تأم | تأم | |
| 25 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | كاف | / | تأم | تأم* | *ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |

الفصل الثالث:

تجليات الوقف في سورة الرحمن

| | | | | | | |
|----|--|-------------------------------|--------------------------------|-------------------------------|-------------------------------|--|
| 26 | كُلُّ مَنْ عَلَّمَا فَإِنْ | * | / | / | * | * لا تقف حتى تقول (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام). |
| 27 | وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ | تأم | تأم | تأم | تأم | لتمام المعنى. |
| 28 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ | / | / | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 29 | يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ | تأم/الأرض تأم/شأن | تأم/الأرض تأم/شأن | تأم/الأرض تأم/شأن | تأم/الأرض تأم/شأن | *الوقف التأم عند (شأن) إذا قرأنا الآية "31" سنفرغ أو سيفرغ قصد التمام (نون)الوقف لا يُستحسن عند (شأن) إذا قرأنا الآية "31" سيفرغ لأنه كلام واحد(ياء) |
| 30 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ | / | / | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 31 | سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ | / | تأم/جائز* | / | / | * سنفرغ لكم هو تأم* سيفرغ لكم هو حسن لأن الكلام بالياء متصل (الثقلان) |
| 32 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ | تأم | جائز | / | تأم | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 33 | يَمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ | فانفذوا/تأم بسلطان/ كاف | فانفذوا/تأم بسلطان/ كاف* | فانفذوا/تأم بسلطان/ حسن | فانفذوا/تأم بسلطان/ كاف | * والتمام عنده(فلا تنتصران). |
| 34 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ | كاف | / | / | كاف | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 35 | يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ | تنتصران/ تأم | تنتصران/تأم | تنتصران/تأم | تنتصران/ تأم | * ولا يوقف على (نار)لأنهما معطوفان على الضمّ. |
| 36 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ | تأم | / | / | تأم | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 37 | فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ | كاف* | / | / | كاف* | لا يوقف عليها لأنها جملة شرطية جوابها في الآية(39) *وقد لا يوقف عليها، ولا على تكذبان بعده لأنه جواب شرط. |
| 38 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ | كاف | / | / | كاف | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 39 | فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ | كاف | / | / | كاف | |

الفصل الثالث:

تجليات الوقف في سورة الرحمن

| | | | | | | |
|----|---|-----------------------|--------------|----------------------|--------------|--|
| 40 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم | / | كاف | تأم* | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 41 | يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ | كاف | / | جائز | / | |
| 42 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم | / | جائز | تأم* | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 43 | هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ | / | / | / | / | |
| 44 | يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ | كاف | تأم | تأم | تأم | |
| 45 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم | / | تأم | تأم* | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 46 | وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ | * | / | * | / | * لا يوقف عليها لأنّ (ذواتا أفنان) وصف لها ولا يُفصل بين الصّفة والموصوف. |
| 47 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | / | / | / | تأم* | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 48 | ذَوَاتَا أَفْنَانٍ | / | / | كاف* | كاف | * إذا ابتدأت الخبر بعده. |
| 49 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | كاف | / | / | تأم* | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 50 | فِيهَا عَيْنَانِ حَجْرَيَانِ | كاف | / | كاف | / | |
| 51 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | كاف | / | كاف | تأم* | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 52 | فِيهَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ رَّوْجَانِ | كاف | / | كاف | تأم | |
| 53 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | * | / | كاف* | تأم** | *كاف إذا نصبت (متكئين) بإضمار فعل. بمعنى (ينعمون متكئين) ** ما لم يتعلّق قبله بما بعده * لا يوقف عليها إنّ جعل (متكئين حالاً) |
| 54 | مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ | إسْتَبْرَقُ / جائز | دان / حسن | إسْتَبْرَقُ / كاف | دان / كاف | |

الفصل الثالث:

تجليات الوقف في سورة الرحمن

| | دَانِ | دان/كاف | دان/كاف | دان/كاف | |
|----|---|---------|---------|---------|--|
| 55 | فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | كاف | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 56 | فِيهِنَّ قَنَاصِرٌ أَطْرَفٍ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ | * | / | / | * لا يوقف لأنّ (الباقوت والمرجان) من صفات القاصرات الطّرف. |
| 57 | فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | / | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 58 | كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ | كاف | / | / | |
| 59 | فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأمّ* | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده * لوجود الاستفهام بعده. |
| 60 | هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ | كاف | تأمّ | تأمّ* | لتمام المعنى. |
| 61 | فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأمّ | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 62 | وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ | كاف | تأمّ | / | * لكن هناك غير هذا لأنّ (مدهامتان) صفة لها تابعة. |
| 63 | فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | * | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده * لا وقف لأنّ (مدهامتان) من صفات الجنّتين. |
| 64 | مُدّهَامَتَانِ | / | / | كاف | |
| 65 | فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأمّ | / | كاف* | * على أنّ يكون ما بعده خبراً بعد خبر ولا يكون نعمًا** ما لم يتعلّق قبله بما بعده |
| 66 | فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ | كاف | / | / | |
| 67 | فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأمّ | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 68 | فِيهِمَا فَكِكِهَةٌ وَخَلٌّ وَرُمَّانٌ | كاف | / | / | |

الفصل الثالث:

تجليات الوقف في سورة الرحمن

| | | | | | |
|----|---|------|-----|-----|--|
| 69 | فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 70 | فِي مَنِّ خَيْرَاتٍ حِسَانٌ | * | / | * | * ليس يوقف لأنّ بعده صفات (الخيرات) أو بدلاً وهو الآية (72) * لا وقف لأنّ صور نعت (خيرات) أو بدل. |
| 71 | فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | / | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 72 | حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ | كاف | / | كاف | |
| 73 | فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | / | / | / | * إن جعلت ما بعده خيراً لمبتدأ** ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 74 | لَمْ يَطْمِئِنَّنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ | كاف | / | كاف | |
| 75 | فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم* | / | كاف | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده *تأم إن نصب (ممكنين) على الاختصاص. |
| 76 | مُنْجِبِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ | تأم | / | حيد | |
| 77 | فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | تأم* | / | / | * ما لم يتعلّق قبله بما بعده. |
| 78 | تَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ | تأم | تأم | تأم | تمام المعنى وختام السورة الكريمة. |

لا أحد يُمكنه إنكار أهمية الوقف وأنواعه؛ لتعلقه بكتاب الله عزّ وجلّ، فهو السبيل الوحيد لفهم معاني الآيات على الوجه الذي وُضِعَتْ له "فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ الْوَقْفَ، لَمْ يَعْلَمْ مَا يَقْرَأ"¹، وهذا من العلوم القليلة التي نَبّه القرآن على أهميتها وحضّ على تعلّمها والعمل بها عن طريق الترتيل، إذ هو "تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"²، وإنّه لَمِنْ المؤكّد أنّ الوقف يقوم على الانقطاع والاتصال (فالقَطْع والاتِّتاف) عند النَحَاس من العلائق بين تمفصلات السياق العام، إذ نلّفي القدامى أولوا اهتمامًا منقطع التّظير بهذا الفضاء مراعاة للتأويل النحوي والأحكام الإعرابيّة المرجّحة في قراءة دون أخرى وصولاً إلى المعنى المقصود من الآية الكريمة (التفسير والتأويل). ويمكننا القول إنّ الوقف يتعلّق بمعطيات المعنى، فالمتقن للغة العربيّة أداءً وبلاغةً وأسلوباً يقف حيث يجب بسليقةٍ، وحذقٍ وذوقٍ دون رموز شكليّة.

الوقف في سورة الرحمن: لقد آثرنا أن نطبّق الجانب التّنظيري المذكور سابقاً على السورة رقم (55) في التسلسل الضّابط للسور القرآنيّة في المصحف العثمانيّ ألا وهي سورة الرحمن؛ التي نزلت بعد سورة القمر، ولدراسة الظاهرة يمكن أن نحدّد أشكال ومواضع الوقف ضمن سورة الرحمن كالآتي:

أ- مواضع الوقف التام في سورة الرحمن:

هو الذي ينقطع الموقوف عليه عمّا بعده في اللفظ والمعنى، فيكون مستقلاً بذاته عن غيره. وأهمّ المواضع التي أتفق عليها ضمن الجدول المصوّر أعلاه من وقْفٍ ما أقرّه كلّ من الأشموني والأنباري والنحاس والداني*:

¹ عمّار أمين الدوّ، كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله لأبي القاسم بن جبارة الهذلي، مجلة الشريعة والقانون، مجلس التّشّرع العلمي، جامعة الإمارات العربيّة المتّحدة، العدد 34، أبريل، 2008م، ص348.

² نفسه، ص348.

* لمزيد من الإيضاح نعود إلى كلّ من أئمّة وعلماء في هذا الميدان وروّاده:

أ- الأشموني أحمد بن عبد الكريم، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء.

ب- الأنباري أبي بكر بن القاسم، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل 27-328هـ.

ج- النحاس أبو جعفر بن محمد، القطع والاتّتاف.

د- الداني أبي عمر بن سعيد، المكتفى في الوقف والابتداء سنة 444هـ.

- 1- قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الآية(04)؛ لأنّ المعنى واللفظ في التمام عند الأشموني والنحاس والداني .
- 2- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الآية(09).
- 3- قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الآية(12)، لأنّ المعنى واللفظ في التمام شريطة أن تكون الحبُّ (بالضمّة)، وهذا عند كلّ من الأشموني والأنباري والنحاس والداني.
- 4- قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآية(13)، عند الأشموني والنحاس والداني ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده.
- 5- قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الآية(27)، نظراً لتمام المعنى عند كلّ من الأشموني والأنباري والنحاس والداني.
- 6- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الآية(29)، فالتمام عند الأرض نظراً لتمام المعنى عند الأربعة، أمّا الوقف التام على (شأن) يكون إذا قرأنا (سفرغ) بالنون المفتوحة أو (سيفرغ) بالياء مضمومة قصد تمام المعنى، والتي تعود على الله عزّ وجلّ، وما عدا هذا (سيفرغ) بالياء المفتوحة، فلا يُستحسن الوقف على (شأن)؛ وهذا عند الأئمة الأربعة السابق ذكرهم.
- 7- قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية(33)، والوقف هنا عند (فأنفذوا) لتمام المعنى عند الأشموني والأنباري والنحاس والداني.
- 8- قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ الآية(35)، فالتمام عند الأئمة الأربعة عند(تنتصران)؛ لتمام المعنى، ولا يوقف على (نار)؛ لأنّهما معطوفان على الضّم حسب الأشموني.

- 9- قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَإِنْ﴾ الآية (44)، فهو تامّ عند الأنباري والنحاس والداني نظرا لتمام المعنى واللفظ، أمّا بالنسبة للأشموني فهو كافٍ.
- 10- قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ الآية (45)، فهو تامّ عند الأشموني والنحاس والداني ما لم يتعلّق قبله بما بعده.
- 11- قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الآية (60)، فهو تامّ عند كلّ من الأنباري والنحاس والداني لتمام المعنى واللفظ ما عدا الأشموني الذي يرى أنّه كافٍ.
- 12- قوله تعالى: ﴿تَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الآية (78)، فهو تامّ عند الأربعة لأنّه تمام للمعنى واللفظ والسورة الكريمة ككلّ.
- هذا عموماً بالنسبة لما اتّفق عليه بين الأئمة السالف ذكرهم عن مواضع الوقف التام، لكنّ تمام البحث لا يتأتّى إلا بالوقوف على الأنواع الأخرى ومنها الوقف الكافي.

ب_ مواضع الوقف الكافي في سورة الرحمن:

- فهو النوع الثاني من الوقف حيث يكون تعلّق الموقوف عليه فيه بما بعده بالمعنى دون اللفظ¹ لكننا نلاحظ ههنا انتشار الكافي أقلّ من سابقه ونماذجه أقلّ. دلالة على ذلك عند القراء والأئمة أهمّها الآتي:
- 1- قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ الآية (02)، فهو كاف عند الأشموني والنحاس هذا إذا ابتدأت الخبر بعده (المبتدأ: الرحمن/الخبر: علم القرآن).
- 2- قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الآية (05)، فهو كاف عند الأشموني والنحاس .
- 3- قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ الآية (08)، فهو كاف عند الأشموني والنحاس والداني شرط أن تكون في موضع نصب (أن لا تطغوا في الميزان).
- 4- قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ الآية (10)، فهو كاف عند الأشموني والنحاس.

¹ المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيير المعاني النحويّة من خلال سورة التّساء، ص338.

5- قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يُبْغِيَانِ﴾ الآية (20)، وهو كاف عند الأشموني والنحاس شرط أن تبتدىء الخبر.

6- قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾﴾ الآية (33)، فهو كاف في (بسلطان) عند كل الأئمة الأشموني والأنباري والنحاس والداني. والتمام عندهم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ الآية (35).

7- قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ الآية (39)، فهو كاف عند الأشموني والنحاس.

8- قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ الآية (48)، كاف عند النحاس والداني.

9- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥١﴾﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٣﴾﴾ الآيات (50، 51، 52). فهو كاف عند (تجريان/تكذبان/زوجان) في نظر الأشموني والنحاس فقط.

10- قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الآية (54) فهو كاف في (دان) عند كل الأئمة نظراً لتعلق المعنى دون اللفظ.

11- قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ الآية (72)، فهو كاف عند الأشموني والنحاس.

12- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾﴾ الآية (74)، فهو كاف عند الأشموني والنحاس نظراً لتعلقها بالمعنى اللاحق دون اللفظ.

● وما قد يشدّ انتباهنا هنا أمر غريب ألا وهو :

1- اختلاف الأئمة حول مواضع الوقف الكافي عدا التوافق الملحوظ بين الأشموني والنحاس.

2- الوقف الكافي أقل حضوراً على عكس التام؛ ولعل السر في ذلك هو تكرار الآية: ﴿فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ حوالي (31) مرة، والجانب المرحليّ والتفصيلي لمشاهد النعم وفق طريقة (08/ 08 /07 /08)*

ت_ مواضع الوقف الحسن /الجائز في سورة الرحمن:

- وهو الموسوم "بالاتصال معنًى ولفظاً مع استحسان وجواز الوقف عليه"¹، وهو قليل الحضور نظراً لقلّة الاعتماد عليه، فأهمّ المواقع التي يحسن الوقوف عليها نجدها كالآتي:
- 1- قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الآية (04)، فهو حسن عند الأنباري.
 - 2- قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ الآية (08)، فهو وقف حسن إذا كانت موضع نصب (أن لا تطغوا) عند الأنباري.
 - 3- قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُدُوا^٢ لَا تَنْفُدُونَ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكُمْ﴾ الآية (33)، فالوقف هنا حسن عند الأنباري.
 - 4- قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ^٣ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الآية (54) فالوقف على (دان) حسن عند الأنباري.
 - 5- قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ الآية (07)، والوقف على (وضعها) جائز عند الأشموني.

* وهذا التفصيل يقصد به ما تحدّث عنه عطية بن عطية الأجهوري، إرشاد الرحمن لأسباب النزول، ص 677، أو محمود بن حمزة الكرماني، أسباب التكرار في القرآن، ص 231. ألاً وهو 08 آيات العجائب والخلق، 07 آيات النار وأبواب جهنم، 08 آيات وصف للجنان و08 آيات لوصول الجنّتين دون الأوليين.

¹ المبروك زيد خير الدين، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيير المعاني النحويّة من خلال سورة النساء، ص 353.

6- قوله تعالى: ﴿سَنفِرُكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ الآية (31)، فهو صالح عند النحاس؛ لأنّ الكلام بالياء متصل (بالثقلان).

7- قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ الآية (41)، فهو صالح عند النحاس.

8- قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الآية (54) فالوقف على (استبرق) جائز عند الأشموني شرط قراءة (جنى الجنّتين دان) مبتدأ وخبر، وقُرى (وجنى) بكسر الجيم.

ولعلّ أهمّ ما يُلفظ عن الوقف بين الجائز والحسن هو ضعف الاعتماد عليهما عدا ما هو عند الأنباري من حسن وما هو عند النحاس من صالح وجائز نظراً لصعوبة تلقفه كونه عنصر تواصلٍ لفظيٍّ ومعنويٍّ مستحسنٍ.

2- أهمّ الاختلافات في القراءات لسورة الرحمن (فرش الحروف):

إنّ سهولة القراءة للذكر تأقلم واقعيّ مع الحياة الاجتماعية ولغتها، ومع تطوّراتها النطقية على تعدّد القبائل في صبغ الحروف بصفات غير صفاتها الأصلية أثناء النطق بها، و"تبقى القراءات يُعزى لها حفظ النصّ وضبطه مع التنوّع الذي يصبّ في مصبّ واحد، إذ لا اختلاف ولا تناقض بين المقاصد العامّة من علم الإقراء والتّجويد الذي ينبني أصلاً على الإفهام وتوضيح المراد"¹، ومن ذلك فالقراءات القرآنية "لم تول إلاّ العناية التي تستحقّها، باعتبارها تمثّل اختلافات جدّ ضئيلة، لا تمسّ البتّة بالمعاني القرآنية مهما كانت"²، فبحديثنا عن الاختلاف أردنا إيضاح بعض الرّموز الاختلافية في سورة الرحمن على أنّها مفتاح لكنوز أهمّ المعاني، ولنا أن نفتح هذا الكثر الرّبانيّ وفق ما أقرّه القباقي*:

1- قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الآية (12).

¹ المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيير المعاني النحوية من خلال سورة النساء، ص 114.

² الباجي أبو الوليد، إحكام الفصول في أحكام الأصول، ج 1، تحقيق: عبد المجيد التركي، ط 2، د مطبعة، 1995م، ص 17.

* ينظر: القباقي بن أبي بكر شمس الدّين بن عبد الله (777هـ-849هـ)، إيضاح الرّموز ومفتاح الكنوز- الجامع للقراءات الأربعة عشر، تحقيق: فرحات عبّاش، ط 5، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص 411، 412.

أ- قرأ ابن عامر (الحبُّ) بالتَّصَبُّبِ في الثلاثة، أي على إضمار فعل (خَلَقَ) أو عطفًا على (الأرض) و (ذا) صفة الحبِّ.

ب- الباقون قرأوها بالرَّفْعِ (الحبُّ).

ت- قرأ الكوفيون سوى عاصم (والريحان) بخفض النون (الكسرة).

2- قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الآية (22).

أ- فجميع ما فيها ذكر بحذف الألف، والهمزة بعد الجيم للحُسْنِ في الحَجْرِ.

ب- قرأ المدنيان والبصريون سوى الحسن (يخرج) بينائه للمفعول والباقون بينائه للفاعل، والبناء على جعل الكلمة، إسمها برأسه، وجعل المحذوف في حكم المنسيِّ فأعطى ما قبل الآخر حكمة.

ت- تقدّم إبدال (اللوْلؤ) في الهمز المفرد والوقف عليه لحمزة والأعمش وهشام في باب وقفهم على الهمز.

3- قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ الآية (24).

أ- قرأ الحسن (وله الجوار) بضمِّ الرّاء.

ب- والباقون بكسر الرّاء (وله الجوار).

ت- وتقدّم إمالتها للدّوري عن الكسائي في بابها، والوقف عليها بالياء ليعقوب في بابها.

ث- قرأ حمزة والأعمش وأبو بكر بخلاف عنه (المنشآت) بكسر الشين.

ج- أمّا الباقون فبفتحها (المنشآت).

4- قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الآية (26).

أ- وتقدّم الوقف على (فان) بالياء لابن محيصن في بابها.

5- قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الآية (31).

أ- قرأ الكوفيون سوى عاصم (سيفرغ) بالياء والرّاء، إمّا مفتوحة مثل: (سيفرغ)، أو مضمومة مثل: (سيفرغُ)

ب- أمّا الباقون بالنون (سيفرغ) وفتح الرّاء المطوعي عن الأعمش مثل: (سيفرغُ)، وضمّها الباقون بالضمِّ مثل: (سيفرغُ).

ت-وتقدّم الوقف على(أية الثقلان) بسكون الهاء من غير ألف للكوفيين سوى الكسائي، والحجازيين وابن عامر.

ث-وضمّ الهاء وصلأ ابن عامر في الوقف على المرسوم(أيه).

6- قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ الآية(35).

أ- قرأ المكّيّان (شواظ) بكسر الشّين.

ب- والباقون بضمّها مثل (شواظ).

ت- قرأ الحسن(ونحس) بفتح النّون وسكون الحاء من غير ألف .

ث- والباقون بضمّ النّون وفتح الحاء وألف بعدها مثل:(نحاس) وخفض.

ج- وخفض السّين البصريّون سوى رويس والمكّيّين مثل:(نحاس) إذ جرّه بالعطف على (نار).

ح- والباقون بالرفع مثل:(نحاس) إذ رفعها بالعطف على(شواظ).

7- قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ﴾ الآية(44).

أ- روى الشّنبوذى عن الأعمش (يطوفون) بفتح الطاء وتشديدها وتشديد الواو وفتحها؛ لأنّ الأصل في نظره (يتطوفون) فقلبت التّاء طاءً وأدغمت في الطّاء، والمعنى المتردّدون كالقراءة المتواترة.

ب- والباقون بضمّ الطّاء مخففة وسكون الواو للمدّ مثل:(يطوفون).

8- قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئْتْنِ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الآية (56).

أ- قرأ الكسائي (لم يطمئثن) في الموضعين بضمّ الميم عنه من روايته تخييراً وخلفاً فيهما، وفي أحدهما.

9- قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَقْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الآية (76).

أ- قرأ ابن محيصن على(رفارف) بفتح الفاء وألف بعدها وكسر الرّاء الثّانية، وفتح الفاء من غير تنوين. جمع(رفرف) غير منصرف لعلّة تقوم مقام علتين وهي منتهى الجموع.

ب- وكذا الحكم في (عباقري) بفتح الباء وألف بعدها وكسر الرّاء من غير تنوين.

ت- وقرأ الباقيون بالإفراد فيها، والصّرف والتنوين بالكسر كقولهم:(رفرف/عبقري).

10- قوله تعالى: ﴿تَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الآية (78).

أ- قرأ ابن عامر (ذو الجلال) بالواو.

ب- وقرأ الباقون (ذو الجلال) بالياء.

بما أن الاختلافات في القراءات القرآنية لم تقدح في الغرض الأسمى للقرآن الكريم، إذ الأولون "لم يجدوا أيّ عناءٍ في القراءة الصحيحة المروية، فكان الإعراب وضبط الكلمات سليقة ينطقونها صحيحة دون حاجة لضبط آخرها"¹. ونجد كل ما ذكر سابقاً ملخصاً بشكل لا مثيل له فيه من التمهيص، ما يُغنينا عن البحث عند العلامة القباقي² في كتابه إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر موضّحاً أهم ما اختلف فيه من قراءات لسورة الرحمن.

¹ التمر عبد المنعم، علوم القرآن الكريم، ط2، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1983م، ص163.

² القباقي بن أبي بكر شمس الدين، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز، ص411، 412.

| 3- نظرة القراء على اختلافهم في قراءة سورة الرحمن: | | | | | | | | | | | | | | الكلمة | رقم الآية |
|---|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|--------------|
| الأعمش | الحسن | اليزيدي | عبد الرحمن | بن هشام | يعقوب | أبو جعفر | الكسائي | هزرة | عاصم | بن عامر | أبو عمرو | ابن كثير | نافع | | |
| الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | الحَبُّ | 12 |
| / | / | / | / | / | / | / | الرَّيْحَانُ | الرَّيْحَانُ | الرَّيْحَانُ | / | / | / | / | / | الرَّيْحَانُ |
| المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | المرحان | 25 |
| يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ | يُخْرِجُ |
| الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | الجوارِ | 24 |
| الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ | الْمُنْشَاتِ |
| سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | سَنْفَرُغٌ | 31 |
| أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَ | أَيْهَ | أَيْهَ | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا | أَيْهَا |
| شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | شِوَاظٌ | 35 |
| نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ | نُحَاسٌ |
| يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | يَطْوِفُونَ | 44 |
| يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | يَطْمِئِنَّ | 56,74 |
| رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | رَفْرَفٍ | 76 |
| عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ | عَبْقَرِيٌّ |
| ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذُو الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | ذِي الْجَلَالِ | 78 |

المبحث الرابع: أثر الوقف في توجيه النص القرآني من ناحية الإعراب والمعنى ضمن قراءات مختلفة لسورة الرحمن:

مما لا شك فيه أن للغة العربية أثر عميق على النفس البشرية وفق مستويين من الاتصال؛ هما اللفظ والمعنى، إذ تربط بينهما وشائج تمثل ارتباط الروح بالجسد، فالروح إذا فارقت الجسد تركته جثة هامدة وهو الحال بالنسبة للمعنى واللفظ على السواء.

وقد ركز العلماء المسلمون على هذا الترابط في العربية كونها لغة القرآن، فتدارسوا الأحكام البانية والمفضية إلى المعنى المراد، ومنها **الوقف** الذي آثرنا إلا أن نوضح أثره في توجيه النص القرآني من جهة اللفظ والمعنى.

فالأثر هنا هو الوظيفة التي يؤديها الوقف في فهم مقاصد الآي القرآني، وإدراك أغراضها، ومعرفة أحكامها، إما من جهة الإعراب والمعنى أو من جهة الأحكام، وذلك عن طريق إصابة الوجه الإعرابي الصحيح أو التأويل الراجح داخل ما يطرأ على النص القرآني من تحولات بسبب تغير موضع الوقف. ويجدر هنا الإشارة إلى أنه مسخرٌ وخاضع للوقف يتحكم فيه كما يريد ويطوِّعه كما يشاء، كما أن كلام الله يدور حول هذا الأثر الذي لا يتحدد بالكلمة أو الطول؛ إنما بالاكتمال والاكتماء، فالوقف ليس على كيفية واحدة، فتارة يكون مستقلاً وتارة أخرى متعلقاً، له أثر مباشر أو مشترك.

1- أثر الوقف المستقل وتعدد مواضعه ضمن قراءات مختلفة لسورة الرحمن:

يساهم الوقف في تنظيم العلاقات التركيبية، فيوجه الإعراب ويدفع عنه بعض التوجهات، ويحدد المعنى المراد؛ لكن هذا الأثر والتوجيه لا يحظى دومًا بالقبول، وإنما يتماشى مع صحة اللفظ في أصله المعجمي وكذا استقامة المعنى. وفيما يلي أمثلة تطبيقية لأثر الوقف المستقل في توجيه النص إعرابياً ومعنوياً، وسنبين ما قد يطرأ على أي القرآن من اختلافات تبعاً لاختلاف مواضع الوقف كالاتي:

- الوقف وتوجيه العلاقات النحوية إنطلاقاً من اختلاف القراءات:

لا أحد يمكنه إنكار أن أساس النحو يقوم على الترتيب والتأليف بين الكلم والجمل من حيث النوع، وما يطرأ عليها من بصمات تنغيمية بلاغية من حيث وظائف الكلمات، وما يميز النص القرآني هو أنه أقام علاقات نحوية متعددة غير مألوفة في الاستعمال العادي، فهناك عدّة قوانين لغوية تسيّر هذا الجنس ومنها الوقف كمؤسس للعلاقات النحوية، وقد دلّت الأمثلة الكثيرة على أن الآية الواحدة تتشكّل وفق هيئات نحوية متعددة، فهي في كلّ هيئة تحمل دلالة مخصوصة تتغيّر بتغيّر الوقف ومن هذه الأمثلة:

1- قوله تعالى: ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ الآية (08). فقد استوقفت هذه الآية العلماء بسبب ما أحدثته من علاقات نحوية متعددة كالآتي:

1- "قوله (ألا تطغوا) في موضع نصب على حذف الخافض تقديره (لئلا تطغوا)، (فتطغوا) في موضع نصب بأن، وقيل (أن). بمعنى (أي) لا موضع له فيكون (تطغوا) على هذا مجزوماً بـ (لا) ¹.
2- "(أي لئلا تطغوا)، وقيل (لا) للنهي، و(إن). بمعنى (أي) ².
3- "(أن) في موضع نصب، والمعنى بـ (أن لا تطغوا)، و(تطغوا) في موضع نصب بأن، ويجوز أن يكون (أن). بمعنى (أي)، فلا يكون لها موضع من الإعراب، ويكون (تطغوا) في موضع جزم بالنهي، قال: أبو جعفر: وهذا أولى لأن بعده (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا) ³.

2- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الآية (09)، وما يسترعي انتباهنا هنا هو ذلك الاختلاف في (تخسروا).

1- "(وتخسروا)، بضمّ التاء: أي ولا تنقصوا الموزون، وقيل التقدير في الميزان، ويقرأ بفتح السين والتاء وماضيه خسّر، والأول أصح ⁴.
2- "(ولا تخسروا) وقرأ بلال بن أبي بردة (ولا تخسروا) بفتح التاء وهي لغة معروفة ¹.

¹ أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن مختار، مشكل إعراب القرآن، ج 2، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ، ص 704.

² أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج 02، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، ص 251.

³ أبو جعفر النحاس أحمد بن يونس المرأ، إعراب القرآن، ج 4، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط 1، منشورات محمد علي بيضون، دار

الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، ص 205.

⁴ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج 02، ص 251.

3- قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الآية (12)، فالفوارق ههنا تنحصر في (الحب، الريحان).

1_ "قرأها ابن عامر بالتصّب عطفاً على (الأرض)؛ لأنّ قوله (والأرضَ وضعها للأنام) معناه خلقها فعطف (والحبّ) على ذلك؛ أيّ (وخلق الحبّ والريحان)، ومن رفع عطف على (فاكهة)، و(فاكهة) ابتداء وفيها الخبر، ومن خفض (الريحان) عطفه على (العصف)، وجعل (الريحان) بمعنى الرّزق" ².

2_ "(والحبّ) يُقرأ بالرفع عطفاً على (النخل والريحان) كذلك، ويُقرأ بالتصّب أيّ (وخلق الحبّ ذا العصف وخلق الريحان)، ويقرأ (الريحان) بالجرّ عطفاً على (العصف)" ³.

3_ "(والريحان) عطف أيضاً، وقراءة الأعمش وحمزة الكسائي (ذو). (والحبّ) مرفوع على أنّه عطف على (فاكهة)؛ أيّ وفيها الحبّ (ذو العصف) نعت له، (والعصف والريحان) بالخفض. بمعنى ذو الريحان" ⁴.

4_ قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ الآية (17)، والأمر فيه (ربّ) إذ بمعنى فبأيّ آلاء ربّكما ربّ المشرقين. و(ربّ) رفع على إضمار مبتدأ يجوز أن يكون بدلاً من المضمر الذي في (خلق) ويجوز الخفض (المغربين)، ويجوز التصّب. بمعنى (أعني) ⁵.

5_ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالَّذِي عَلِمَ﴾ الآية (24)، والاختلاف فيه في (المنشآت):

1_ "(المنشآت) بفتح الشّين، وهو الوجه و(في البحر) متعلّق به. ويقرأ بكسرهما: أيّ تُنشئ المسير وهو مجاز" ¹.

¹ النّحاس، إعراب القرآن ، ج 04، ص 205.

² مكّي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ، ج 02 ، ص 704.

³ العكبري ، إملاء ما من به الرّحمن ، ج 02 ، ص 251.

⁴ النّحاس، إعراب القرآن ، ج 04، ص 205.

⁵ نفسه ، ج 04 ، ص 206.

2_ "(المنشآت) قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وهي أَيْبِنٌ؛ فأما ما روي وقراءة الكوفيين غير الكسائي (وله الجوارى المنشآت) يجعلونها فاعلة، وعن عاصم الجحدري أنه قرأ (المنشآت) فغير محفوظ لأنه إن أبدل همزة قال: (المنشآت)، وإن خففها جعلها بين الألف والهمزة فقال: (المنشآت) وهذا المحفوظ من قراءته"².

6_ قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ﴿الآية (35)﴾ والاختلاف فيه في (شواظ ونحاس).

1_ "قوله (من نار ونحاس)، من رفع (النحاس) عطفه على (الشواظ) وهو أصح في المعنى؛ لأن (الشواظ) اللهب الذي لا دخان فيه و(النحاس) الدخان، وكلاهما يتكوّن من النار. فأما من قرأ (ونحاس) بالخفض فإنه عطفه على (النار)، وفيه بُعد لأنه يصير المعنى أن اللهب من الدخان يتكوّن وليس كذلك؛ إنما يتكوّن من النار. وقد روي عن أبي عمرو أنه قال: لا يكون إلا من نار... فعلى هذا يصح خفض (النحاس)، وقد قيل أن التقدير (يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس)، ثم حذف شيئاً وأقام من (نار) وهو صفته مقامه، وحذف حرف الجرّ لتقدّم ذكره فيكون المعنى كقراءة من رفع نحاساً"³.

2_ "(وشواظ) بالضم والكسر لغتان قد قرئ بهما، ومن (نار) صفة أو متعلق بالفعل و(نحاس) بالرفع عطفاً على (شواظ)، والجرّ عطفاً على (نار)، والرفع أقوى في المعنى؛ لأن (النحاس) الدخان، وهو والشواظ من النار"⁴.

3_ "(يرسل عليكما شواظ من نار) هذه قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ ابن كثير وابن إسحاق وهي مروية عن الحسن (شواظ) بكسر الشين والفراء يذهب أنهما لغتان بمعنى واحد، كما يقال: صوار صوار، وكذلك (نحاس ونحاس، ونحاس)..." قال أبو جعفر: الرفع في (ونحاس) أَيْبِنٌ في العربية؛ لأنه لا إشكال فيه يكون

¹ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج2، ص251، وينظر: أبي العلاء الكرمانى، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، تحقيق: عبد الكريم مصطفى مدج، ط1، دار ابن الحزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001م، ص389.

² النحاس، إعراب القرآن، ج4، ص207.

³ مكّي بن أبي طالب، ج2، ص706، وينظر: الكرمانى، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، ص390.

⁴ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج2، ص252.

معطوفا على (شواظ)، وإن خفضت عطفته على (نار) واحتجت إلى الاحتيال، وذلك أن أكثر أهل التفسير منهم ابن عباس يقولون: الشواظ اللهب، والنحاس الدخان، فإذا خفضت فالتقدير (شواظ من نار ومن نحاس) و(الشواظ) لا يكون من النحاس، كما أن اللهب لا يكون من الدخان إلا على حيلة واعتذار... فلما كان اللهب والدخان جميعا من النار، كان كل واحد منهما مشتملا على الآخر¹.

7_ قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ الآية (66). والاختلاف فيه في (نضاختان) "فقد روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس (نضاختان)، قال: فياضتان، وقال الضحاك ممتلئتان، وقال سعيد بن جبير: نضاختان بالماء والفاكهة، قال أبو جعفر: والمعروف في اللغة أنها بالماء"².

أ- وظائف الوقف في توجيه المعاني في سورة الرحمن:

تعد قضية المعنى من أهم القضايا اللغوية التي قامت حولها الدراسات المتنوعة، فكانت مجالاً خصباً لظهور جيل متميز من العلماء باجتهادات رغم التنوع الفقهي، فدراسة المعنى وصولاً إلى فهم آي القرآن أمر عظيم وقدر شريف، كون لغة القرآن ثرية المعاني إذ أن بعض الآيات قد تحمل أكثر من معنى وهذا ما عمدنا إليه. فكيف يستطيع القارئ بواسطة الوقف أن يصل إلى المعاني المختلفة التي تحملها آية واحدة؟ وكيف يمكن للقارئ أن يميز بين المعنى الصحيح والفاسد؟ من هنا نجد فصل بين متباين المعاني، ودفع التوهّمات المفسدة للمعاني أو ترسيخها، ولنا أن نعرض أمثلة عن هذه الوظائف:

– الوظيفة الأولى: الوقف وتكثير المعنى: ومن أمثلته:

1- قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ

الآيتين (11، 12). إذ إن الوقف عند (الأكمام) كاف عند الأشموني والنحاس، وهو تام عند الأنباري وتام عند كل من الأشموني والأنباري والنحاس والداني؛ لأنه المعنى في التمام شرط أن تكون (الحب) بالضّم أمّا (الحب) بالفتح فلا وقف حينها، ومن ذلك "أن (النخل والحب) هو البرّ والشعير وما

¹ ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 209.

² نفسه، ج 04، ص 212.

جرى مجراه... وفي هذا النوع نعمة عظيمة ففيه الأزهار والمندل والعقاير وغير ذلك ... وكلاهما من الآلاء والنعم¹. وفي الآيتين تكثير لمعنى النعم وتعدادها.

2- قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ الآية (17)، إذ أن الوقف كافٍ عن الأشموي وتامّ عند النحاس والداني في (مغربين) شرط إن لم ترفع بالابتداء على أن الخبر (مرج البحرين)، والتكرار لـ (رب) هنا قصد "التكثيف وطرده الغفلة ومن ذلك التأكيد، وخصّ سبحانه ذكر (المشرقين والمغربين) بالتشريف في إضافة الرب إليهما لعظمهما في المخلوقات،... وتحتل الآية أن يُراد المشرقين والمغربين وما بينهما جميعاً"².

3- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الآية (29) فالوقف هنا على (الأرض) تامّ عند كل من الأشموي والأنباري والنحاس والداني وكذلك الوقف على (شأن) تامّ عند كل من الأشموي، النحاس والداني، لكن هذا يشترط قراءة (سفرغ) بفتح التّون وضمّ الرّاء أو (سيفرغ) بضمّ الياء وفتح الرّاء وفق ما وضّحه النحاس، أمّا عن تكثير المعنى فنجده عند (يسئله من في السموات والأرض) "أي من ملك وأنس وجنّ وغيرهم، لا غنى لأحد منهم عنه سبحانه كلّهم يسأله حاجته إمّا بلسان مقاله وإمّا بلسان حاله"³؛ أمّا عن (كلّ يوم هو في شأن) "فقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال من شأنه أن يُجيب داعياً أو يُعطي سائلاً أو يفكّ عانيّاً أو يُشفي سقيماً"⁴، ومن أهمّ المعاني المكثرة والمكثفة أنّه "قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كلّ يوم هو يُجيب داعياً، ويكشف كرباً ويُجيب مضطراً، ويغفر ذنباً، وقال قتادة: لا يستغني عن أهل السموات والأرض، يُحيي حياً ويُميتُ ميتاً، ويربّي صغيراً ويفكّ أسيراً وهو منتهى حاجات الصّالحين وصریحهم ومنتهى شكواهم، وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي حدّثنا أبو اليمان الحمصي حدّثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزاري قال: إنّ ربّكم كلّ يوم هو

¹ عبد الرحمن النّعالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 04، تحقيق: عمّار الطّالبي، دط، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دت، ص 331.

² عبد الرحمن النّعالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 04، ص 333.

³ نفسه، ج 04، ص 353.

⁴ ابن كثير الحافظ عماد الدين القرشيّ الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، مج 04، قدّم له: عبد القادر الأرنؤوط، ط 2، مكتبة دار الفيحاء بدمشق، مكتبة دار السّلام بالرياض، 1418هـ، 1998م، ص 349.

في شأن، فيعتق رقاباً، ويعطي رغاباً ويقحم عقاباً¹، أو ليسَ هذا بتكثيرٍ للمعاني المختلفة ضمن جملة واحدة .

4- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ الآية (52).

فالوقف هنا على (زوجان) كاف عند الأشموني والنحاس، وتام عند الداني، والمعنى هو التكاثر من مدحها "بكثرة فواكهها وحلاوتها ونعيمها، و(زوجان) بمعنى نوعان،... ونقل الثعلبي عن ابن عباس قال مافي الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل أنه الحلو"²، وبذلك يعدد جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "فقال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، يعني أن بين ذلك بوئنا عظيما وفرقا بينا في التفاضل"³.

5- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ الآية (68).

فالوقف كاف عند الأشموني فقط، ولا وقوف عند غيره كون المعنى في المتعلقات السابقة واللاحقة، والتمام فيها عند(حسان) في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ الآية (70)، وهناك من يرى أنه ليس بوقف؛ لأن بعده صفات لـ(خيرات) أو بدل وهو الآية (72) في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾⁴، إذ نرى هناك تكثيراً وتكثيفاً لصفات الحور العين فهن "خيرات الأخلاق، حسان الوجوه... محجوبات مصونات في خيام من لؤلؤ"⁴.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: "...ولو أن امرأة من أهل الجنة اطّلت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها"⁵.

¹ نفسه ، مج 04 ، ص 349.

² الثعالبي ، الجواهر ، ج 04 ، ص 338.

³ ابن كثير عماد الدين ، تفسير القرآن العظيم ، مج 04 ، ص 355.

⁴ الثعالبي ، الجواهر ، ج 04 ، ص 340 ، 341.

⁵ حديث نبوي شريف ، صحيح البخاري .

وأن الدليل على كثرة المعاني وتكثيفها بنجده في "فاكهة"، وهي أعم من (النخل والرمّان) إذ هي الأولى وما يليها من عطف الخاص على العام... أمّا في (خيرات حسان) قيل: المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة، وقيل: خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه¹.

6- قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الآية (76)، فالوقف هنا على (حسان) تامّ عند الأشموني والدّاني، وجيد عند النحاس، ولا يمكن الوقف على (خضر) لعطف الثانية على الأولى، فالمعنى ههنا في (رفرف وعبقري) إذ أنّ (الرفرف) "ما تدلّى من الأسرة من عالي الثياب والبسط، وقال ابن عباس وغيره: وما يتدلّى حول الخباء من الخرقه الهفافة يسمّى رفرفاً، و(العبقري) بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر... وقال زيد هي الطنافس. قال الخليل والأصمعي العرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته قالت عبقرى"²، وقيل كذلك "الرفرف) رياض الجنة... والعبقريّ الزرّابي هو جيّادها وأجودها"³.

-الوظيفة الثانية: الوقف للفصل بين متباين المعاني:

استوضحنا من خلال الأمثلة السابق ذكرها أنّ للوقف وظيفة معنوية تكثيفية توجيهية؛ أمّا في هذا الجزء من البحث فارتأينا أن نبين وظيفة دلالية أخرى ومهمّة ألا وهي الفصل بين متباين المعاني:

1- قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ الآيات (7، 8، 9).

فالوقف على (الميزان) (01) غير ممكن؛ لأنّها متعلّقة بما بعدها، أمّا (الميزان) (02) فهو كاف عند الأشموني والنحاس والدّاني وحسن عند الأنباري، لكنّ (الميزان) (03) فالوقف عليه تامّ عند كلّ من الأشموني والأنباري والنحاس والدّاني والمعنى هنا "أنّ (الميزان) في (وضع الميزان) يُريد به العدل، أمّا (الميزان) في (ألتطغوا) فهو الميزان المعروف"⁴. وكذلك "أي لا تبخسوا الوزن بل زنوا

¹ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 04، ص 358.

² النّعالي، الجواهر الحسان، ج 04، ص 341.

³ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 04، ص 359.

⁴ النّعالي، الجواهر الحسان، ج 04، ص 330.

بالحقّ والقسط¹ ومن هنا يتّضح لنا الفرق بين المتباين: الميزان 01 ← أَلَا وهو العدل والحقّ، والميزان 02 ← أَلَا وهو أداة ووسيلة وصولاً إلى الحقّ.

2- قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ الآيتين: (14، 15). فالوقف على (كالفخّار) كاف عند الأشموني إذا أُستأنف ما بعده، وتامّ عند الدّاني. أمّا الوقف على (نار) فهو كاف عند الأشموني وتامّ عند كلّ من النحّاس والدّاني لتمام المعنى، والقصد هنا: أنّ الفرق بين المتباينات لا بدّ من الوقوف عنده، إذ أنّ الإنسان مخلوق من "فخّار" وهو الطّين الطّيب إذا مسّه الماء فخرّ أيّ ربّاً وعظّم... أمّا (الجانّ) فهو من (المارج) اللّهب المضطرب من النّار... وهو المختلط من النّار². هنا نلمس الفرق بين الطّين الطّيب التّقي، والأجود فهو من (الصّل، الصّوت)، وبين النّار المختلط والمارج من ألوان شتّى، وهناك من يقول عنها أنّها "طرف لهبها، وخالص النّار"³.

3- قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الآيتين (26، 27). فالوقف على (فان) غير جائز إطلاقاً لأنّه متعلّق بما بعده، فتمام المعنى عند (الإكرام) وهو وقف تامّ عند كلّ من الأشموني والأنباري والنحّاس والدّاني. فمعناه وجوب الوصل في أيّ "على الأرض (فان) وإشارة بالفناء إلى جميع الموجودات على الأرض من حيوان وغيره، والوجه عبارة عن الذات؛ لأنّ الجارحة منفيّة في حقّة سبحانه وهو ذو العظمة والكبرياء"⁴، والفناء للموجودات والبقاء للموجد الخالق البارئ المصور. "فإنّ الربّ تقدّس وتعالى لا يموت بل هو الحيّ الذي لا يموت أبداً"⁵ فكلّ شيء هالك إلاّ وجهه.

4- قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾﴾ الآية (33).

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 04، ص 346.

² النّعالبي، الجواهر، ج 04، ص 332.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 04، ص 346.

⁴ النّعالبي، الجواهر، ج 04، ص 334.

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 04، ص 349.

الوقف على (فانفذوا) تامّ وواجب عند كلّ من الأشموني والأنباري والنحاس والدّاني؛ كي لا يناقض المعنى ما يليه فنقول: (فانفذوا لاتنفذون). إذ لا يمكن أن نورد الأمر ونقيضه في آن، وحاشا أن يكون كلام الله كذلك. ومنه الوقف على (بسلطان) كان عند الأئمة السابق ذكرهم الأشموني والأنباري والنحاس والدّاني، والمعنى من ذلك التّعجيز "فإن استطعتم الفرار من الموت بأنّ تنفذوا من أقطار السموات، والأرض فأنفذوا... وهي صيغة أمر معناه التّعجيز"¹، ومنه كذلك أنّكم "لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره؛ بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه، ولا التّفوذ من حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر... فلا يقدر أحد على الذّهاب (إلاّ بسلطان) أيّ إلاّ بأمر الله تعالى"².

5- قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَإِنْ سَجَاوَنَدِي يرى أنّه لو وُصِل صار قوله (يطوفون) حالاً لمجرمين أي: يكذبون طائفين بين النار والحميم وهو محال"³، ومعنى ذلك عند الثعالبي: "أنّه يقال لهم على جهة التّويخ... كما أنّهم يتردّدون بين نار جهنّم وجمرها"⁴، أمّا ابن كثير فيقول عنها: "هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها، ها هي حاضرة تشاهدونها عياناً، يقال لهم ذلك تقرّياً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً... (والآن) هو الحارّ بلغ الغاية في الحرارة فلا يُستطاع من شدّة ذلك"⁵.

- الوظيفة الثالثة: الوقف والوصل لضبط الإعراب والمعنى، ودفع التوهّمات المفسدة لهما:

¹ الثعالبي، الجواهر، ج 04، ص 335، 336.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 04، ص 350.

³ أبو عبد الله محمد بن طيفور السّجاوندي، علل الوقوف، ج 1، تحقيق: بن محمد العيدي، ط 2، مكتبة الرّشد، الرياض، السعودية 2006م، ص 986، 987.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 04، ص 337.

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن، مج 04، ص 353.

إنه إلى جانب دور الوقف في توجيه العلاقات التحويلية إنطلاقاً من الاختلاف في القراءات ووظائفه من تكثير للمعنى وكذا الفصل بين متباين المعاني، نجد أنه يقوم بوظيفة أخرى بالغة الأهمية تنحصر بين ضبط الإعراب والمعنى، ودفع التوهّمات المفسدة لهما. يشير ابن الجزري إلى القضية في معنى قوله أنه من الأوقاف ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وُصِلَ طرفاه لأوهم معنى غير المراد، ومن هنا نجد إزالة اللبس ضرورة لبلوغ مقاصد القرآن الكريم المرغوبة، والابتعاد عن غير المرغوبة منها ومن أمثلة ذلك :

1- البدل: ونجده في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝﴾ الآيتين (14، 15). فلاوقف تامّ في (نار) هذا" إن رفعت ما بعده بالابتداء"¹ وقد يكون كافٍ. "فإن رفعت على إضمار مبتدأ ونصبته على المدح بما قبله كافٍ، وإن رفعت على البدل ممّا في (خلق) أو خفضته على البدل من (ربكما) لم يكفِ الوقوف على ما قبله"².

ونجده كذلك في الآيتين (70، 72) في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝﴾، فلا يجوز الوقف على (حسان) عند غالبية الأئمة والعلماء؛ لكنّ الوقوف على (الخيام) كاف عند كلّ من الأشموني والنحاس، وهذا كون الوقف على (حسان) ليس بكافٍ؛ لأنّ بعده صفة لـ(خيرات) أو بدلاً، وهو(حور) مقصورات في الخيام"³. أمّا (حسان) ليس بوقف، ومثله (تكذبان)؛ لأنّ قوله (حور) نعت(خيرات) أو بدل"⁴ ومثله كذلك الداني فيقول: "قال ابن عبد الرزاق عن(خيرات حسان) تامّ،

¹ النحاس، القطع والانتشاف، مج 04، ص 703.

² نفسه، مج 04، ص 703.

³ نفسه، مج 04، ص 707.

⁴ أحمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، دط، دار المصحف، دمشق، سوربة، دت، ص 272.

وليس كذلك لأن قوله (حور) نعت أو بدل من (خيرات)"¹، وهنا نلمس أهمية أن نقف أو أن نصل الكلام في القرآن الكريم ومدى ربطه بكل من الإعراب والمعنى.

2- التهي: ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ

وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٩﴾ الآيتين (8، 9)، فالوقف هنا فيه اختلاف فقيل "(وضع الميزان) ليس بوقف لمن جعل معنى (أن) معنى (أي)، وجعل (لا) ناهية؛ كأنه قال: (أي لا تطغوا في الميزان) وزعم بعض أن من جعل (لا) ناهية لا يقف على (الميزان). قال: لأن الأمر يعطف به على التهي، وهذا القول غير جائز لأن فعل التهي مجزوم، وفعل الأمر مبني إذا لم يكن معه (لام الأمر) قاله العبادي، و(ألا تطغوا في الميزان) كاف"²؛ أما الداني فيرى أنه فيه تفصيل "فهو كاف إذا جعلت (تطغوا) في موضع نصب فإن جعلته مجزوماً بـ(لا) على التهي، لم يكن (وأقيموا) مستأنفاً، وكان منسوقاً عليه؛ لأن الأمر ينسق على التهي"³، وهذا ما اعتمد عليه قبله الأنباري في الإيضاح.

3- التقى: ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية (33)، فالوقف في الموضع الأول تام (فانفذوا) عند كل من الأشموني والأنباري والنحاس والداني لتمام معنى الأمر؛ أما الثاني فهو كاف في (بسلطان)؛ لأن "قوله تعالى (لا تنفذون) لا نافية بمعنى ما"⁴.

4- تعلق الظرف والكلام بما قبله:

1- قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿١٩﴾ وَأَقِيمُوا

الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٢٠﴾ الآيات (7، 8، 9)، فالوقف هنا على (الميزان)

الأولى غير جائز، أما الثانية فهو كاف؛ لكن الثالثة فهو تام نظراً لتعلق الكلام بما قبله وتعلق

¹ ينظر: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1987م، ص550.

² الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ص271.

³ الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص547، وينظر: أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ص915.

⁴ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج02، ص252.

الظرف اللاحق بالسابق. وهذا عند غالبية الأئمة "فالكلام هنا مستأنفاً وكان منسوقاً"¹، ويرى النحاس أن "(وضع الميزان) ليس بقطع كاف؛ لأن (إن) متعلقة بما قبلها"²، وهو نفس قول السجاوندي "ف—(وضع الميزان) لا يوقف عليها لتعلق (أن)"³.

2- قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ الآيتين (26، 27). فلا نقف على (فان) لعدم تمام المعنى، والوقف على الإكرام (تام) لتمام المعنى؛ نظراً كون اللاحق متعلق بالسابق عند كل الأئمة؛* "لأن تمام الكلام في الإخبار عن بقاء الحق سبحانه وتعالى بعد فناء خلقه"⁴. كما يروى عن الشعبي أنه قال إذا قرأت (كل من عليها فان) فلا تقف حتى تقول (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وهو قول عيسى بن عمر⁵.

3- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ سَنَفِرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٧٠﴾﴾ الآيات (29، 30، 31). فالوقوف في (الأرض) تام، ثم على شأن (تام) كذلك؛ أما (الثقلان) فلا يمكن ذلك حسب كل من الأشموني والأنباري والنحاس والداني. والاختلاف بل واللبس فيه ضمن كلمة (سنفرغ)؛ لأنه بقولنا "سنفرغ" يكون الكلام السابق واحداً ككل⁶، أما "قول الأخفش: إن التمام (في شأن) فصحيح على قراءة من قرأ (سنفرغ لكم)، ومن قرأ بالياء فالكلام عنده متصل ب—(أيه الثقلان) وهو قطع صالح"⁷.

4- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٧١﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٣﴾﴾ الآيات (37، 38، 39). فلا

¹ ينظر: الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص 915، والأشموني، منار الهدى، ص 271.

² أبو جعفر بن محمد اسماعيل النحاس، القطع والانتناف، تحقيق: عبد الرحمن المطرودي، ط 1، دار عالم الكتب، السعودية، 1992م، ص 702.

³ السجاوندي، علل الوقوف، ص 985.

* ينظر: كل من الأشموني، الأنباري، النحاس والداني.

⁴ الأشموني، منار الهدى، ص 271.

⁵ النحاس، القطع والانتناف، ص 704.

⁶ الأنباري، إيضاح الوقف، ص 916، وينظر: الداني، المكفى في الوقف والابتداء، ص 548.

⁷ النحاس، القطع والانتناف، ص 705.

يجوز الوقف على الدهان عند كل الأئمة*؛ لأنها جملة شرطية وتحتاج إلى جواب شرط، فيجب أن لا يفصل بين الشرط وجوابه فيوصل الكلام إلى غاية (جان)، فيكون الوقف كافٍ عند كل من الأشموني والنحاس، ويرى الأشموني أنه (كالدهان) كافٍ، وقيل لا يوقف عليه ولا على (تكذبان) بعده؛ لأن قوله (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه) جواب قوله (فإذا إنشقت)، فلا يفصل بين اللاحق والسابق أي بين الجواب وشرطه بالوقف¹.

5- قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ جَنَّاتٍ ۖ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا

أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ الآيات (46، 47، 48) فلا يجوز الوقف على (جنتان)؛ لتعلق اللاحق وعدم تمام المعنى عند كل من الأشموني والأنباري والنحاس والداني، وهذا قولهم جميعاً كون (ذوات الأفنان) من صفات الجنتان، ولا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف فـ" (جنتان) لا يوقف عليه، ولا على (تكذبان)؛ لأن قوله (ذوات أفنان) من صفة جنتان، فلا يفصل بين الصفة والموصوف².

5- تعلق الظرف والكلام بما بعده: ونجد مثالا لهذا في:

1- قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكِّهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ

ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ الآيات (10، 11، 12). فلا يكون الوقف تاماً ولا المعنى إلا عند الوقوف على (الريحان)*. (فالأرض وضعها للأنام) متعلق بما بعده أي (فيها). بمعنى (في الأرض) وهو نفس الشيء بالنسبة لـ (والحب) والأصل (وفيها الحب)... إلخ، أمّا بالنسبة (للكمام) فهو كافٍ عند الأشموني والنحاس، وهو نفس الشيء عند (الأنام) نظراً لتعلق السابق باللاحق" (فالأنام) كافٍ على استئناف ما بعده، وجائز إن جعل حالا من (الأرض)؛ أي كائنة فيها؛ أي مفكّهة بما فيها للأنام... (والأكمام) كافٍ شرط أن يقرأ (الحب) بالتصب وليس بالرفع وإلا لما جاز ذلك³.

* الأئمة: هم السلف ذكرهم: الأشموني/ الأنباري/ النحاس/ الداني.

¹ الأشموني، منار الهدى، ص 272، وينظر كذلك: النحاس، القطع والانتشاف، ص 705.

² الأشموني، منار الهدى، ص 272.

* الوقف على (الريحان) تام عند كل من الأشموني، والأنباري والنحاس والداني.

³ نفسه، ص 271.

2- قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝﴾ الآيتين (14، 15). فهو كافٍ عند الأشموني "إذا أستأنف ما بعده، وليس بوقفٍ إذا عطف على ما قبله في كلٍّ من (الفخَّار) و(نار). أمَّا عند النحاس والداني فهو تامٌّ عند (نار) كون الأولى متعلّقة بالثانية في قضية الخلق، إلاّ إن جعل من عطف الجمل" ¹.

6- الوصف (النعت): ونجد أمثلة له فيما يأتي من آيات:

1- قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۝﴾ الآية (48). فلا يمكن الوقوف على أفنان؛ لأنها صفة الجنتان وكما سبق وأن حدّدنا أنّه "لا يجوز الفصل بين الصّفة والموصوف" ² (بين الجنتان والأفنان) ويقول فيها أبو حاتم: "لا أستحسن أن أقف عند (جنتان) حتى أقول (ذواتا أفنان) لأنّه قد وصفها بذلك" ³ فـ "ذواتا أفنان" صفة لقوله (جنتان) ⁴.

2- قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝﴾ الآية (58). فلا يجوز الوقف على ما قبلها وصولاً إليها "لأنّ كأنهنّ الياقوت والمرجان) من صفات قاصرات الطّرف" ⁵؛ وهو ما ذهب إليه الأشموني في كتابه منار الهدى في الوقف والابتدا.

3- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آءِ الرَّبِّ كَذَّبَانِ ۝ مُدْهَامَتَانِ ۝﴾ الآيات (62، 63، 64). فيرى غالبيّة العلماء أنّ (المدهامتان) من صفة الجنتان فلا يجوز الفصل بين الصّفة والموصوف، لذا لا يجب الوقف قبل (مدهامتان). "(ومن دونهما جنتان) ليس هذا بوقف

¹ نفسه ، ص 271.

² ينظر: الأشموني ، منار الهدى ، ص 272.

³ النحاس، القطع والانتناف، ص 705، 706.

⁴ السّجّاوندي، علل الوقوف ، ص 987.

⁵ الأشموني، منار الهدى، ص 272.

كافٍ ولكن إن شئت وقفت (مدهامتان)¹، وقال ابن الأنباري "ومثله (ومن دونهما جتتان) وليس كذلك لأن قوله (مدهامتان) صفة لهما"².

4- قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الآية (72). فالوقف هنا كافٍ عند كل من الأشموني والنحاس. إذ يرى هؤلاء أنه لا يمكن الوقوف قبل هذا عند (خيرات حسان)؛ لأن الحور المقصورات) من صفات (الخيرات الحسان)، "فالوقف هنا ليس بكافٍ؛ لأن بعده صفة لخيرات وهو (حور مقصورات في الخيام)"³ كما أنه ليس كذلك؛ لأن قوله (حور) نعت من (خيرات)"⁴.

7- الاستفهام: ونمثل لذلك في:

1- قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الآية (60). فهو وقف كافٍ عند الأشموني، وتام عند كل من الأنباري والنحاس والداني لتمام المعنى. ودلالة الاستفهام فـ "تكدبان) تام للاستفهام بعده"⁵، أما عن إعرابه "فهو مبتدأ وخبره؛ أي على جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحسن إليه في الآخرة"⁶.

2- قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فكل من الآيات (13-16-18-23-25) فهو استفهام يراد به تمام الوقف، ما عدا الآيات (21-28-30-34-38-47-49-53-55-57-63-71-73). نظراً لتعلق اللاحق بالسابق فهي كلها من الاستفهام الإنكاري نُكران النعم" والحكمة من تكرارها في أحد وثلاثين موضعاً أن الله عدّد في هذه السورة نعماءه وذكر خلقه آلاءه، ثم أتبع كل حلّة وصفها ونعمة ذكرها بذكر آلائه وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبّههم على النعم ويقرّهم بها فهي باعتبار بمعنى آخر غير الأوّل وهو أوجه، وقال الحسن التكرار للتأكيد وطرده الغفلة"⁷.

8- العطف: ونجد أمثلة عن هذا في قوله:

¹ النحاس، القطع والانتفاف، ص766.

² الداني، المكثف في الوقف والابتداء، ص549، وينظر: السجاوندي، علل الوقوف، ص987.

³ النحاس، القطع والانتفاف، ص707.

⁴ الداني، المكثف في الوقف والابتداء، ص550، وينظر: السجاوندي، علل الوقوف، ص988.

⁵ الأشموني، منار الهدى، ص272.

⁶ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج04، ص212.

⁷ الأشموني، منار الهدى، ص272.

1- قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ﴿٣٥﴾ الآية (35). واللّبس في العطف هنا أن نقف عند نحاس بالرفع (نحاسٌ) أو بالكسر (نحاسٍ)، فـ(نحاسٍ) بالجرّ عطف على (نارٍ)، أمّا(نحاسٌ) بالرفع فعطف على (شواظٍ)، " (من نار) ليس بوقف على القراءتين قرأ ابن كثير، أبو عمرو والنحّاس بالجرّ عطفًا على (نارٍ)، والباقون بالرفع عطفًا على (شواظٍ)"¹، والتّمام فيه(تنتصران) عند كلّ من الأشموني والأنباري والنحّاس والدّاني.

2- قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَنِكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ الآية (11، 12). والوقف تامّ عند (الرّيحان)؛ لأنّ (حبّ) معطوف على ما قبله والأصل في الكلام (وفيها الحبّ) " (والنخل ذات الأكمام) ليس بقطع كافٍ؛ لأنّ (والحبّ) معطوف على ما قبله، إلّا في قراءة من قرأ(والحبّ ذو العصف) فإنّه يكفيه الوقوف على(الأكمام) والتّقدير، (وخلق الحبّ والعصف) والتّمام (والرّيحان)"².

3- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَنِكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ﴿٣٨﴾ الآية (68). واللّبس هنا في العطف "وفيها ثلاثة أقوال: منها أنّه قيل: إنّ النخل والرّمان ليس من الفاكهة لخروجهما منها في هذه الآية، وقيل: هما منها ولكن أعيد إشادة بذكرهما لفضلهما، العرب تعيد الشّيء بواو العطف اتّساعًا لا لتفضّل، والقرآن نزل بلغتهم والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ الحج (18). وقيل (الأرض)، ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ الآية (238) من سورة البقرة، قال أبو جعفر وهذا بين لا لبس فيه"³.

¹ نفسه، ص272.

² النحّاس، القطع والانتناف، ص703.

³ أبو جعفر النحّاس، إعراب القرآن، ج04، ص212، 213.

4- قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٥﴾﴾ الآيتين (5، 6) فالوقف على (بحسبان) كافٍ عند الأشموني والنحاس، وغير جائز عند الأنباري والداني؛ نظراً لتعلقها بما يليها، أمّا عند (يسجدان) فهو تامّ نظراً لتمام المعنى، وكون الثانية معطوفة على الأولى وهذا "لعطف الجملتين المتفقتين"¹.

9- الحال: ونورد أمثلة لذلك في ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾ الآيتين (10، 11). والوقوف على (الأنام) كافٍ عند الأشموني والنحاس نظراً لتعلق الثانية بالأولى، فهي حالة توضيحية للسابقة (الأرض) أو "لأنّ ما بعده حال الأرض"².

2- قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ الآيتين (19، 20). والوقوف على (يلتقيان) غير ممكن؛ لأنّ ما يليه هو صورة توضيحية لحالته وبذلك يكون الوقف على (يبغيان) كافٍ عند الأشموني والنحاس شرط أن تبدأ الخبر، وتامّ عند الداني و" (يلتقيان) [لا]؛ لأنّ ما بعده حال الضمير في (يلتقيان) و(لا يبغيان) حال بعد حال"³.

3- قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿٥٤﴾ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٥﴾﴾ الآية (54). فالوقف على (دان) كان عند الأشموني والأنباري والنحاس والداني "ولا يوقف على (تكذبان) قبلها إن جعل (متكئين) حالاً من قوله: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)، فكأنه قال: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)، ثم وصفهما في حال (اتكائهما)، وإن نصب (متكئين) بفعل مقدر؛ أي (أعني) أو (أذكر) كان كافياً"⁴، ومن ذلك " (متكئين) حال لمن خاف إلا أنّ الكلام قد تطاول"⁵، ومراد المؤلف هنا أنّه "لا وقف على (تكذبان) من الآية (47) إلى الآية (57) ومن الآية (63) إلى

¹ السّجاوندي ، علل الوقوف ، ص985.

² نفسه ، ص985.

³ السّجاوندي ، علل الوقوف ، ص986.

⁴ الأشموني ، منار الهدى ، ص272.

⁵ السّجاوندي ، علل الوقوف ، ص987.

(75) حين لا يفصل بين الصفة والموصوف، ولا بين الحال وصاحبها؛ ولكن قد يوقف ضرورةً لطول الكلام¹.

4- قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ الآيات (56، 57، 58). "فلا يوقف على (الطرف)؛ لأن (لم يطمئن) حاله... (وكأنهن) حال بعد حال²، ويرى الداني أن الوقف على (المرجان) من التمام على عكس كل من الأنباري والنحاس، أما الأشموني فيراه كافٍ.

ب- الوقف وعنصر العلامة الإعرابية:

من الواضح أن الإعراب ظاهرة لغوية اتسمت بها العربية منذ نشأتها، وهو مظهر لفظي خارجي للعلاقات الداخلية المعنوية في التركيب النحوي، وقد عرفه العلماء بأنه أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في محل الإعراب. ولا شك أن رصد علامة إعرابية معينة هو في أصل الأمر إبانة عن وظيفة نحوية تشغلها هذه العلامة داخل الآية القرآنية، وهذا يعني أن دلالة النص القرآني تتأثر بعلامة الإعراب على أنها أخطر العناصر الموجهة للتركيب والمعنى.

والحقيقة أن القراءات القرآنية أحد المظاهر الرئيسية التي تمثل اختلاف العلامة الإعرابية لكلمة ما، ذلك أن اختلاف حركات الإعراب داخل قراءة معينة يحمل إلينا دلالة خاصة نفهم من خلالها الوظيفة النحوية، وبالتالي تعدد المعاني. ومما لا شك فيه أن هذا وجه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم؛ لأن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات ومعانيها، فلا يتضح المقصد إلا بالوقف أو الوصل في الكلام. وهذه أمثلة عن ذلك:

1- الوقف وتنوع الفعل بين الضم والفتح فقط: ومثاله في:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا آلُوزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩٠﴾﴾ الآية (90). واللبس فيه (تخسروا)، وهو ما ذهب إليه العكبري في قوله: "والقول مقدر و(تخسروا) بضم التاء: أي ولا

¹ ينظر: نفسه، ص 987.

² ينظر: نفسه، ص 988.

تنقصوا الموزون، وقيل التقدير في الميزان، ويقرأ بفتح السين والتاء وماضيه خسر والأوّل أصح¹، وهو نفس قول النحاس² وقرأ بلال بن أبي بردة ولا تُخسروا أو تخسروا بفتح التاء وهي لغة معروفة².

ب- قوله تعالى: ﴿سَنَفَرُغُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَانِ﴾ الآية (31). وبالاختلاف فيه في (سنفرغ) الجمهور على ضمّ الراء وقرئ بفتحها من أجل حرف الحلق وماضيه فرغ بفتح الراء، وقد سمع فيه فرغ بكسر الراء فتفتح في المستقبل، مثل نصب ينصب³، ويرى أبو جعفر النحاس ما هو أعمق بكثير من هذا في قوله: "وفيه خمس قراءات، ذكر أبو عبيد منها اثنتين قد قرأ بكلّ واحدة منهما خمسة قراء وهما (سنفرغ) و(سيفرغ) فقرأ بالأولى أبو جعفر وشيبة ولم يذكر أبو عبيد طلحة، وقرأ عبد ونافع وأبو عمرو وعاصم، وقرأ طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي (سيفرغ) عبد الرحمن الأعرج وقتادة (سنفرغ لكم) بفتح التون والراء، وقرأ عيسى بن عمر (سنفرغ) بكسر التون وفتح الراء، وذكر الفراء أنه يقرأ (سيفرغ) بضمّ الياء وفتح الراء، قال أبو جعفر: القراءتان الأوليان بمعنى واحد، وحكى أبو عبيد أن لغة أهل الحجاز وتهامة (فرغ يفرغ)، وإن لغة أهل نجد (فرغ يفرغ)، وأنه لا يعرف أحدا من القراء قرأ بها. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا من قرأ بها، فمن قال: (فرغ يفرغ) جاء به على الأصل؛ لأن فيها حرفاً من حروف الحلق، وحروف الحلق الهمزة والعين والغين والحاء والهاء، وحروف الحلق يأتي منها (فعل، يفعل) كثيراً نحو ذهب يذهب، وصنع يصنع. ويأتي ما فيه لغتان نحو (صَبَغَ يَصْبَغُ وَيَصْبِغُ) و(رَعَفَ يَرَعِفُ وَيَرَعِفُ)، ويأتي منهما ما لا يكاد يفتح نحو (نَحَتَ يَنْحِتُ)؛ وإنما يرجع في هذا إلى اللغة⁴.

2- الوقف وتنوع حركة الفعل بين الضمّ والكسر: ومثاله في:

أ- قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الآية (56).

¹ العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج 02، ص 251.

² أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 205.

³ العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج 02، ص 252.

⁴ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 208.

ب- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الآية (74).

والاختلاف فيه في (يطمثنهن) والغالب يقرأ (لم يطمثنهن إنس قبلهم ولا جان) وقراءة طلحة (لم يطمثنهن) وهما لغتان معروفتان¹.

3- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والفتح والكسر: ومثاله في:

أ - قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الآية (12). والاختلاف فيه حول (الريحان) و(ذو)، فالوقف عليها كافٍ لمن قرأ (والحبّ ذو العصف والريحان) بالنصب... (والريحان) تامّ سواء قرئ بالرفع أو بالنصب أو بالجر²، كما أنّ (والحبّ) يقرأ بالرفع عطفاً على (النخل) و(الريحان) كذلك، ويُقرأ بالنصب؛ أي (وخلق الحبّ ذا العصف وخلق الريحان)، ويُقرأ (الريحان) بالجرّ عطفاً على (العصف)³، وهو نفس ما ذهب إليه الأنباري النحوي (والحبّ) وفي مصاحف أهل الشام (والحبّ ذا العصف) بالنصب⁴.

4- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والفتح فقط: ومثاله في:

أ- قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ الآية (07). والاختلاف فيه حول (السّماء) و(السّماء) بالنصب بفعل محذوف يفسره المذكور، وهذا أولى من الرفع لأنّه معطوف على اسم قد عمل فيه الفعل، وهو الضمير في (يسجدان)، أو هو معطوف على (الإنسان)⁵.

5- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والكسر فقط: ومثاله في:

أ- قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الآية (12). والاختلاف فيه في (الريحان) (وخلق الحبّ والريحان)، ومن رفع عطف على (فاكهة)، وفاكهة ابتداء وفيها الخبر، ومن خفض (الريحان) عطفه على (العصف) وجعل (الريحان) بمعنى الرزق⁶.

¹ نفسه، ج 04، ص 212، وينظر: الكرمان، مفاتيح الأغاني، ص 390، 391.

² الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ص 270.

³ العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج 02، ص 251.

⁴ الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص 915.

⁵ العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج 02، ص 251، وينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 204.

⁶ مكّي ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ص 704.

ب- قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ (الآية 35).
والاختلاف فيه حول (نحاس) و(شواظ) و(شواظ) بالضم والكسر لغتان قد قرئ بهما... و(نحاس) بالرفع عطفاً على (شواظ)، وبالجر عطفاً على (نار)، والرفع أقوى في المعنى لأن النحاس الدخان وهو الشواظ من النار¹.

وهو نفس ما يراه أبو جعفر النحاس في كتابه إعراب القرآن " (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ) هذه قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي، وقرأ ابن كثير وابن أبي إسحاق وهي مروية عن الحسن (شواظ) بكسر الشين، والفراء يذهب إلى أنهما لغتان بمعنى واحد، كما يقال صُور وصُور. و(نحاس) قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع والكوفيين بالرفع، وقرأ ابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمرو و(نحاس) بالخفض، وقرأ مجاهد و(نحاس) بكسر التون والسين، وقرأ مسلم بن جندب و(نحاس) بغير ألف وبالرفع، قال أبو جعفر: الرفع في (ونحاس) أبين في العربية؛ لأنه لا إشكال فيه. يكون معطوفاً على (شواظ)، وإن خفضت عطفته على (نار)، واحتجت إلى الاحتياط وذلك أن أكثر أهل التفسير منهم ابن عباس يقولون: الشواظ اللهب، والنحاس الدخان، فإذا خفضت فالتقدير (شواظ من نار ومن نحاس)، والشواظ لا يكون من النحاس كما أن اللهب لا يكون من الدخان إلا على حيلة واعتذار. والذي في ذلك من الحيلة وهو قول أبي العباس محمد بن يزيد: أنه لما كان اللهب والدخان جميعاً من النار كان كل واحد منهما مشتلاً².

6- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الفتح والكسر: ومثاله في:

أ- قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الآية 17). والاختلاف فيه كبير حول حركة (رب) فهناك من يراها تتراوح بين الفتح والكسر؛ بل وهناك من يراها تتعدى ذلك إلى الضم فقوله (ربُّ المشرقين)، ربُّ رُفَع على إضمار مبتدأ تقديره (هو ربُّ المشرقين)، وقيل هو بدل من المضممر في خلق ويجوز في الكلام الخفض على البدل (من ربكما)³، وهناك من يمتثل

¹ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج 02، ص 252، وينظر: مكِّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ص 706.

² أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 209.

³ مكِّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج 02، ص 704، 705.

جواز النَّصْب كذلك "بمعنى (فبأي آلاء ربكما ربّ المشرقين وربّ...) رفع على إضمار مبتدأ يجوز أن يكون بدلاً من المضمّر الذي في (خلق). ويجوز الخفض، ويجوز النَّصْب بمعنى (أعني)"¹.

ت-الوقف وعنصر الصّيغة الصّرفية:

ذهب عامّة العلماء إلى أنّ علم الصّرف "علم يعرف به صياغة الأبنية وأحوالها وما يعرض لها ممّا ليس بإعراب ولا بناء)، ويرى ابن هشام أنّه تحويل الصّيغة لغرض لفظي أو معنوي"²، وهذا ما يقودنا إلى دور الصّرف في القضايا اللغوية وصولاً إلى المعنوية، وباحتلاله هذه المكانة المرموقة نلني له في الصّوت الأثر الواضح بالموضوعات الصّرفية منها: الوقف خاصّة في توجيه المعاني.

إنّ علماء القراءات وجدوا صيغا صرفية متنوّعة في النصّ القرآنيّ، فهناك من الاختلافات ما هو أكثر من النّحو حتّى في الصّرف مثل: الاختلاف بين المعلوم والمجهول، والتكلم والخطاب، والأمر والإخبار والاستفهام... وغيرها كثير سنحاول إكتشافها خلال البحث أهمّها:

1_تنوّع الصّيغة الصّرفية بين الغيبة والتكلم: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الآية (31). والاختلاف فيه حول (سنفرغ) (وسيفرغ) "فصحيح من قرأ (سنفرغ) بالتّون والرّاء المضمومة، وبها قرأ الأخوان أو على ما قرئ شاذاً... وأمّا من قرأ (سيفرغ) بفتح الياء وضمّ الرّاء وهي قراءة الباقيين، والرّاء مضمومة في القراءتين فالوقف على (الثقلان)"³.

أمّا العكبري فقال بالتّون فقط والاختلاف في حركة الرّاء في قوله: "(سنفرغ) الجمهور على ضمّ الرّاء، وقرئ بفتحها من أجل حرف الحلق وماضيه (فرغ) بفتح الرّاء، وقد سمع فيه (فرغ)

¹ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 206.

² ابن هشام الأنصاري، نزهة الطّرف في علم الصّرف، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي، دط، مكتبة الزّهران، القاهرة، 1990م، ص 98، وينظر: محمد عبد الخالق عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، دط، دار الحديث، القاهرة، 1988م، ص 30.

³ الأشموني، منار الهدى، ص 272، وينظر: الكرمان، مفاتيح الأغاني، ص 389.

بكسر الراء فتفتح في المستقبل مثل: نصِبَ، يَنْصَبُ¹، ويرى أبو جعفر النحاس ما هو أعمق بكثير من سابقه حيث أكد سابقاً أنه فيه خمس قراءات فذكر أنه "فيه خمس قراءات ذكر أبو عبيد منها اثنتين قد قرأ بكل واحد منهما خمسة قراء، وهما (سنفرغ) و(سيفرغ) فقرأ بالأولى أبو جعفر وشيبة ولم يذكر أبو عبيدة طلحة، وقرأ عبد ونافع وأبو عمرو وعاصم، وقرأ طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي(سيفرغ)، عبد الرحمن الأعرج وقتادة (سنفرغ لكم) بفتح التّون والراء، وقرأ عيسى بن عمر (سنفرغ) بكسر النون وفتح الراء، وذكر الفراء أنه يقرأ (سيفرغ) بضم الياء وفتح الراء، قال أبو جعفر: القراءتان الأوّليان بمعنى واحد، وحكى أبو عبيد أنّ لغة أهل الحجاز وقحمة (فرغ يفرغ)، وأن لغة أهل نجد (فرغ يفرغ)، وأنه لا يعرف أحدا من القراء قرأ بها. قال أبو جعفر: وقد ذكرنا من قرأ بها؛ فمن قال: (فرغ يفرغ) جاء به على الأصل؛ لأن فيها حرفاً من حروف الحلق. وحروف الحلق الهمزة والعين والغين والحاء والخاء والهاء، وحروف الحلق يأتي منها (فعل يفعل) كثيراً نحو ذهب يذهب، وصنع يصنع، ويأتي ما فيه لغتان نحو (صبغ يصبغ) و(رغف يرغف ويرغف)، ويأتي منهما ما لا يكاد يفتح نحو (نحت ينحت) وإنما يرجع في هذا إلى اللغة².

وهو نفس ما ذهب إليه الأنباري³ (سنفرغ) بالتّون، وكان يحيى والأعمش وحمزة والكسائي يقرؤون (سيفرغ) بالياء³.

2_ تنوع الصيغة الصرفية بين البناء للمعلوم والمجهول: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الآية (31). والاختلاف فيه حول (سنفرغ) و(سيفرغ) مؤكداً عليه أبو جعفر النحاس "ذكر الفراء أنه يقرأ (سيفرغ) بضم الياء وفتح الراء... أما (سنفرغ) بفتح التّون والراء، وقرأ بها عبد الرحمن الأعرج وقتادة"⁴.

¹ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج 02، ص 252.

² أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 208.

³ الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ص 916، وينظر: الداني، المكتفى في الوقف، ص 548، وينظر: إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص 705.

⁴ ينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 208، وينظر: الأشموني، منار الهدى، ص 272، وينظر: العكبري إملاء ما من به الرحمن، ج 2، ص 252.

ب- وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْثُ وَالْمَرَجَانُ﴾ الآية (22)، والاختلاف فيه حول (يَخْرُجُ وَيُخْرِجُ)، "و أكثر القراءة (يُخْرِجُ) بضم الياء من الإخراج؛ لأنه يُخْرِجُ ولا يَخْرُجُ بنفسه، ومن قرأ (يَخْرُجُ) فهو إتساعٌ، وذلك أنه إذا أُخْرِجَ (خَرَجَ)"¹.
3_ تنوع الصيغة الصرفية بين الاستفهام والخبر: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الآية (60). ويرى الأشموني هنا الغرض منه الاستفهام "فالوقف على (تكذبان) قبلها تام للاستفهام بعده"²، أما العكبري فيرى أنها للخبر "—(الإحسان) خبر(جزاء) دخلت إلا على المعنى"³، وهو نفس المعنى الذي أشار إليه أبو جعفر النحاس —(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) مبتدأ وخبره أي على جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحسَن إليه في الآخرة وهو بهذا يخبرنا عن جزاء الإحسان.

4_ تنوع الصيغة الصرفية بين الأمر والتعليل: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ الآية (8)، وتطرق إليها الأشموني "لمن جعل معنى(أن) معنى (أي)، وجعل (لأ) ناهية كأنه قال (أي لا تطغوا في الميزان)، وزعم بعض أن من جعل (لأ) ناهية لا يقف على (الميزان)، قال: لأن الأمر بعطف به على التهي وهذا القول غير جائز؛ لأن فعل النهي مجزوم، وفعل الأمر مبني إذا لم يكن معه (لام) الأمر، قاله العبادي"⁴.

ب- قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية (33). والاختلاف فيه حول الدلالة الصرفية لكلمة (أنفذوا) بين الأمر والسبب "فقرأ الضحّاك ورؤي عنه أنه قال: (إن استطعتم أن

¹ أبي الكرمانى ، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، ص 388 ، 389.

² الأشموني ، منار الهدى ، ص 272.

³ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن، ج 02 ، ص 252.

⁴ الأشموني، منار الهدى، ص 272، وينظر: مكّي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن، ص 704 ، وينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ،

ج 04 ، ص 205.

تهربوا من الموت فاهربوا)... وروى عن ابن عباس (إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض لآ تنفيذون إلا بسطان)، قال عكرمة: أي بجحّة وكلّ سلطان في القرآن فهو حجّة، وقال قتادة (بسطان) أي مملكة¹.

5_ تنوع الصيغة الصرفية بين التشديد والتخفيف: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الآية (12). والاختلاف ظاهر عند الأئمة حول (الريحان) وأصلها، فقوله: (والريحان) أصله (ريوحان)، ثم أبدلوا من الواو ياءً وأدغمت الياء (كميت وهين)، ثم خففت الياء كما تقول (ميت وهين ولين)، ولزم التخفيف في (ريحان) لظوله وللحاق الزيادتين في آخره وهما الألف والتون فوزنه (فيعلان)، ولو كان وزنه (فعلان)؛ لقلت (روحان) لآته من الروح، ولم يتمكن بدل الواو ياءً، إذ لا علة توجب ذلك؛ فلما أجمع على لفظ الياء فيه علم أن له أصلاً خفف منه، وهو ما ذكرنا وقد أجاز بعضهم أن يكون (فعلان)، والياء بدلاً من الواو كما أبدلوا من الياء واواً في (أشاوى) أصلها (أشاياء)².

ب- قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ الآية (24). والاختلاف فيه بين (المنشآت) و(المنشئات)، إذ يرى أبو جعفر النحاس³ أن (المنشآت) قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وهي أبين، وقراءة الكوفيين غير الكسائي (وله الجواري المنشئات) يجعلونها (فاعلة)، وعن عاصم الجحدري أنه قرأ (المنشيات) فغير محفوظ؛ لآته إن أبدل الهمزة قال: (المنشيات)، وإن خففها جعلها بين الألف والهمزة فقال: (المنشاءات) وهذا المحفوظ من قراءته⁴.

ت- قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الآية (31). والاختلاف فيه حول (أيها أو أيه) بالألف أو بدونها وهو ما ذهب إليه الأشموني حيث أنهم "رسموا (أيه) بغير ألف بعد الهاء"⁴، لكن صاحب الإيضاح يرى أنه "لا يجوز أن يقرأ أحد بلغة تخالف المصحف فكل ما في كتاب الله من (أيها) فالوقف عليه بألف عدا ثلاثة منها ما في سورة الرحمن الآية (31)، وكان عبد الله بن عامر

¹ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 208، 209.

² مكّي ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ص 705.

³ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 207.

⁴ الأشموني، منار الهدى، ص 272.

يضمّ الهاء في المواضع الثلاثة، فكان أبو عمرو والكسائي يقفان عليها بالألف، وكان يقول: هذا من عمل كاتب، وكان نافع يقف عليهنّ بغير ألف إتباعاً للكتاب¹.

ث- قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ﴾ الآية (70). والاختلاف فيه حول (خيرات وخيرات) "فقوله (خيرات) هو جمع خيرة، يقال امرأة خيرة: وقرئ بتشديد الياء"²، وهو نفس ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس في قوله: "وحكى الفراء: (خيرات وخيرات): فأما البصريون فقالوا: خيرة بمعنى خيرة فخفف: كما قيل: ميّت وميت"³.

6_ تنوع الصيغة الصرفية بين الجمع والإفراد: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى رَرْفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ﴾ الآية (76). والاختلاف فيه حول (ررف ورفارف)، وكذلك (عبقري وعباقري)، "ف(ررف) في معنى الجمع ولذلك وصف بـ(خضر) وقرئ (رفراف) وكذلك (عبقريّ)"⁴، لكنّ النحاس لم يقف عند هذا الحد؛ بل ذهب إلى التفصيل في الأمر فقال: "(متكئين على ررف خُضِرٍ) فـ(خضر) جمع أخضر، و(ررف) لفظه لفظ واحد، وقد نعت بجمع؛ لأنّه اسم للجمع كما قال: مررت برهط كرام وقوم لثام، وكذا: هذه إبل حسان وغنم صغار. و(عبقريّ) مثله، غير أنّه يجوز أن يكون جمع عبقرية، وقد قرأ عاصم الجحدري (متكئين على ررف خضر وعباقري حسان)، وقد روى بعضهم هذه القراءة عن عاصم الجحدري عن أبي بكره عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسنادها ليس بالصحيح. وزعم أبو عبيد أنّها لو صحّت لكانت (وعباقريّ) بغير إجراء، وزعم أنّه هكذا يجب في العربية، قال أبو جعفر: وهذا غلط بين عند جميع النحويين؛ لأنّهم قد أجمعوا جميعاً أنّه يقال: رجل مدائيّ بالصرف، وإنّما توهم أنّه جمع، وليس في كلام العرب جمع بعد ألفه أربعة أحرف لا إختلاف بينهم أنّك لو جمعت (عبقرا) لقلت (عباقر)، ويجوز على بعد (عباقير)، ويجوز (عباقرة)؛ فأما (عباقري) في الجمع فمُحال، والعلّة في إمتناع جواز (عباقريّ) أنّه لا يخلو من أن يكون منسوباً إلى (عبقر)،

¹ الأنيباري، الإيضاح في علوم القرآن، ص278.

² العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج02، ص252.

³ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج04، ص213.

⁴ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج02، ص252، 253.

فيقال: (عقريّ) أو يكون منسوباً إلى (عباقر) فيردّ إلى الواحد، فيقال أيضاً: (عقريّ) كما شرط النحويون جميعاً في النسب إلى الجمع، أنك تنسب إلى واحدة فتقول في النسب إلى المساجد مسجديّ، وإلى العلوم علميّ، وإلى الفرائض فرضيّ. فإن قال قائل فما يمنع من أن يكون (عباقرا) اسم موضع ثم ينسب إليها كما يقال: معاقرني؟ قيل له: إن كتاب الله جلّ وعزّ لا يحمل على ما لا يُعرف وتترك حجة الإجماع¹.

7_ تنوع الصيغة الصرفية بين فعّال وفاعل: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ الآية (66). والاختلاف فيه حول (نضّاختان) على وزن فعّالتان و(ضّاختان) على وزن فاعلتان، "وقد روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ضّاختان) قال: فياضتان، وقال الضحاك: ممتلئتان، وقال سعيد بن جبير: (نضّاختان) بالماء والفاكهة، قال أبو جعفر: والمعروف في اللغة أنّهما بالماء"².

8_ تنوع الصيغة بين الفاعل والمفعول: ومثالنا في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزَّوْزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَحْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الآية (9). والاختلاف فيه حول (تُحسروا) على صيغة الفاعل، و(تَحسروا) على صيغة المفعول "و(تُحسروا) بضمّ التاء أي ولا تُنقصوا الموزون، وقيل التقدير في الميزان، ويقرأ (تَحسروا) بفتح السين والتاء وماضيه حَسَرَ والأوّل أصح"³.

ب- قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ الآية (24). والاختلاف فيه حول (المنشآت) بصيغة المفعول، و(المنشآت) بصيغة الفاعل. وهو ما ذهب إليه العكبري⁴ "المنشآت) بفتح الشين وهو الوجه، (وفي البحر) متعلق به ويُقرأ بكسرهما: أي تُنشئُ المسير وهو مجاز". وهو

¹ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 213، 214.

² نفسه، ج 04، ص 212.

³ العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج 02، ص 251، وينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 205.

⁴ العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، ج 02، ص 251.

نفس ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس¹ (المنشآت) قراءة أهل المدينة وأبو عمرو، وهي أئين، وقراءة الكوفيين عن الكسائي (وله الجوارى المنشآت) يجعلونها فاعلة، وعن عاصم الجحدري أنه قرأ (المنشآت). ومن هنا يتضح لنا الفرق بين الصيغة المجازية للفاعل والمفعول من خلال ما وجد من خلافات بين الأئمة والعلماء نخص بالذكر منهم: الأشموني، الأنباري، النحاس والداني.

¹ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 207.

الفصل الرابع

الأداء التَّخِيْمِي فِي عُرُوسِ الْقُرْآنِ

المبحث الأول: النغم والتّغيم في سورة الرّحمن

1_ علاقة الوقف بالتّغيم من خلال سورة الرّحمن

2_ دوافد التّغيم في سورة الرّحمن:

أ_ جرس الألفاظ (الصّوتة):

_ جدول إحصائيّة الحروف المكرورة في سورة "الرّحمن" وأهمّ صفاتها

_ دراسة و تحليل الأصوات: الأصوات المجهورة. الأصوات المهموسة، الأصوات
الانطلاقية

_ المنحنيات والأعمدة، تحليلها والتّعليق عليها.

ب_ التّكرار: تكرير الحركات _ تكرير الحروف _ تكرير الكلمة: _ تكرير الجمل

_ فوائد وأغراض التّكرير في سورة الرّحمن : التّأكيد، التّقرير، التّنبية، قصد طول
الكلام، التعظيم والتّهويل، وتعدّد المتعلّق

ت- المقطع الصوتي

ث- المناسبة الصوتية للفاصلة القرآنية : (نغم الفواصل)

_ تعريف الفاصلة - مناسبة الفواصل تحقيقا للتناغم والإيقاع

ج- تنوع البنى الإيقاعية في سورة الرّحمن

المبحث الثاني: وظائف التنخيم في سورة الرحمن

1_ الوظيفة الانفعالية التعبيرية

تنخيم الأمر والنهي، تنخيم الاستفهام، تنخيم التعظيم، تنخيم اليقين، تنخيم الوعيد، تنخيم نداء أمر وتنبية، تنخيم تخويف وترهيب، تنخيم تشجيع وترغيب، تنخيم التعجب

2_ الوظيفة التركيبية

أ_ التنخيم وإزالة اللبس الصرفي

ب_ التنخيم وإزالة اللبس النحوي (الإعرابي): الوصف، العطف، الحال .

3_ الوظيفة الدلالية والبلاغية

المبحث الثالث: أنواع التنخيم في سورة الرحمن: (دراسة تحليلية لصوت الشيخ عبد الرحمن السديس)

1_ التعريف بالشيخ عبد الرحمن السديس

_نشأته ودراسته

_أعماله الدعوية

_مؤلفاته وأبحاثه

2_ تحليل التنخيم في سورة الرحمن وفق أنواعه

3_ جدول توضيحي للتنخيم في سورة الرحمن

المبحث الأول: النغم والتَّغيم في سورة الرَّحْمَن

1- علاقة الوقف بالتَّغيم من خلال سورة الرَّحْمَن:

أُتضح ممَّا سبق ذكره أنَّ التَّغيم عبارة عن تطويل أو تمطيط للأصوات وخاصة المصوَّات الطويلة¹، وهذا ما قد تسمَّيه الدِّراسات القرآنيَّة "بالمُدَّ المعنوي ومدَّ الاستفهام ومدَّ التُّدبة والإنكار..."²؛ لكن إدراك هؤلاء العلماء للعلاقة بين الوقف والتَّغيم بدقَّة كان على يد الجزري الذي تحدَّث عن "أنواع الوقف الذي يحدِّد نمط الجملة، ومن ثمة معناها وتغيمها"³.

أمَّا ما يخصُّ علاقة الوقف بالتَّغيم عند المحدثين، فنلفي أنَّ "سيلكورك أشارت إلى أنَّ حدود المركِّبات التَّغيمية كثيرًا ما تتطابق مع الوقوف الحقيقيَّة التي تمثِّل في نظريَّتها بوصفها مواقع صامتة من المدرج العروضي"⁴، حيث أنَّ الجملة في هذه التَّظرية قد تتشكِّل من مركِّب تنغيميٍّ أو ما يزيد، إذ "إنَّ لكلِّ مركِّب تنغيميٍّ نطاقًا يتكوَّن من وحدات نغميَّة مميَّزة صوتيًّا"⁵. ومن هنا لا يمكننا تصوُّر وقف ما في مكان ما دون ملازمة لتصويت تنغيمي ما. لذا فإنَّ الوقف عند القراء ينتج بحسب الحازمي "التَّغمة المنحدرة في أغلب الأحيان؛ بينما تنشأ عن السَّكت التَّغمة المستوية"⁶. وهنا يتَّضح الفرق بينهما.

أكَّد الظَّاهرة أحمد البايي، حيث عرض "أنَّ المركِّبات التَّغيمية ملازمة ومصاحبة لاختلافات الوقوف ومن ثمَّ تحديد دلالة الجملة"⁷، والأمثلة على ذلك كثيرة في سورة الرَّحْمَن فنسوق منها

¹ أحمد البايي، القضايا النظرية في القراءات القرآنية، ج 02، ص 299.

² ينظر: نفسه، ج 02، ص 300.

³ هایل محمد طالب، ظاهرة التَّغيم في التَّراث العربي، مجلَّة التَّراث العربي، جامعة البعث سورية، العدد 91، 2010م، ص 88.

⁴ Selkirk, EO phonology and syntax. The relation between sound and structure(1984) p:28.29

⁵ الصَّالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط 19، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1996م، ص 285.

⁶ عليان بن محمد الحازمي، التَّغيم في التَّراث العربي، عن الموقع الإلكتروني: mag23f19htm.,shariravag,majalat. ww494.edu.sa

⁷ أحمد البايي، القضايا النظرية في القراءات القرآنية، ج 01، ص 356.

قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية (33). فقلد ذكر كلّ الأئمة من "الأشعري والأنباري والنحاس والداني أنّه هناك وقف تامّ على (فانفذوا)، وآخر كافٍ على (سلطان)"¹؛ وهو ما يقتضي أن يُضيف الوقف مركبات تنغيميّة جديدة وهي كالآتي:

01- "يامعشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان"

مركّب تنغيميّ واحد ككلّ

02- "يامعشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا".

مركّب تنغيميّ 01

"لا تنفذون إلاّ بسلطان".

مركّب تنغيميّ 02

انطلاقاً من علاقة الوقف بالتّغيم عند القرّاء وأهل الصوتيّات، لا يمكننا إغفال دور النّحاة في هذا الرّواق وعلى رأسهم ابن جنّي الذي أدركه بمعناه المعاصر، حيث نلفيه إستخدام مصطلحات "التّطويح، التّطريح، التّفخيم ومطّ الصّوت... إلخ، وهي لا تخرج عن كونها وسائل تنغيميّة تساعد على فهم المعنى في السّياق"². والدّلالة اللفظيّة عنده هي ما يُعرف حالياً بدلالة الصّوت، فهي في نظره من أقوى أنواع الدّلالات. وقد أفرد لها باباً (في الدّلالة اللفظيّة والصّناعة المعنويّة) قال فيه: "فاعلم أنّ كلّ واحد من هذه الدّلائل معتمد مراعى مؤثّر، إلاّ أنّها في القوّة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواها الدّلالة اللفظيّة، ثمّ تليها الصّناعيّة ثمّ تليها المعنويّة"³؛ لكن هذه الدّلالة وحدها

¹ ينظر: مبحث سابق في البحث (اختلاف مواضع وأنواع الوقوف في سورة الرّحمن).

² هايل محمد طالب، ظاهرة التّغيم في التراث العربي، ص 91.

³ ابن جنّي، الخصائص، ج 03، ص 98.

وحدها غير كافية للوصول إلى المقصد في القرآن الكريم، بل هناك جانب آخر مهمّ ألا وهو حال المتكلّم، فهناك "كثير من التّصوص التي يختلف فيها العلماء لورودها مجردة من الإشارة إلى لهجة المتكلّم أو حاله، تَرِدُ الجملة عند العرب؛ فيجعلها بعضهم تقريراً وبعضهم إستفهاماً حُدِفَتْ أداته، وبعضهم إستفهاماً أريد به الإنكار والتّهكّم... إلخ. و لو ورد مع النصّ حال المتكلّم لانقطع الخلاف"¹، وما لاحظته ابن جني على دقته هو أنّه لا وسيلة عند تضامّ الإستفهام مع التعجّب، وإستحالته إلى الخبر سوى الوسيلة التّغيميّة، ومن ذلك مثلاً "نقل تنعيم الجملة من معنى الإستفهام إلى معنى التّفني، وهو ما نستخدمه كثيرا في لغتنا المعاصرة فنقول مثلاً: كيف تُعادي أباك؟! بلفظ الإستفهام ونحن نريد التعجّب والإنكار، وهو ما يؤدّيه تنعيم الجملة"²، ومثالنا في سورة الرّحمن واضح من خلال قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآية (13)، فهو إستفهام تكرر (31) مرّة، لكنّ الغرض منه تنعيم الإنكار وليس الإستفسار.

2-روافد التّغيم في سورة الرّحمن:

تتعدّ أنواع الموسيقى في القرآن الكريم اعتماداً على العديد من القرائن المشعّة أينما حلّت وصولاً إلى الدّلالة، "فتحسّس التّغيم في القرآن في كلّ مشهد وقصّة، وفي كلّ مطلع وختام، فأسلوبه إيقاعيّ غنيّ بالموسيقى، مليء بالتّغيم المنحدر من الحركة، ومن الحروف، ومن اللفظ المفرد ومن التّركيب؛ فتلقّي كلّ آي ظلالها يجرسها وينغمها. حتّى لَنَكَاذُ عند قراءته أو تلاوته نسمع أصوات الأحداث غير المسموعة، ونرى المشاهد غير المنظورة"³، لكنّ هذا لا يعني سهولة الخوض في كلّ روافد التّغيم في سورة الرّحمن بل حاولنا جاهدين الوصول إلى أهمّها:

أ- جرس الألفاظ (الصّواتة):

¹ سعيد الأفغاني، في أصول التّحو، دط، منشورات جامعة البعث، 1991م، ص 93، 94.

² هايل محمّد طالب، ظاهرة التّغيم في التراث العربي، ص 93.

³ صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983م، ص 334.

مما لاشكّ فيه أنّ الصّوت المترّم به هو الجرس ذاته الذي يقوم على الأصوات وتواليها، فهي تتسم بالتّغميّة، فكلّ من الصّوت والدّلالة هما وجهان لعملة واحدة ألاً وهي اللفظ، لذلك نجد جرسه يقوم على الأصوات بمخارجها وصفاتها تتويجا للدّلالة المرجوة فيرى ابن جنّي أنّه لكلّ صوت جرس خاصّ به حسب مخرجه فيقول: "اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج من النّفس مُستطيلاً متّصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته... ألاً ترى أنّك تبتدئ الصّوت من أقصى حلقك ثمّ تبلغ به أيّ المقاطع شئتَ، فتجد له جرساً ما"¹، ومن هنا نلمس استخدام ابن جنّي للصفات السّميّة في عرضه لخصائص الصّوت ومدارجه وفق مقاطع (مخارج) مختلفة، لذا فإنّ اعتدال نسق الكلام وحسن وقعه على السّمع والنّفس يقوم على متواليات صوتيّة لا يستطيع العقل ضبطها وحسابها نظراً لشدّة تنوعها وغنائها، بل مردّ الأمر كلّه إلى الغريزة* التي تشمل كلّ من العقل والحسّ والبديهة وفق ما يؤكّده الفلاسفة المسلمون القدامى؛ فهناك طريقتان لقياس علاقة الصّوت بالدّلالة منها ما هو أفقي(سطحي)، ومنها ما هو عمودي(عميق) اعتمدها في بحثنا. إذ عمدنا على المتاليات الصوتيّة: وفيها تنابع مخارج الحروف وصفاتها (قانون إقتران الحروف)، وكذلك المتناظرات الصوتيّة: وهي التّوازنات والتّناظرات بين الحروف والكلمات والجمل وصولاً إلى التّكامل الدّلالي بين العقل والحسّ.

علينا أن نقرّ بخصوصيّة الصّوت العربي، فالمتّبع لكلم اللّغة العربيّة والمتأمّل في معانيها يجد في غالب الأمر تطابقاً بين الأصوات والمعنى المؤدّي؛ لذا وقع اختيارنا على القرآن الكريم (كلام الله المعجز بصوت عربيّ) وبالضبط لسورة (الرّحمن) ذات النّظم الفريد، فأبرز ما فيه هو التّكرار لآية من آياتها (الكَمّ الصّوتي) الذي جاوز كلّ ما جاء في القرآن من تكرار، إضافة إلى كونها عروس القرآن. ومنها نتلقى رحمت الرّحمن لأنّها كلّها معارض لنعم الله على عباده، فمن وقف بين يديها فكأنّما هو في مشهد عرس بهيج. لذا ارتأينا إحصاء ما فيها من ظواهر صوتيّة ضمن جدولتها:

¹ ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج 01، تحقيق: حسن هندواي، ط01، دار العلم، دمشق، 1985م، ص 06.

* الغريزة هنا وعي خاصّ يتوسط عدّة مدارك أهمها الحسّ والعقل وليست الجانب الحيواني في النّفس البشريّة.

الأداء التخميني في عروس القرآن

الفصل الرابع:

- جدول إحصائية الحروف المكرورة في سورة "الرَّحْمَن" وأهم صفاتها:

| الحرف الآية | ء | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | ه | و | ي |
|----------------|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | 1 | - | - | - |
| 2 | 1 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 2 | 1 | 1 | - | - | - |
| 3 | 2 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | 2 | - | 2 | - | - | |
| 4 | 1 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | 2 | 1 | 1 | 1 | - | 1 | |
| 5 | 2 | 1 | - | - | - | - | 1 | - | - | - | 1 | - | 2 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | 2 | 2 | 1 | - | 1 | |
| 6 | 2 | 1 | - | - | - | 3 | - | - | - | 1 | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 2 | 1 | 2 | - | 2 | 1 | |
| 7 | 3 | 3 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | 1 | - | - | 1 | - | - | 2 | - | 1 | - | 2 | 2 | 2 | 1 | 1 | 3 | |
| 8 | 2 | 2 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | - | 1 | 1 | - | 2 | 2 | 1 | - | 1 | 2 | |
| 9 | 4 | 2 | 1 | 1 | - | - | - | 1 | - | - | 1 | 2 | 2 | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 2 | 4 | 2 | 2 | 2 | - | 5 | |
| 10 | 3 | 2 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 2 | - | - | - | 1 | - | - | 3 | 1 | 1 | 1 | 1 | - | |
| 11 | 3 | 4 | - | - | - | - | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 2 | 2 | 3 | 2 | 2 | 1 | 1 | 2 | |
| 12 | 3 | 1 | - | - | - | 2 | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | 1 | - | - | - | 1 | - | 1 | - | 3 | - | - | 1 | - | 3 | |
| 13 | 2 | 4 | 3 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 2 | 1 | 1 | 1 | 1 | - | - | |
| 14 | 2 | 3 | - | - | - | - | - | 2 | - | 1 | - | 1 | - | 1 | - | 2 | - | - | - | - | - | 1 | 1 | 5 | 1 | 3 | - | - | |
| 15 | 1 | 3 | - | - | - | - | 1 | - | - | - | 2 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 2 | 3 | 2 | 4 | - | 1 | |
| 16 | 2 | 4 | 3 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 2 | 1 | 1 | 1 | 1 | - | - | |

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----|
| 2 | 1 | - | 2 | 2 | 2 | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | - | 4 | - | - | - | - | - | - | 3 | - | 2 | 17 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----|

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----|----|----|
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 18 | | |
| 3 | - | - | 2 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | 2 | - | - | - | 1 | 1 | - | 1 | 1 | 1 | 1 | 19 | | |
| 3 | - | 1 | 2 | 1 | 1 | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | 1 | - | - | - | - | 3 | 3 | - | 20 | |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 21 | | |
| 1 | 1 | 1 | 2 | 3 | 4 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 2 | - | - | 1 | - | 2 | - | - | - | 2 | 4 | 22 | | |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 23 | | |
| 1 | 2 | 1 | 1 | 2 | 6 | 1 | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | 1 | - | - | 2 | - | - | - | 1 | 1 | - | 1 | 1 | 3 | 5 | 24 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 25 | | |
| 1 | - | 1 | 2 | 1 | 2 | 1 | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 2 | - | 26 | |
| 1 | 4 | 1 | - | 1 | 4 | 2 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | 2 | 1 | - | - | - | 2 | - | - | 2 | 3 | 3 | 27 | | |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 28 | | |
| 4 | 4 | 2 | 2 | 3 | 4 | 1 | - | 2 | - | - | - | - | 1 | - | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | 1 | 5 | 29 | |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 30 | |
| 1 | | 1 | 2 | 1 | 3 | 1 | 1 | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | - | 2 | 2 | 31 | |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 32 | | |
| 1 | 6 | - | 1 | 4 | 7 | - | 1 | 3 | - | 2 | - | 3 | 1 | - | 1 | 4 | - | 3 | 3 | - | - | - | 1 | - | 5 | 1 | 6 | 12 | 33 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 34 | | |

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|----|
| 2 | 2 | - | 5 | 2 | 3 | 1 | - | 1 | - | 1 | 1 | - | - | 1 | 1 | 2 | - | 3 | - | - | - | 1 | - | - | 2 | - | 6 | - | 35 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 36 |
| - | 1 | 1 | 3 | 1 | 2 | 2 | 1 | 2 | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | 1 | 1 | 2 | - | - | - | - | 3 | - | 4 | 5 | 37 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 38 |
| 2 | 2 | 1 | 4 | 1 | 3 | - | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | - | 2 | - | - | 2 | - | - | - | 1 | - | - | 1 | 3 | 3 | 39 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 40 |
| 4 | 3 | 1 | 2 | 5 | 3 | - | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | 1 | 1 | - | - | 2 | 1 | 1 | 1 | - | 1 | - | - | 2 | 3 | 5 | 41 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 42 |
| 2 | 1 | 4 | 2 | 3 | 2 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 2 | - | - | - | 2 | - | 1 | 2 | 1 | 2 | 43 |
| 4 | 3 | 1 | 4 | 2 | - | - | - | 1 | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | 2 | 2 | 1 | 44 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 45 |
| - | 1 | 1 | 3 | 3 | 1 | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | 1 | - | 1 | - | 1 | 1 | 3 | - | 46 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 47 |
| - | 1 | - | 2 | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | 3 | 1 | 48 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 49 |
| 3 | - | 1 | 3 | 1 | - | - | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 1 | - | 1 | - | 3 | - | 50 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 51 |
| 1 | 1 | 2 | 2 | 2 | 1 | 2 | - | 2 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | 1 | - | 3 | - | 52 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 53 |

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|-----------|
| 2 | 1 | 1 | 7 | 2 | 2 | 1 | 1 | 1 | - | 1 | - | 1 | - | - | 1 | 1 | - | 2 | - | 1 | - | - | 2 | - | 3 | 2 | 5 | 4 | 54 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 55 |
| 2 | 1 | 3 | 4 | - | 4 | - | 2 | 2 | - | - | - | 2 | - | 1 | - | 1 | - | 2 | - | - | - | - | 1 | 1 | 1 | 1 | 4 | 2 | 56 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 57 |
| 1 | 2 | 1 | 3 | 1 | 2 | 1 | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 1 | - | 1 | - | 2 | - | 58 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 59 |
| - | - | 1 | 2 | - | 4 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 2 | 1 | - | - | - | - | 2 | 1 | - | - | - | 4 | 6 | 60 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 61 |
| - | 2 | 1 | 4 | 2 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | 1 | - | 1 | - | 2 | - | 62 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 63 |
| - | - | 1 | 1 | 2 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 1 | - | 2 | - | 64 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 65 |
| 2 | - | 1 | 4 | 1 | - | - | - | 1 | - | 1 | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | 1 | - | 4 | - | 66 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 67 |
| 1 | 2 | 2 | 2 | 2 | 1 | 1 | - | 2 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | 1 | - | - | - | 1 | - | 3 | - | 68 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 69 |
| 2 | - | 1 | 2 | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | 1 | - | - | 1 | 1 | - | - | 1 | - | 2 | - | 70 |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 71 |
| 2 | 2 | - | - | 2 | 1 | - | 1 | 1 | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | 2 | - | - | 1 | 1 | - | - | 1 | - | 2 | 1 | 72 |

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|----------------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|-------|---------------|-------|-------|----------------|-------|----------------|-------|---------------------|--|--|
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | 1 | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 73 | | | | | | | | | | |
| 1 | 1 | 2 | 3 | 3 | 3 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 1 | 1 | - | 1 | 2 | 1 | 74 | | | | | | | | | |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 75 | | | | | | | | | | |
| 2 | 1 | - | 2 | 1 | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 2 | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 1 | 1 | 1 | 1 | 2 | 1 | 76 | | | | | | | | | |
| 1 | - | - | 1 | 1 | 1 | 2 | - | 1 | - | - | - | - | - | - | 1 | 1 | - | - | - | - | 1 | 3 | 4 | 2 | 77 | | | | | | | | | | |
| 1 | 1 | - | - | 2 | 4 | 3 | - | - | - | - | - | - | - | - | 1 | - | - | - | - | 1 | 1 | 2 | 3 | 4 | 78 | عدد الحروف | | | | | | | | | |
| | | | | 05.63 | 03.98 | 02.38 | 08.69 | 06.42 | 08.45 | 05.14 | 01.34 | 04.10 | 00.24 | 01.10 | 00.06 | 00.61 | 00.42 | 00.42 | 00.61 | 01.71 | 00.42 | 05.20 | 02.75 | 00.42 | 00.91 | 00.79 | 01.65 | 00.18 | 04.04 | 07.59 | 14.69 | 07.71 | نسبة حضور الحروف | | |
| هوئية | جهر | همس | جهر | جهر | جهر | همس | جهر | همس | جهر | جهر | جهر | همس | جهر | جهر | همس | همس | همس | جهر | جهر | همس | جهر | همس | همس | جهر | همس | همس | جهر | همس | همس | جهر | صفات الحروف | | | | |
| مخرج الحروف | هوئية | هوئية | حلقية | ذلقية | شفوية | ذلقية | لهوية | لهوية | شفوية | حلقية | حلقية | لثوية | نطعية | شجرية | أسلية | شجرية | أسلية | أسلية | ذلقية | لثوية | نطعية | حلقية | حلقية | شجرية | لثوية | نطعية | شفوية | هوئية | مخرج الحروف | | | | | | |

-دراسة و تحليل الأصوات:

1_الأصوات المجهورة: ورد هذا الصّنف من الأصوات متماشياً والموضوع العام للسّورة الكريمة، فقد سيطرت هذه الصفة على (79.72%) من السّورة الكريمة منها (32.01%) انطلاقيّة هوائية. وسنركّز فقط على أكثرها شيوعاً وأهمّها:

التّون: صوت مجهور"مائع فيه من صلابة الالتصاق ورخاوة تسرّب الهواء"¹، فهو مقيد للغنة كونه لا تظا بالتّخيم و"تكون فيها الغنة متى كانت من الأنف"²، ومع أنّ هذا الصّوت يوحى لنا بالألم وكثرة الأنين إلاّ أنّه يحمل معه في جنباته نوعاً من (الأناقة) كذلك، فيقول عبد الصّبور³ عنه:"التّون تدلّ على البطون في الشّيء، وعلى تمكّن المعنى تمكّنا تظهر أعراضه". وهذا ما يظهر من خلال رصدنا للآيات الكريمة؛ إذ أنّنا نجد الكلمات التي تحمل صوت التّون تدلّ على عمق باطن الكون بكلّ ما يحمل، فنجده تردّد (142) مرّة في السّورة بنسبة (08.69%)، وأهمّ الآيات التي ورد فيها بكثرة تحمل في طياتها هذا البطون والعمق مثل قوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية (33)، وقوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الآية(54) .

اللّام: هو الآخر صوت مجهور مائع يحمل من الشدّة التصاق اللسان بأصول الثّانيا التصاقاً محكماً ومن الرّخاوة تسرّب للهواء عبر جنباته لعلّ هذا ما جعل عبد الصّبور شاهين يرى أنّه يدلّ على

¹ الطّيب دبه ، مبادئ اللّسانيات البنيويّة ، ص 170 ، 173

² حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق: محمّد حبيب خوجة ، ط03، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986م ، ص 192.

³ عبد الصّبور شاهين، في التّطور اللّغوي ، ط02 ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ، لبنان، 1405 هـ ، 1985 م، ص 102.

"الانطباع بالشّيء بعد تكلفه"¹. ممّا يوحي بالتّماسك في الشّكل الذي يتّخذهُ اللّسان مع صوت اللّام وهو "ما يوحي بالثقل في استطالته وما يدلّ على طول وعمق الألم"². كما أنّ صوته هو أصلاً من أكثر الأصوات تداولاً في كلامنا العربي، فمن خلال استقراء القرآن الكريم وبعض معاجم اللّغة العربية تبين أنّ اللّام وردت في القرآن الكريم (33022) مرّة³.

فاللّام في عروس القرآن مرّدّة بكثرة مقدّر —(138) مرّة بنسبة تفوق (08.45%)، وهذا ما يوحي باستطالة وعمق وصعوبة بلوغ ثواب الله عزّ وجلّ، و نيل الأجر العظيم. حيث نرى صوت اللّام مرّدداً في بعض الآيات حوالي (07) مرّات. سواء أكان للتعريف أم أصلاً في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٢٣﴾﴾ الآية (33). وقوله تعالى: ﴿وَأَلْهَى الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالَّذِي قَالَ ﴿٢٤﴾﴾ الآية (24).

الباء: لقد ورد حرف الباء بنسبة معتبرة تعدّت (124) مرّة ما يقارب (07.59%)، وهو "صوت شفويّ مجهور انفجاريّ شديد"⁴؛ فنكرار هذا الصّوت مهمّ لوقوع النصّ القرآني على النّفس البشريّة، وأهمّ خصائصه "السّعة والانبساط"⁵، ممّا يؤكّد على سعة النّفس والصّدور الرّحب الذي يتحمّل المصاعب والآلام، فهو الله الشديد شدّة الحرف على النّفس المكذّبة بنعمه، والباسط بساطة الرّزق. وهذا ما نلمسه في أهمّ الآيات التي ورد فيها ونذكر على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ

¹ عبد الصّبور شاهين، في التطوّر اللّغوي، ص 101.

² أمينة طيبي، نظريّة الفونيم والنصّ الشعري — دراسة تطبيقية، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة سيدي بلعباس مكتبة الرّشاد للطباعة والتوزيع، العدد 02، 2002م، 2003م، ص 08.

³ رابع بوحوش: البنية لبردة البصري، دط، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1993م، ص 59.

⁴ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغويّة، ص 156.

⁵ مصطفى مندور، اللّغة بين العقل والمغامرة، دط، منشأة المعارف، الإسكندريّة، مصر، 1974م، ص 120.

ءَآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ الآية (25). وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الآية (27).

الميم: صوت مجهور "يخرج الهواء أثناء النطق به من الأنف"¹، لذلك فهو "صوت خيشومي" به غنة يدلّ على "الانجماع"³، أي على التماسك والضمّ كضمّ الشفتين أثناء النطق به، وعلى المرونة والليونة وقد توحى كذلك إلى "القطع والاستئصال والكسر"⁴. فكان كلام الله عزّ وجلّ جامعاً للنعم، مانعاً وقاطعاً وفاصلاً وحاسماً في حكمه على من كذّب بنعمه، فورد صوت الميم بنسبة معتبرة جدّاً في السّورة الكريمة ممّا يؤكد ما سبق ذكره إذ نلفيه ورد (105) مرّة، بنسبة (06.42%)، وأهمّ الآيات التي كرّرت فيها هي قوله تعالى: ﴿يَمَعَثِرَ الحِجْنَ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا^٥ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿١٣﴾ الآية (33). وقوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ الآية (41).

2- الأصوات المهموسة: وردت هذه الأصوات متفاوتة لم تسيطر إلّا على (20.28%) من عروس القرآن وأهمّها:

الكاف: صوت انفجاري مهموس يدلّ على أنّه "الذي ينتج عن الشّيء في احتكاك"⁵، فهو على على هذا يوحى بالقوّة المؤثّرة والفعاليّة، والآية اللاحقة لأكبر دليل على الاحتكاك "وإذا لُفِظ بصوت عالي التّبرة وشيء من التّفخيم والتّجويف، يوحى بالضّخامة والإمتلاء والتّجميع"⁶، وهذا ما نجده

¹ عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغويّة ، ص 156 .

² ينظر ، تامر سلوم ، نظرية اللّغة والجمال في التّفد الأدبي ، ص 19 ، 20 .

³ عبد الصّبور شاهين، في التطوّر اللّغوي ، ص 102.

⁴ مصطفى مندور ، اللّغة بين العقل والمغامرة ، ص 118.

⁵ عبد الصّبور شاهين ، في التطوّر اللّغوي ، ص 102.

⁶ حسن عبّاس ، خصائص الحروف العربيّة ، د ط ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1998م، ص 68.

مجسّداً في الآية الثانية؛ فالكاف ورد بنسبة أعلى بكثير مقارنة بغيره من المهموسة وذلك حوالي (84) مرّة بمعدل (05.14%)، ونسوق على سبيل التَّمثِيل الآيات الآتية:

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآية (25)، وقوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ أَصْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الآية (78).

الفاء: هو الآخر صوت "مهموس شفويّ أسناني" ¹، يصاحبه إهتزاز في الوترين الصّوتيين، يُعتبر "من الأصوات الساكنة التي فيها ينحبس الهواء انحباساً تاماً إلى غاية طلق عنانه" ². إذ ينحبس بانغلاق وتطابق الأسنان بالشفاه، ويصدر بعد فكهما وانفصالهما، ويوحي هذا الصّوت غالباً بـ (نوع من التفشّي)، وهو الملموس من خلال الآيات اللاحقة في السّورة الكريمة.

فنجد الفاء وردت حوالي (67) مرّة بمعدّل (01.10%)، منها ما هو أصلي مثل: تنفذ، فاكهة، فخر... إلخ، ومنها ما كان متصلاً استفتاحياً ابتدائياً أو للعطف مثل: فبأي... حتى تومئ بنوع من الوعيد، وتسلسل الأحداث وتتابعها؛ بل وترابطها وأهم الآيات الواردة فيها: قوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُدُوا لَا تَنْفُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية (33)، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكِيهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ الآية (11)، وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآية (25).

التاء: صوت مهموس، لكنّه انفجاريّ يوحي بالاستمرار (أي استمرار العمل وعدم انقطاعه)، ويرى عبد الصّبور شاهين أنّ التاء تدلّ على "الاضطراب في الطّبيعة، أو الملابس للطّبيعة في غير ما يكون شديداً" ³، فهو مرّة يوحي بالضعف والرقّة كفاكهة، سموات... إلخ، ومرّة بالقساوة والاضطراب مثل: تكذبان، تخسروا... إلخ. علماً بأنّ هذا الأخير ورد بتاء تأنيث ساكنة في بعض

¹ حسني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني، ط01، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1998، ص 20.

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 26، 27.

³ عبد الصّبور شاهين، في التطوّر اللغوي، ص 102.

المواقع سكون الكون وضعيفة ضعف الإنسان أمام الرحمن، فبالنسبة لهذا الحرف ورد ضئيلاً لم يتجاوز (66) مرة ما يعادل (04.04%) في السّورة، وهذه أهم الآيات التي وردت فيها التاء: قال الله تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾ الآية (33)، وقال عز وجل: ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ الآية (54). وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ الآية (37).

فالتاء كانت للتأنيث ساكنة، وهذا بالنسبة للقاعدة النحويّة. أمّا القاعدة البلاغيّة فهي ليست مرتبطة دوماً بالأنثى؛ بل تكون عندما يكون العمل يحتمل المشاركة بين الذّكر والأنثى، أي أن هناك قاسماً مشتركاً بينهما مثل: إنشقت...، لكن عندما يكون الفعل خاصاً بالإناث فقط، لا داعي لإضافة تاء التأنيث الساكنة مثل أن تقول: امرأة حامل - امرأة مرضع؛ لأنّ الحمل والرّضاعة مرتبطان بالإناث وحدهنّ دون الذّكور.

الهاء: صوت مهموس رخو ومستفلّ من أقصى الحلق، فهو هواء مسترسل متصاعد لا يعترضه أيّ حاجز في أيّ نقطة من الجهاز الصّوتي، ويتلاشى بسرعة و"يدلّ على التلاشي"¹، وعبر عنه الخليل بالتهووع، فهو "الأنسب للتعبير عن الآهات والتنهيدات المتكرّرة الطويلة"². وكان الله عزّ وجلّ ينكر على من يكذب بنعمه بإستفهام إنكاريّ من خلال هذا الصّوت. فلم يكتر منه سواء أكان أصلاً في الكلمة مثل: (مدهمتان) أو ضميراً مثل: (عليها)، فنلبي الهاء وردت (39) مرّة بمعدل (02.38%) أغلبها أصليّة، وأهم الآيات التي وردت فيها الهاء قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ الآية (43)، وقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ الآية (56).

¹ عبد الصّبور شاهين، في التطوّر اللّغوي، ص 101.

² أمينة طيبي، نظريّة الفونيم والنصّ الشعري - دراسة تطبيقية، ص 09.

3- الأصوات الانطلاقية: الأصوات الانطلاقية هي أصوات اللين أو "حروف اللين كما يسميها النحاة القدامى"¹، وهي أصوات مجهورة. كلها تسمى بالانطلاقية الصائتة أو "الهوائية"²؛ لأنّ الهواء لا يعترضه أيّ حاجز أثناء النطق بها وقد وردت بشكل مكثّف في السّورة لما "لها من وقع و صدی، كونها تمتاز بالوضوح، لذلك تشدّ إنتباه المستمع إليها"³.

الألف: الألف صوت انطلاقيّ مجهور لا يكون إلّا صائتاً، وقد ورد (402) مرّة بجوالي (22.40%) مُكْتَسِحاً المساحة الكبرى في السّورة القرآنيّة، فلا نجد له وروداً في أيّ آية من الآيات أقلّ من مرتين في الآية الواحدة، ومن خصائصه لفت إنتباه المستمع إلى كلام المرسل (الله عزّ وجلّ)، وكأنّه تحذير وتنبية على أمر معيّن. هذا عند البداية والارتكاز مثل: (فبأيّ، ألاّ، أرض، أنام... إلخ)، كما أنّه يساعد في مدّ الفترة الزّمنية في المدود؛ لأنّها في الأصل ما هي إلّا "إشباع في كمّية الهواء الصّادر بالنّسبة للفتحة"⁴، الأمر الذي أضفى على السّورة الكريمة مسحة جماليّة مثل: (يا، أقطار، لا، نار... إلخ) فنراه واردا بكثرة على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْجُرُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَفْجُرُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية (33). وقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئٌ مِنْ نَارٍ وَخُاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ الآية (35). وقوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ الآية (41). وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الآية (60).

الياء: صامت مجهور، يرد هو الآخر في صورة صائت والملاحظ ههنا أنّه ورد بصورتيه أكثر من الواو حيث نراها صامته مثل: (يلتقيان، ريحان، بحرین، يرسل) وصائته مثل: (سيماهم، متكئين)، فنسبة حضور الأخيرة ناقصة على غرار سابقتها فهي واردا (92) مرّة ما يعادل (5.63%)، إذ نجد

¹ حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص 46، 47.

² نفسه، ص 46.

³ أمينة طيبي، نظرية الفونيم والنصّ الشعري - دراسة تطبيقية، ص 13.

⁴ نفسه، ص 13.

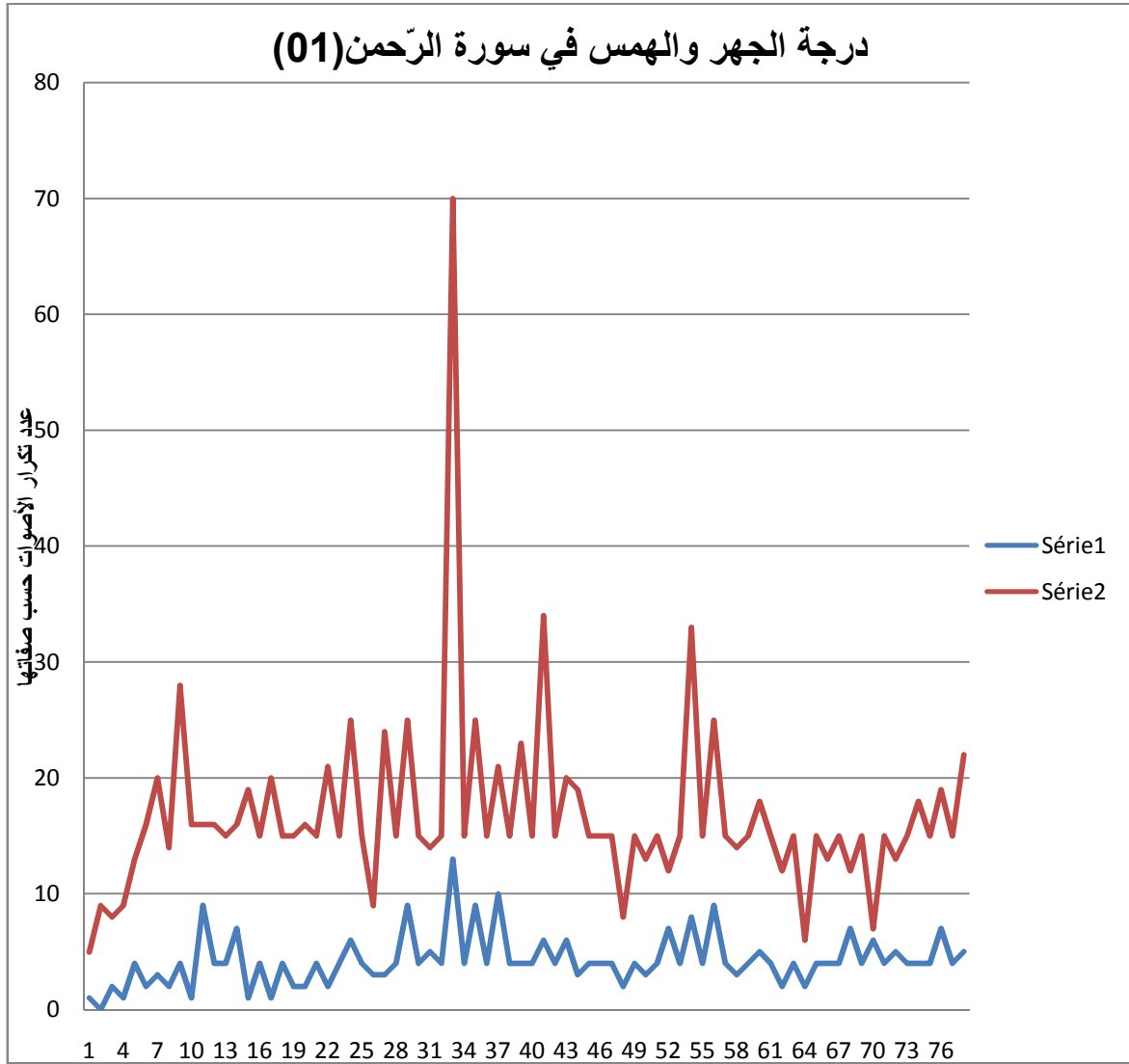
دالاً على "الانفعال المؤثر في البواطن"¹، أي: كلما خُفي فكان أعظم لا مجال للخوض فيه، ولا الحديث عنه بمجد، وأهم الآيات الواردة فيها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الآية 29)، وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَإِنْ﴾ (الآية 44).

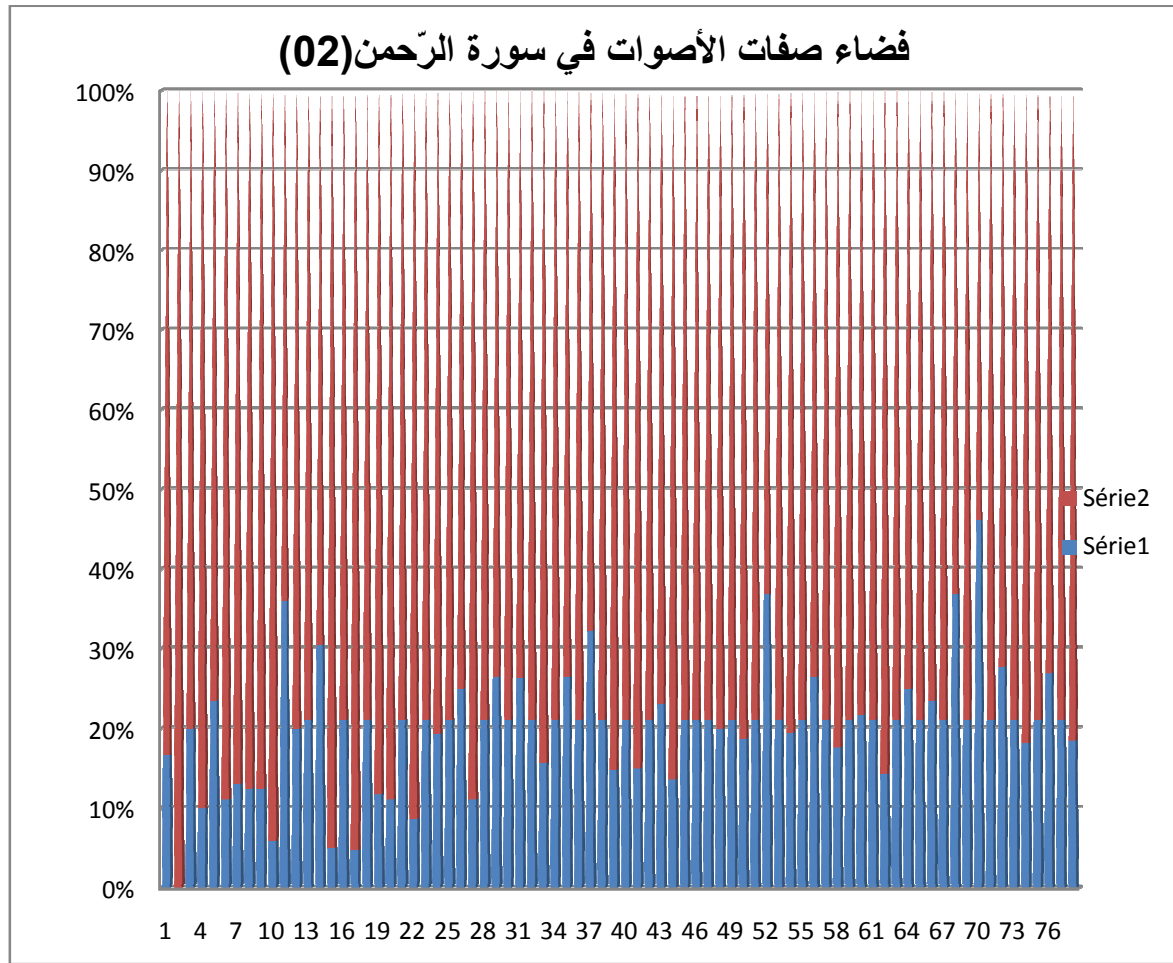
الواو: صائت مجهور وقد يكون صامتاً أيضاً في حالات معينة، وقد ورد بصورتيه الصائتة والصامتة في السورة دالاً على الانفعال المؤثر في الظواهر²، تماشياً مع الحركة التي تحدث أثناء النطق به؛ أي ارتفاع مؤخره اللسان ناحية الحنك اللين، مع استدارة الشفتين وهي حركة عضوية ظاهرة كالأشجان الموجودة بداخل الإنسان والتي تؤثر فيه، فترسم معاملها على وجه صاحبها. وقد ورد في غالب الآيات إلا أنه: ورد صامتاً يعتمد على بعض أدوات الربط في غالبه مثل (ولا، سموات، وجه... إلخ). أمّا صائتاً معتبراً جداً مثل: (تخسروا، تنفذوا، أقيموا... إلخ). فالواو ورد (65) مرة بمعدل (03.98%) منها (02.33%) صامتاً و(1.65%) صائتاً، وأهم الآيات التي تكرّر فيها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الآية 09). وقوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ (الآية 33). وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الآية 27).

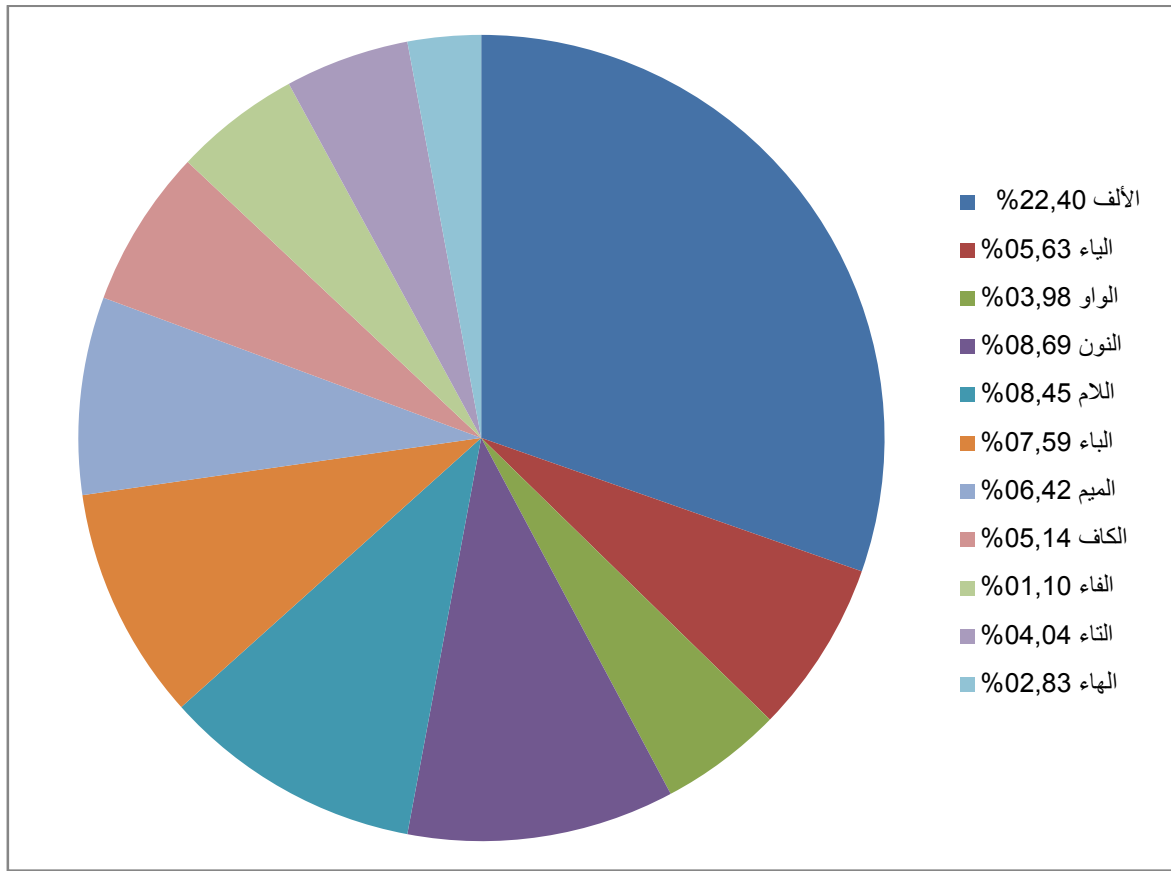
هكذا نرى كيف أنّ الله عزّ وجلّ اصطفى من الكلمات ما أوقعت أصواتها تفاعلاً يُوحى بجملة آله تارة، وصدود وانفعال وهمّة تارة أخرى، إذ أنّه أكثر من الأصوات المجهورة الانطلاقية لنصاعتها ووضوحها قصد إعطاء قيم تمييزية وتوضيحية، وتنبيه الغافل والمكذب لما يمكن أن يقع له إقتراناً بجرسيّة الأصوات ووقعها على أذن المرسل إليه، وصولاً إلى قلبه.

¹ عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، 103.

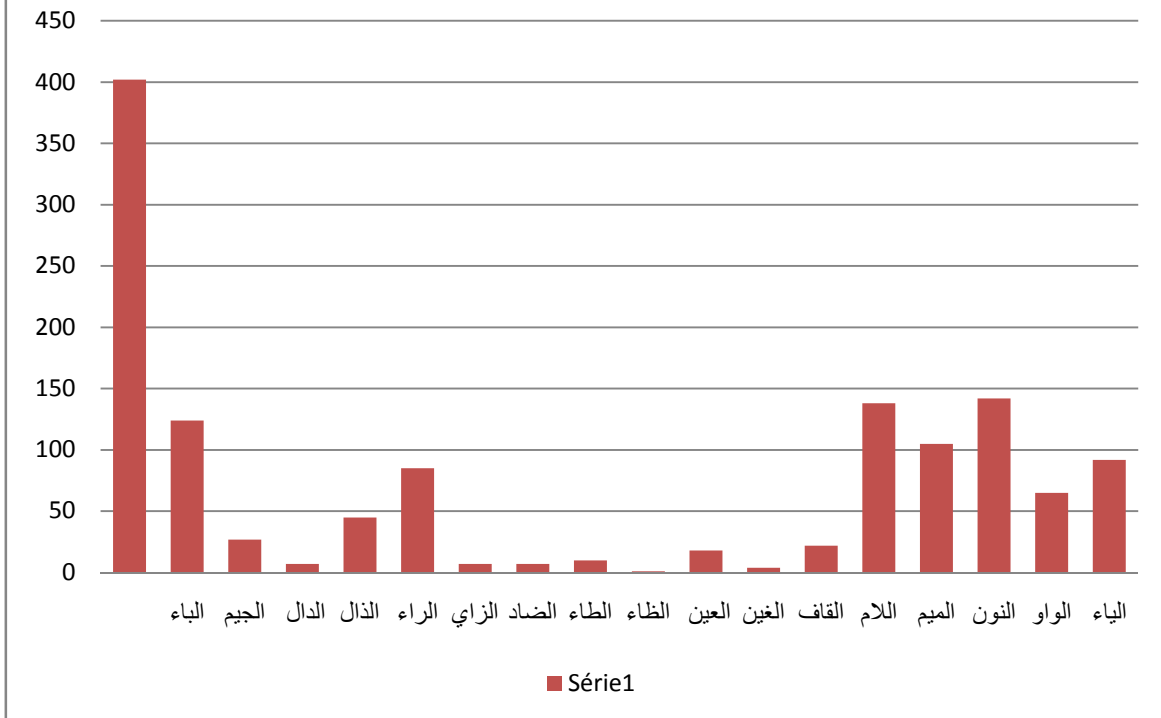
² نفسه، ص 103.

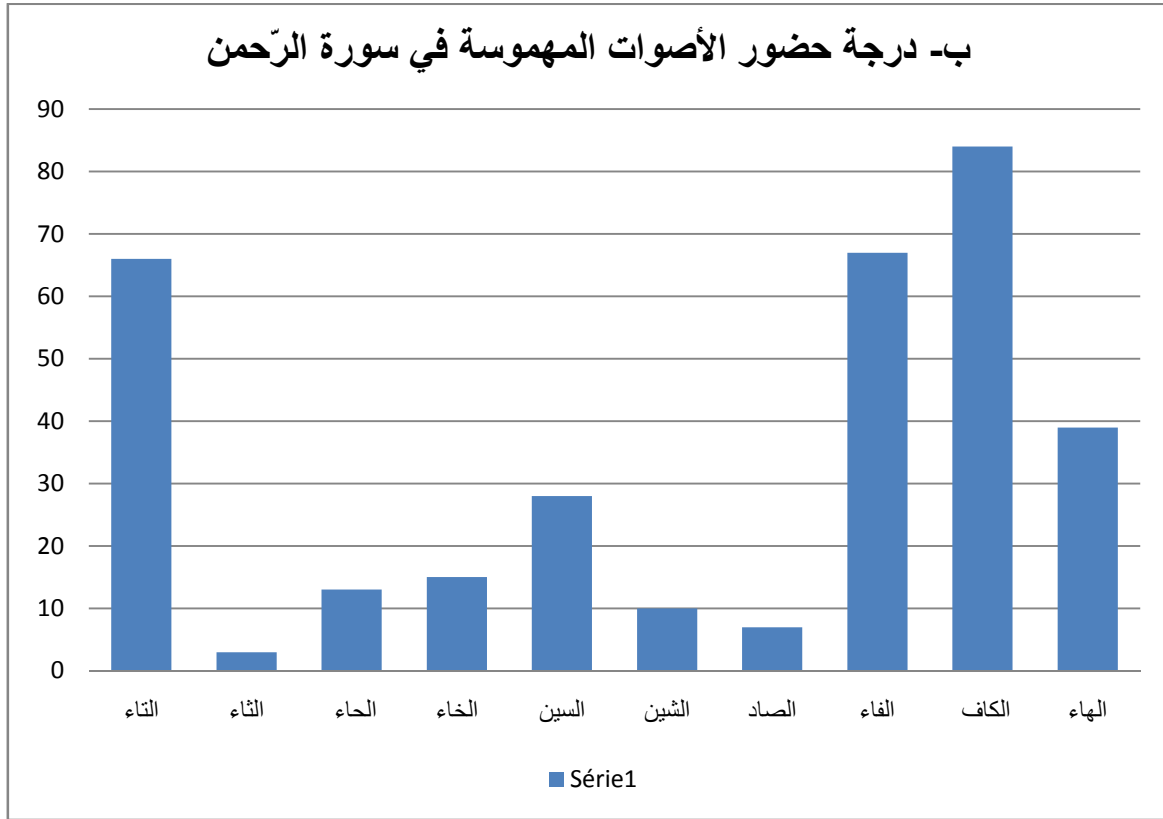






أ- درجة حضور الأصوات المجهورة في سورة الرَّحْمَن





–تحليل المنحنيات والأعمدة والتعليق عليها:

1–التعليق على شكل المنحنى الأوّل والثاني:

نلاحظ من خلال المنحنى الأوّل والمتعلّق بدرجة تكرار الجهر والمهمس في سورة الرّحمن، أنّ هناك سيطرة لا مثيل لها للأصوات المجهورة على حساب المهموسة، وهذا ما يخدم الغرض العام للسّورة الكريمة اعتماداً على التذكير من خلال تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآية (13)، إذ أنّنا نُلقي أكبر كميّة للأصوات المجهورة في حدّها الأقصى تجاوز (70) مرّة خلال الآية (33) من سورة الرّحمن في قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾. وفيه تحدّ من الله عزّ وجلّ لمخلوقاته من جنّ وإنسٍ، فلا يعقل بالأمر أن يكون همساً، وما يشدّ الانتباه هو النّسج للصفّات داخل السّورة الكريمة فنجد نوعاً من الجانب الطّردّي والتّتابعي؛ فكلمة زادت

الأصوات المجهورة إلاّ وتصاعدت معها المهموسة، والعكس بالعكس إلاّ في الآيتين الأوليتين وعلى وجه الخصوص كلمة (الرّحمن) وهذا من الإعجاز الذي لا يمكن لِنِي البشر تحقيقه وصولاً إلى الدّلالة ثم قلب المستمع، وهو ما سنقف عنده لاحقاً.

نلاحظ من خلال المنحنى الثاني والمتعلّق بفضاء سيطرة الصّفات تملّكاً تامّاً للمجهورة منها باللون الأحمر مقارنةً بالمهموسة منها باللون الأزرق، فنسبة المجهورة تفوق (20% إلى 100%) على غرار المهموسة فهي تتراوح بين (00% و 25%) كحدّ أقصى؛ بمعنى أنّ المجهورة تحتلّ الصّدارة بأربعة أضعاف المهموسة، وهذا ما يخدم الغرض العام ومناسبة عروس القرآن.

2-التعليق على الدّائرة النسيبيّة: ما يشدّ انتباهنا هو سيطرة الألف بنوعيتها المهموزة والمدّية، إذ تحتلّ الصّدارة بنسبة (22.40%) أيّ قرابة (1على4) من عموم السّورة القرآنيّة، ثمّ يليها النون بنسبة (08.69%)، ثمّ اللّام بنسبة (08.45%)، ثمّ الباء (07.59%)، وهي كلّها مجهورة في حين أنّ المهموسة سجّلت كأقصى حدّ لها الكاف بـ (05.14%)، ثمّ الفاء (05.09%)، ثمّ التّاء (04.04%)، ثمّ الهاء (02.83%)، فتليها البقيّة في تنازلٍ مستمرّ.

3-التعليق على الأعمدة:

أ-درجة حضور الأصوات المجهورة: ما نلاحظه هو حضور الألف كذلك بتكراره لأكثر من (400) مرّة، ثمّ النون قرابة (148) مرّة، ثمّ اللّام (146) مرّة، ثمّ الباء (125) مرّة، ثمّ الميم قرابة (105) مرّة، ثمّ الياء (93) مرّة، ثمّ الرّاء حوالي (87) مرّة. وهذا ما يعكس التّسبة المذكورة في التّعليق أعلاه.

ب-درجة حضور الأصوات المهموسة: ما يُلاحظُ هنا هو الحضور المتناقص مقارنةً بسابقتها، فقد نسجّل أعلى حضور لصوت الكاف بحوالي (84) مرّة، يليه الفاء بـ (68) مرّة، فالتّاء قرابة (66) مرّة وصولاً إلى الهاء بـ (39) مرّة، وهذا ما نلفيه مجسّداً في التّسب المتويّة المذكورة أعلاه في الشكل 03 (الدّائرة النسيبيّة).

ب- التّكرار والتّكرير:

يمثل التّكرار أبرز التّقنيات المسيطرة في القرآن الكريم، قصد طبع سوره بضرب من الإيقاع الذي يَنحُو باللّغة العربية نحو الكثافة والانسجام. وهناك من يفضّل كلمة تكرر أو مجاورة كونه "أَبْلَغُ من التّأكيد، وهو مصدر من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض مَنْ غلط"¹

فالتّكرير لغة: هو مصدر "كرّر إذا ردّد وأعاد"²، فالإعادة هنا ليست بالمعنى السّلبّي؛ بل لها من الأغراض الإيجابية ما قد نتعرض إليه لاحقاً. أمّا اصطلاحاً: "فهو والمجاورة فنّ واحد إذ المجاورة تردّد لفظتين، ووقوع كلّ واحدة منهما بجانب الأخرى أو قريبة منها، من غير أن تكون إحداها لغوً لا يحتاج إليها"³.

وما يسترعي انتباهنا خلال البحث هو التّكرار داخل النّصوص القرآنية، وما له من فوائد عظيمة فالزر كشيّ يشير إلى أنّ "التّكرار في الآيات مع سائر الألفاظ لم يُوقِع في اللفظة هجنة، ولا أحدث مللاً، فبأينَ بذلك كلام المخلوقين"⁴، وههنا نجد أنّ التّكرار كان سائداً عند العرب قديماً قصد التّأكيد بالدرّجة الأولى، فجاء كلام الله المتزّه ليتحدّى العرب في لغتهم على الرّغم من تحكّمهم في زمامها، فكانت فواعة التّظم للقرآن. فتكرار الألفاظ محمودٌ على عكس تكرار المعنى عند العرب وفق ما يؤكّده صاحب العمدة⁵ "إنّ أكثر ما يقع التّكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقلّ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه"، كما أنّه لا يمكننا إغفال عنصر الإيقاعيّة المعتمد أساساً على التّكرار "فالإيقاع يبينه التّكرار بأساليبه المتعدّدة التي

¹ الزّركشي محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ج03، ص09.

² نفسه ، تحقيق: أبي الفضل الدّميّطي، ط01، القاهرة ، دار الحديث، 2006م ، ص627.

³ كمال أحمد غنيم و رائد الدّاية ، جماليّات الموسيقى في النصّ القرآني ، ص34

⁴ الزّركشي محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، ط2006 ، ص638.

⁵ ابن رشيق القيرواني، العمدة ، ج02 ، ص25.

تجد قانونها في الفن الإسلامي، ونظام إعادة الوحدة الجمالية في مرّات بلا نهاية¹. فهناك حضور كبير للتكرار في القرآن الكريم ضمن جميع مستوياته من حركاتٍ و حروفٍ و مفرداتٍ و جملٍ خاصةً في سورة الرَّحْمَنِ التي نعمل عليها جاهدين؛ قصد سبر أغوارها ولو بالنزر القليل.

1- تكرار الحركات: بما أن الحركات أبعاض حروف؛ بل هي أصغر جزء لبناء الكلمة العربية على وجه الخصوص، فلها مساحة شاسعة داخل سورة الرَّحْمَنِ، إذ تتنوع حسب المواقف من فتحة مستوية مسيطرة دالة على انبساط رزق الله عزّ وجلّ، تليها كسرة دالة على تحدي الخالق لمخلوقاته، إلى ضمة عالية دالة على علو مكانة الرَّحْمَنِ، وصولاً إلى السكون الدال على وجوب سكون النفس البشرية المستوية قصد نيل مرضاة الله عزّ وجلّ؛ لبلوغ جنّات النعيم. فلتكرير الحركات الإعرابية أهمية بالغة في الحفاظ على النسق والانسجام والدلالة فحركات الإعراب لا تعدو في نشأتها أن تكون بمثابة الروابط بين الكلمات... (و) نظام المقاطع في نطق العربي يلزم طريقاً خاصاً، ويتطلب تلك الروابط في معظم الأحوال فهي ضرورة صوتية؛ أمّا ما يعني حركة معينة فأحد عامليْن: أوْلهما: إثارة بعض الحروف لحركات معينة كحروف الحلق حين تُؤثّر الفتح، ثانيها: انسجام هذه الحركة الرابطة مع ما يكتنفها من حركات أخرى²

2- تكرار الحروف: وهو عبارة عن "تكرير حرف يهيمن صوتياً على بنية النص"³، فإن تكرار الحروف هو الأساس الباني لإيقاعية السور القرآنية، فالحروف المكرورة تعبّر عن مضمون أي القرآن ووحدة الحديث فهذه "الأحرف التي تشكّل الأصوات محكومة بوقع أساسي آخر هو تركيب الأصوات الثابتة والمتحرّكة بنظام معين قصد الإبلاغ، أمّا القرآن فلّك أن تستلذّ نفساً وأن تطرب أذنًا بما تحسّ وتسمع لكلّ حرف مكرّر من حروفه"⁴. وما يلاحظ ههنا على وجه الخصوص أنّه من الإعجاز أن تجد الحروف المكرورة بنسبة أكثر في نفس الآية، وعليه تُلفي "التوافق

¹ نبيل رشاد، العلاقات التصويرية بين الشعر والفن الإسلامي، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص 135. وينظر: عمر خليفة بن

إدريس، البنية الإيقاعية في شعر البحري_دراسة نقدية تحليلية، ط 1، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، 2003م، ص 192.

² إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 207.

³ حسن الغربي، حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ط 01، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001م، ص 82.

⁴ كمال أحمد غنيم و رائد الداية، جماليات الموسيقى في النصّ القرآني، ص 37.

واضحاً بين الحالة التّفسيّة من هدوء وطمأنينة أو اضطراب وحزن، وبين الألفاظ السّهلة أو الشّديدة ذات الحروف اللينة أو المجهورة التي تصدر نغمًا يناسب الجوّ التّفسي للمُستمع¹،

3- تكرر الكلم: (المفردة أو اللفظة): إنّ تكرر الكلمة "من صنع العرب في إظهار العناية بالأمر كما قال الشّاعر: كم من نعمة كانت *** لكم كم كم وكم. فتكرير كلمة (كم) لتكثير العدد"².

أمّا في القرآن الكريم وبالأخصّ في سورة الرّحمن، فنجده في كلمة الميزان إذ تكرّرت ضمن ثلاث آيات متتابعة (07، 08 و09) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾، "فصرّح ولم يُضمّر ليكون كلّ واحد قائماً بنفسه غير محتاج إلى الأوّل، وقيل أنّ كلّ واحد غير الآخر؛ فالأوّل: ميزان الدّنيا، الثّاني: ميزان الآخرة، والثّالث: ميزان العقل، وقيل نزلت متفرقة فاقترضت الإظهار"³.

وهناك من قال بنفس قول محمود بن حمزة الكرمانى فـ "الميزان قرنه برفع السّماء؛ لأنّه عدّد نعمه على عباده، ومن أجلها الميزان هو الذي به نظام العالم وقوامه وقيل هو القرآن وقيل هو العقل وقيل هو ما يعرف به المقادير"⁴، وبذلك نجد يتفق مع غيره أنّ تكرر لفظ ميزان لم يكن اعتبارياً؛ بل لضرورة ملحّة إيجائية، وكذلك هو الحال بالنسبة لقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ الآية (17)، فقد كرّر كلمة (رب) هنا تأكيداً، "وخصّ ما هنا بالتأكيد؛ لأنّه

¹ عبد الهادي صافي، مقالات في بلاغة القرآن الكريم، ص 44، 45.

² عبد الملك أبو منصور التعالي، فقه اللغة وسر العربية، دط، دار الفكر بيروت، دت، ص274.

³ محمود بن حمزة الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن _ المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دط، دار الفضيلة، دت، ص 231.

⁴ عطية بن عطية الأجهوري، إرشاد الرّحمن لأسباب التّزول والتّاسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، مج02، ط01، دار ابن خرم، بيروت، لبنان، 2009م، ص677.

موضع الامتنان وتعديد التَّعم؛ ولأنَّ الخطاب فيه من جنسَيْنِ هما الإنس والجنَّ بخلاف ذينك¹، وهو الشَّيء نفسه في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الآية (60)، فكلمة (الإحسان) هنا كررها مُريدًا توضيح الجُحودِ والإنكارِ عن طريق الاستفهام.

4- تكرار الجمل (الآيات): لوتحوَّلت بسمعك في نواحي سورة الرَّحْمَنِ، لبَهْرِك ما تستلذَّ به هذا التَّكرير الذي يتوشَّح بجملة من المعاني تجري في السُّورة، أهمُّها قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبان﴾ الآية (13)، "إذ تكررَّت إحدى وثلاثين مرَّة في هذه السُّورة"²، ثمانية منها ذُكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق وميعادهم (من 13 إلى 30)، ثمَّ سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النَّار وشدائدُها بعدد أبواب جهنَّم وحسن ذكر الآلاء عقبها؛ لأنَّ من جملة الآلاء رفع البلاء وتأخير العقاب (من 32 إلى 45)، وبعد هذه السَّبعة ثمانية في وصف الجنَّتَيْن وأهلها بعدد أبواب الجنَّة (من 47 إلى 61)، وثمانية أُخر بعددها في الجنَّتَيْن اللَّتين هما: دون الجنَّتَيْن الأوَّليتين آخذًا من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ الآية (62). فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحقَّ هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السَّبعة السابقة³. ولنا أن نوضِّح هذا الارتقاء والتطوُّر كالاتي:

| المراحل | عدد المرّات | الآية | رقم الآية من - إلى | مراحل الخلق وفق الأعمال |
|---------|-------------|--|--------------------|--|
| 01 | 08 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبان | من 13 إلى 30 | عجائب خلق الله وروائع صنعه ومبدأ الخلق وميعادهم. |
| 02 | 07 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا | من 32 إلى 45 | النَّار وشدائدُها بعدد أبواب جهنَّم السَّبعة. |

¹ نفسه ، مج 02 ، ص 678.

² محمَّد بن عبد الله الصغير، دليل المشابهات اللفظية في القرآن الكريم، ط01، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1997م ، ص 291.

³ عطية بن عطية الأجهوري ، إرشاد الرَّحْمَنِ لأسباب التَّزول ، ص 677 ، وينظر: محمود بن حمزة الكرمانى ، أسرار التَّكرار في القرآن، ص 231.

| | | | | |
|--|--------------|--|----|----|
| | | تُكذِّبَانِ | | |
| الحاجز الآية 46 حسن ذكر الآلاء لرفع البلاء والعقاب بالخوف من الله عز وجل. | | | | |
| وصف الجنَّتين وأهلها بعدد أبواب الجنَّة الثَّمَانِيَّة. | من 47 إلى 61 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | 08 | 03 |
| الحاجز الآية 62 هناك جنَّتين أُخْرِيَتَيْنِ غير السَّابِقَتَيْنِ. | | | | |
| من عمل على الجنَّتين الأوليين إسْتَحَقَّ الأُخْرَيْنِ ووقاه الله من سابقتها. | من 63 إلى 77 | فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | 08 | 04 |

إنَّه بتبصُّرنا للمُحدِّثين في علم النِّعمة نجدهم يركِّزون كثيراً على التَّكرير إذ أنَّه "من الطُّرق الفعَّالة في تدريس المهارات التقنيَّة، وهذا له دور في الأثر النفسي وصولاً إلى الرِّضا إنطلاقاً من توفُّر المادَّة المقروءة، الاستماع، مستويات الصَّوت، الإعادة، التَّغذية الرَّاجعة، ومنه تثبيت النُّطق الصَّحيح وتصحيح النُّطق الخاطئ"¹، وهذا آخر ما توصل إليه العلم الحديث من دور للتكرار وعلاقته بالنُّطق.

– فوائد وأغراض التكرار في سورة الرَّحمن:

إنَّ للتكرار الحركاتي والحرفي واللفظي والجُملي حضوراً منقطع التَّظير في القرآن الكريم ولا بدَّ أنَّه قد أخطأ من إعتبره سلباً لا فائدة منه إذ يقول صاحب البرهان في علوم القرآن²: "وقد غلط من أنكر كونه التكرار من أساليب الفصاحة ظنًّا أنَّه لا فائدة له وليس كذلك؛ بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق ببعضه ببعض، وذلك أنَّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء أرادت تحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدِّعاء عليه، كرَّرتَه توكيداً، وكأَنَّها تُقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الجاهتهد في الدِّعاء عليه حيث تقصد الدِّعاء، وإتَّما نزل القرآن بلسانهم وكانت

¹ شهرزاد كامل سعيد، النِّعمة في اللُّغة العربيَّة، ص 469.

² الزُّركشي، البرهان في علوم القرآن، ط 2006، ص 627.

مخاطبته جارئة فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجّة عليهم في عجزهم عن المعارضة ". ومن هذا يتبيّن لنا أهميّة التّكرير عند العرب الذي يقوم أساساً على التّأكيد شرط التعلّق ببعضه البعض (الكلام المكرور) وبذلك لا يمكننا إنكار وجود أغراض وفوائد إعجازيّة للتكرار في القرآن الكريم فأهمّها في سورة الرَّحْمَن:

(1) - التّأكيد: ¹ وهو في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ﴿٤٧﴾ الآية (17) من سورة الرَّحْمَن فالله عزّ وجلّ يؤكّد لمن كذب بنعمه أنّه هو من خلق الخلق بل هو ربّ كل شيء.

(2) - التّقرير: "وقيل الكلام إذا تكرر تقرر"²، وذلك في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٥٦﴾ الآية (56) من سورة الرَّحْمَن، ثمّ في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٥٦﴾ الآية (74) سورة الرَّحْمَن، فالله عزّ وجلّ في الآيتين السّابقتين قرّر أنّ قاصرات الطّرف المقصورات في الخيام لم يمسهنّ إانس ولا جانّ عملاً بتحييب النّاس في الجنّة والتّعيم.

(3) - التّنبية: ³ "فللتنبية ما ينفي التّهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول"⁴، وذلك تنبيه ممزوج بالأمر فكلمة الميزان والحذر منه أُخرج بإيقاع مترتب وفق مراحل في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ . فالميزان الأوّل توضيح لوجوده وأهميته، والثّاني تنبيه لعدم الطغيان فيه، أمّا الثّالث فهو تبيان الوسطيّة بالقسط دون الخسارة حفاظاً على أطراف الميزان.

¹ الرّزكشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 11.

² جلال الدّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج02، تحقيق: محمود مرسي عبد الحميد ومحمد عوض هيكّل، ط01، دار السّلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، 2008م، ص 687.

³ ينظر: نفسه، ج02، ص 688.

⁴ القزويني، الإيضاح في البلاغة، دط، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت، ص191

(4)-**قصد طول الكلام:** "إذا طال الكلام وحشي تناسي الأول أعيد ثانية تطرية له، وتجديدا لعهد¹"، ومنه قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۗ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ الآية (54) من سورة الرَّحْمَنِ، ثم قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ الآية (76) من سورة الرَّحْمَنِ، وهذا ما يخلق فوق الجمال توازنا وعدوية في إستحضار الذوق للمعنى²، من خلال تكرير لفظ (متكئين) الدال على الراحة والبسطة، إضافة إلى جرس أوقعه تكرار وتمفصل حرفي الراء والفاء بالتداول.

(5)-**التعظيم والتحويل وتعدد المتعلق³:** وهو تردّد جملة أو آية ما يزيد عن ثلاث مرّات شرط "تعلق اللّاحق بالسّابق"⁴، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ الآية (13) من سورة الرَّحْمَنِ، "فإنّها وإن تكرّرت واحداً وثلاثين مرّة، فكلّ واحدة تتعلّق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كان الجمع عائداً إلى شيء واحد لما زاد عن ثلاثة؛ لأنّ التّأكيد لا يزيد عليها"⁵، وإن كان حسب السيوطي⁶ "بعضها ليس بنعمة، فذكر النّعمة للتّحذير نعمةً، وقد سئل: أيّ نعمة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ الآية (26) من سورة الرَّحْمَنِ، فأجيب بأجوبة أحسنها: النّقل من دار الهموم إلى دار السّرور، وإراحة المؤمن والبّار من الفاجر"، كما يرى صاحب البرهان أنّ الله عزّ وجلّ بتكراره للآية السّابقة الذّكر إحدى وثلاثين مرّة فيه حكمة موزعة كالآتي إذ "نبه في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدّنيا المختلفة على عدّة أمّهات النّعم، وأفرد سبعا منها للتّخويف وإنذارا على عدّة أبواب المتخوّف منه، وفصل بين الأوّل والسّبع

¹ الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 14.

² كمال أحمد غنيم، ورائد الدّاية، جماليّات الموسيقى في النصّ القرآني، ص36.

³ جلال الدّين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج2، ص688، 689. وينظر: كمال أحمد غنيم ورائد الدّاية، جماليّات الموسيقى في النصّ القرآني، ص36.

⁴ كمال أحمد غنيم، ورائد الدّاية، جماليّات الموسيقى في النصّ القرآني، ص36.

⁵ الزّخشي، الكشاف، ج1، ص195، 196.

⁶ جلال الدّين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج2، ص689.

الثّواني بواحدة سوّى فيها بين الخلق كلّهم فيما كتبه عليهم من الفناء حيث اتّصلت بقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ﴾ الآية (26) من سورة الرّحمن، فكانت خمس عشرة أتبعث بثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدّة أبوابها، ثمّ بثمانية أُخرى في وصف الجنّتين اللّتين من دون الأوليتين لذلك أيضاً، فاستكملت إحدى وثلاثين¹.

ت- المقطع الصوتي: (Syllabe)*:

يشغل المقطع الصوتي أهميته في جميع اللّغات؛ "لأنّه عبارة عن تتابع عدد من الفونيمات في لغة ما، حيث تتكوّن البنية المقطعيّة التي تختلف من لغة إلى أخرى، ومع ذلك فعلماء الأصوات يختلفون في نظرهم إلى المقطع وبالتالي يختلفون حول تعريفه ومفهومه"².

وإذا ما أردنا التعرّف على شكل المقطع وصورته التي يكون عليها فهو يتكوّن من "صامت وحركته <ص ح>"³، وما يهّمنا الآن المقطع في اللّغة العربية "وبتحليل اللّغة العربيّة على أساس مقطعي نجد ما يأتي:

أ- <ص ح> مثل حرف الجرّ (بـــــــــ)

ب- <ص ح ص> مثل (قد أو من) بسكون الدّال والنون.

ج- <ص ح ح> مثل (ما أو لا)، وذلك على أساس أنّ الحركة الطّويلة وهي الألف تساوي حركتين قصيرتين أي (فتحة + فتحة).

¹ الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج03، ص19.

* المنقول من الأصل اللّاتيني syllaba الذي يعود إلى اللفظ اليوناني sillabé وهي الصّيغة التي عرّفها ابن رشد. ينظر: أحمد قدور، مبادئ اللسانيّات، ط01، دار المعرفة الجامعيّة، 1999م، ص213.

² زين كامل الخوسكي، لغويّات، ط01، دار المعرفة الجامعيّة، 1999م، ص213.

³ المهدي بورويّة، الدّراسة المقطعيّة في التّراث، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، العدد01، ماي 2005م، ص244.

الفصل الرابع: الأداء التّخيمي في عروس القرآن

د- < ص ح ح ص > مثل كلمة (نار) بسكون الراء.

هـ- < ص ح ص ص > مثل كلمة (بَحْرُ) بسكون الحاء والراء¹.

وإذا أردنا شرح هذه الرموز نجد:

أ- هو مقطع قصير مفتوح = صامت + حركة قصيرة < ص ح > .

ب- هو مقطع طويل مغلق = صامت + حركة قصيرة + صامت < ص ح ص > .

ج- هو مقطع طويل مفتوح = صامت + حركة طويلة < ص ح ح > .

د- هو مقطع طويل مغلق بحركة طويلة = صامت + حركة طويلة + صامت < ص ح ح ص > .

هـ- هو مقطع زائد في الطول = صامت + حركة + حركة قصيرة + صامت + صامت < ص ح ص ح ح > .

وعليه فالمقاطع في الكلمة العربيّة تتوزّع "وفق الآتي:

- 1- أحادية المقطع ← عن.
- 2- ثنائية المقطع ← أكتب.
- 3- ثلاثية المقطع ← كاتب.
- 4- رباعية المقطع ← مدرسة.
- 5- خماسية المقطع ← احتفالات.
- 6- سداسية المقطع ← استقبالاتهم .

¹ حلمي خليل ، مقدّمة لدراسة علم اللّغة ، ط 01 ، دار المعرفة الجامعيّة، 1999م ، ص 213.

7- سباعية المقطع ← استقبالاتهنّ.

وتمثيلها المقطعي:

1- عن ← س ع س .

2- أكتب ← س ع س + س ع س .

3- كاتب ← س ع ع + س ع س (في حالة الوقف)

← س ع ع + س ع + س ع س (في حالة الوصل) .

4- مدرسة ← س ع س + س ع + س ع س (في حالة الوقف)

← س ع س + س ع + س ع + س ع س (في حالة الوصل) .

5- احتفالات ← س ع س + س ع + س ع ع = س ع ع س (في حالة الوقف)

← س ع س + س ع + س ع ع + س ع ع + س ع (في حالة الوصل) .

6- استقبالاتهم ← س ع س + س ع س + س ع ع + س ع ع + س ع + س ع س (في حالة الوقف)

← س ع س + س ع س + س ع ع + س ع ع + س ع + س ع + س ع + س ع (في حالة الوصل)

7- استقبالاتهنّ ← س ع س + س ع س + س ع ع + س ع + س ع + س ع س (في حالة الوقف)

← س ع س + س ع س + س ع ع + س ع ع + س ع + س ع + س ع س (في حالة الوصل)¹

لكنّه علينا أن نقرّ أنّه "لمّ يحسم هذا الأخير نظراً لاختلافه حسب اختلاف اللّغات فهو من حيث بنائه المثالي أو النموذجي أكبر من الصّوت (sound)، وأصغر من الكلمة حتى وإن كان هناك كلمات تتكوّن من مقطع واحد مثل (مَنْ) بفتح الميم أو (مِنْ) كسرهما... كما يرى أحمد مختار عمر أنّ المقطع وحدة صوتيّة يمكن النطق بها، ويستطيع المتكلّم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة"² وهذا في اللغة عامّة، وعندما نلاحظ استخدام القرآن الكريم لهذه المقاطع الصّوتية وترتيبها على نسق يلائم المعاني الواردة فيه، ندرك سبباً آخر من أسباب تأثرنا به، ونعرف سرّاً

¹ عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغويّة، ص 222، 223.

² كمال بشر، علم الأصوات، ص 503، 504. و ينظر أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص 242، 245.

آخر من أسرار إعجازه لذا إرتأينا أن نسوق أمثلة عن بعض آي سورة الرَّحْمَن موضحين المستوى المقطعي وتنوعاته فلنتأمل قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥٥﴾ الرَّحْمَن، الآية (05).

| الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ | | | | | | | | | | | | | | |
|-----------------------------------|---|----|---|----|---|---|----|---|----|----|---|----|---|---|
| 00/ | / | 0/ | / | 0/ | / | / | 0/ | / | 0/ | 0/ | / | 0/ | / | / |
| س | س | س | س | س | س | س | س | س | س | س | س | س | س | س |
| ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح |
| ح | | ح | | ح | | ح | | ح | | ح | | ح | | ح |
| ص | | | | | | | | | | | | | | |

وفيهما (10) مقاطع

- 05 مقاطع قصيرة
- 04 مقاطع طويلة مغلقة
- 01 مقطع طويل مغلق بحركة طويلة

وكذلك قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٥٦﴾﴾

| وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ | | | | | | | | | |
|-------------------------------------|---|----|---|---|---|----|---|----|----|
| 00/ | / | 0/ | / | / | / | 0/ | / | 0/ | 0/ |
| س | س | س | س | س | س | س | س | س | س |
| ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح | ح |
| ح | | ح | | | | ح | | ح | ح |
| ص | | | | | | | | | |

وفيهما (10) مقاطع:

- 05 مقاطع قصيرة.
- 04 مقاطع طويلة مغلقة.
- 01 مقطع طويل مغلق بحركة طويلة.

ومن خلال الآيتين (05) و (06) نرى التناظر التَّغْيِمِي بين مقاطع الأصوات من حيث الكمّ والتنوع. وهذا ما يؤدي جرساً موسيقياً معجزاً، وفي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾



| فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ | | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|----|---|----|---|---|----|---|----|----|---|----|---|---|
| 00/ | / | 0/ | / | 0/ | / | / | 0/ | / | 0/ | 0/ | / | 0/ | / | / |
| ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر |
| ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر |
| ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر |
| ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر | ر |

وفيهما (15) مقطعا منها:

- 08 مقاطع قصيرة .
- 03 مقاطع طويلة مغلقة.
- 03 مقاطع طويلة مفتوحة .
- 01 مقطع طويل مغلق بحركة طويلة.

ونجد هذه الآية تكررت بنفس التَّغْيِمِ حوالي (31) مرّة، أي بمعنى (248) مقطع قصير، و(93) مقطع طويل مغلق، و(93) مقطع طويل مفتوح، و(31) مقطع طويل مغلق بحركة طويلة.

كذلك قوله تعالى :

﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

الفصل الرابع:

الأداء التَّخِيمي في عروس القرآن

| | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|
| 00/ | 0/ | / | 0/ | / | 0/ | 0/ | 0/ | / | 0/ | 0/ | 0/ | / | 0/ | 0/ | / | 0/ | 0/ | 0/ |
| ص ح ح ص | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح |

وفيها (22) مقطعاً:

- 06 مقاطع قصيرة.
- 11 مقطعاً طويلاً مغلقاً.
- 04 مقاطع طويلة مفتوحة.
- 01 مقطع طويل مغلق بحركة طويلة.

وكذلك قوله تعالى:

| | | | | | | | | | | | | | | |
|--|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|
| ﴿تَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ | | | | | | | | | | | | | | |
| 00/ | 0/ | 0/ | / | 0/ | / | 0/ | / | / | 0/ | / | 0/ | / | 0/ | / |
| ص ح ح ص | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح | ص ح ح ح |

وفيها (15) مقطعاً منها:

- 07 مقاطع قصيرة.
- 05 مقاطع طويلة مغلقة.
- 02 مقاطع طويلة مفتوحة.
- 01 مقطع طويل مغلق بحركة طويلة.

من خلال ما سبق ذكره من تحليل للمستوى المقطعي، نلفي أن كل الآيات من بداية السّورة إلى نهايتها تنتهي بمقطع طويل مغلق بحركة طويلة، كما أننا نلاحظ تنوعاً وحضوراً منقطع النظير لكل من المقاطع القصيرة والطويلة المغلقة التي تخدم معنى السّورة القرآنية. إذ نجد فيها ذكر نعم الله عزّ وجلّ واستفهاماً إنكارياً للمكذّبين والجاحدين بتلك التّعم، على عكس المقاطع الطويلة المفتوحة التي لا تخدم المشهد القرآني ضمن عروس القرآن.

ث- المناسبة الصّوتية للفاصلة القرآنية: (نغم الفواصل):

نقع في القرآن الكريم على العديد من الآي التي تأسرنا بموسيقى ألفاظها ونبرات أصواتها؛ بل ونحسّ بالظاهرة الموسيقية أولاً في الفواصل التي أحكمها القرآن إحكاماً، إذ تمتد امتداداً طويلاً وأحياناً تكون معتدلة الطول وأحياناً أخرى تكون قصيرة تعكس الجانب الدلالي، فتؤثر في الجانب النفسي للمتلقّي، "فالتناسب هو أن يقرن الغريب بمثلته، والمتداول بمثلته رعاية لحسن الجوار"¹، ومن هنا نرى أهمية التآلف قصد خلق نسيج متناسق لا متنافر. فأهمّ فائدة للتناسب هي "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط والتأليف حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"²، فما بآلنا بالحديث عن كلام الله المتزّه، إذ يتجاوز هذا الدور المعهود إلى غاية الوصول إلى المقصد (الدلالة العميقة)؛ فإنّ النظم القرآني يراعي في توزيع الأصوات وتأليفها ما يناسب المعاني والأغراض ونوع التأثير الذي يريد إثارتة في نفوس المخاطبين"³، وهو ما يؤكّده كذلك مصطفى صادق الرافعي في قوله: "إذا اشتدّت فأمواج البحار الزّاحرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة..."⁴. هذا ما يمكننا الحديث عنه بالنسبة للمناسبة الصّوتية، وأهمّ أغراضها أمّا الآن فلنا أن نلج قضية الفواصل القرآنية فما الفاصلة؟ وما مدى أثرها في إيقاعية سورة الرّحمن؟ .

1-تعريف الفاصلة:

أ-لغة: لمادّة فصل في اللّغة العربيّة عدد من المعاني المتلاقية ترادفاً أو تضاداً منها: "الفصل: دون ما بين الشّيئين، والفصل من الجسد: موضع المفصل، بين كلّ فصلين وصل مثل ذلك: الحاجز بين الشّيئين، والفاصلة الخرزتين في النّظام، وقد فصل النّظم: وعقد مفصل أيّ جعل لؤلؤتين خرزة. ومن الفصل: للقضاء بين الحقّ والباطل، وقريب منه: فصل من النّاحية: أيّ خرج منها، ومنها

¹ جلال الدّين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج03، ص 237.

² الزّركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ط 2006، ص26.

³ أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن- دراسة في النّظم المعنوي والصّوتي، ص 307.

⁴ مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص30.

التفصيل: التبيين ومنها الفصل واحد الفصول: أي القطع¹، وهو كذلك "أوآخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمتزلة قوافي الشعر، جُلُّ كتاب الله عزَّ وجلَّ واحدها فاصلة"²، لكن ما يلاحظ هنا من خلال التعريف الثاني لابن منظور أنه أقرب إلى الاصطلاح منه إلى اللغة.

ب- اصطلاحاً: يرى الزركشي أن الفاصلة تسمى رؤوس الآي أو كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع³، ويقول أبو عمر الداني⁴: "الفاصلة كلمة آخر الجملة"، أمّا الباقلاني⁵ فيرى أن: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"، ومن خلال كل هذه التعاريف يمكننا القول أن الفاصلة ظاهرة صوتية قرآنية نسقية نجدها في القرآن دون النثر والشعر إذا فالفاصلة في القرآن هي: "كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وسجعة النثر، والتفصيل توافق آخر الآي في حروف الروي أو الوزن مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس"⁶.

2- مناسبة الفواصل تحقيقاً للتناغم والإيقاع:

لا يمكننا إنكار أن "هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن ما هي إلا صورتان للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت إتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، ونراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرار"⁷، فسبحان الله الخالق المدبر إذ جمع لنا بين ما هو طبيعي في الموسيقى وما هو طبيعي في القرار "والحق أن قيمة الفاصلة في بلاغة النظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، وما كان للقرآن أن يحافظ عليها ويختار بعناية فيأتي بها متمكنة في موضعها ومستقرّة في نسقها لو لم يكن لها شأن كبير في

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل)، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.ص 226.

² نفسه، ص 229.

³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 01، ص 53.

⁴ نفسه، ج 01، ص 53.

⁵ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 27.

⁶ محمد الحسنوي، الفاصلة في القرآن، ط 2، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمّار، عمّان، 1986م، ص 29.

⁷ كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، ص 82، 83.

بلاغته وتحقيق أهدافه، ولا شك أن للكلمة أو للجملة أو المقطع الذي تختتم به الآية قيمة خاصة؛ لأنه عنصر يؤدي وظيفة مزدوجة في نظم الآية: فهو من ناحية يتصل بالمعنى ويتممه، ومن ناحية أخرى يتصل بنظام الفواصل وينسقها، لهذا كان حظّه من العناية أكبر وهذا الحكم يضمّ الكلام المنظوم بأشكاله المختلفة¹.

ج- تنوع البنى الإيقاعية في سورة الرحمن:

تعددت البنى الإيقاعية في سورة الرحمن وفق ثلاث صور قد حددها أنفا عبد الملك مرتاض إذ "يقوم الإيقاع الخارجي في هذه السورة على إيقاع أو فونيم [آن] (ونرمز إليه بأبجديتنا الإيقاعية برمز cy)، وقد تكرّر هذا الإيقاع في أواخر الوحدات الإيقاعية (الآيات سبعا وستين مرة من بين ثمان وسبعين، وهي جملة الآيات التي تشكّل مادّة هذه السورة من حيث ألفينا إيقاعا آخر يتبوأ المقام الثاني وهو إيقاع [آم] = cy ، كما تفرّدت ثلاثة إيقاعات أخرى بتنغيم مختلف قليلا فسار كلّ إيقاع منها في اتجاه [آر] ... [ون] ... [ين]"². وفي حقيقة الأمر إن لفي هذا التعدد حكمة إلهية تخدم الجانبين: أ-الدلالي لآي السورة الكريمة. ب- النفسى للمتلقّي (المستمع فيستلذّها).

ولنا أن نرسم جدولاً توضيحياً لتعدد الفواصل الثلاث باختلافاتها*:

| الآية من إلى | نوع الفاصلة | عدد الآيات | الدلالة العامة والمهيمنة |
|--------------|-------------|------------|---|
| من 01 إلى 09 | آن | 09 | السّماء وعلاقة الخلق بالميزان (التوازن) |
| من 10 إلى 11 | آم | 02 | النعم وخلق الأرض |
| من 12 إلى 13 | آن | 02 | نعم الأرض |
| من 14 إلى 15 | آر | 02 | خلق الإنسان والجنّ |
| من 16 إلى 23 | آن + ين | 08 | خلق البحر |

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 01، ص 84.

² ينظر: عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني-تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن، ط01، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص 274.

* الاختلاف هنا ليس بالذي يقبح في قدسيّة القرآن الكريم بل المقصود منه التنوع بين (آن-آم-آر) وحتى الشواذ مثل (بين-نون)

| | | | |
|--------------|------------|-----------|------------------------------|
| 24 | آم | 01 (فاصل) | نعم البحر |
| من 25 إلى 26 | آن | 02 | الفناء (مرحلة جديدة) |
| 27 | آم | 01 (فاصل) | بقاء الله عز وجل وحده فقط |
| من 28 إلى 40 | آن | 13 | (جنّهم) يوم العرض والحساب |
| 41 | آم | 01 (فاصل) | العذاب والعقاب |
| من 42 إلى 71 | آن + ون | 30 | (الجنة) نعم الجنة والجزاء |
| 72 | آم | 01 (فاصل) | تحليل المحرّمات |
| من 73 إلى 77 | آن | 05 | (الجزاء) صفات حور العين |
| 78 | آم | 01 (فاصل) | الجلال والإكرام لله وحده فقط |

فمن خلال الجدول نلاحظ الإعجاز بصرياً ودلاليّاً، إذ نلفي هناك نوعاً من التناسب والإيقاع من خلال ترتيب الآيات الأحاديّة وفق الفاصلة "آم"، وهو نفسه ترتيب لخلق الله وفق مراحل منذ بداية أولى بدايات الخلق من سماء، وميزان، ونعم على الأرض، وخلق للإنس والجنّ، ثم البحر وما فيه وصولاً إلى الفناء. وهو الحدّ الفاصل إذ يبقى الله عز وجل وحده، ثمّ العرض والحساب، فالعذاب والعقاب، ومن ذلك الجنة ونعيمها. وكلّها بإذنه عز وجلّ فما للإنسان إلا أن يتّعض ويأخذ بالخيرات الحسان. فبعودتنا إلى تنوع الفواصل نجدها تتوزّع وفق ترتيب محكم كالآتي:

1- بنية "آن": فهذا الأخير مركّب من ألف ساكنة ونون ساكنة أيضاً، ويبدو لنا أن "استحواذ هذه الألف اللينة التي اعتمدت عليها التّون الساكنة (باعتبار وجوب الوقف على أواخر الآي) في إيقاعها عبر هذه السّورة كان من المعجزات الإلهية"¹؛ لذا نجدها "أمدّت القراء بألوان من التّغيم المؤثّر الأخاذ نراه يستثير مشاعر السّامعين ويجدوهم - بلا وعي - إلى ترديد هذه الفاصلة مع القراء في خشية غامرة، وخشوع عميق"² بعد تكريرها سبع وستون مرّة .

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، ص 275.

² أحمد فتحي عامر، فكرة التّظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة القاهرة، 1975م، ص 219.

2_بنية "آم": إذ نجدها تكرّرت (07) مرّات، و"حين تتكلّف الرّجوع القهقري نحو الحرف الثالث لما قبل (آم)... وجدناه ينتمي إلى الحروف الأكثر تواردا في العربية... فصوت الميم نرجسيّ الدلالة لطيف الوقع"¹، فكلمّا حضرت الفاصلة (آم) نجدها حقيقة تفصل بين مراحل مختلفة لخلق الكون كما هو محدّد في الجدول أعلاه، فنلفي هذا الفونيم يحكم "الرّبط بين الآيات السّابقة واللاحقة فيسوق أنغامها المتسلسلة إلى نهاية تتوحّد عندها"². وهو ما نلمسه في آخر آية لسورة الرّحمن في قوله تعالى: ﴿تَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الآية (78) من سورة الرّحمن، إذ يتوحّد كلّ شيء عند الخالق البارئ المصورّ ذي الجلال والإكرام.

3_بنية "آر": "فلم يتوارد هذا المقطع الذي تتشكّل منه (فيزونوميّة) البنية الإيقاعيّة الثالثة إلاّ مرّتين اثنتين في السّورة كلّها كالفخّار... من نار"³.

المبحث الثاني : وظائف التّغيم في سورة الرّحمن:

يقوم التّغيم بمهام عديدة أهمّها مهمّة التّرقيم في الكتابة، وإيضاح الاستفهامات والأخبار والتعجّبات، إضافة إلى إبلاغ موقف الشّخص المؤدّي له من غضب أو سخرية... إلخ، هذا كلّ وصولا إلى الدلالة المنشودة، ويمكن تقسيم وظائف التّغيم في لغة القرآن إلى ثلاث وظائف: الوظيفة الانفعاليّة التعبيريّة، والوظيفة التركيبيّة، والوظيفة البلاغيّة والوظيفة الدلاليّة"⁴، وفيما يلي عرض لها

محاولين ملامسة ما يجتلي في سورة الرّحمن:

1- الوظيفة الانفعاليّة التعبيريّة: وهو التّعبير عمّا يجتلي في نفس المتكلّم أو القارئ من مشاعر مختلفة ومعان متعدّدة. وقد حثنا على هذا العديد من العلماء من أهل القراءات منهم الزرّكشي إذ يقول: "فحقّ على كلّ مسلم أن يرتّله، وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه،

¹ ينظر عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني، ص 282.

² عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني ، ص 283 .

³ نفسه ، ص 283 ، 284.

⁴ أحمد البايي، القضايا التطريزيّة، ج01 ، ص 255.

والإفصاح لجميعه فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر بذلك وسأل الله تعالى أن يعيده من النار. وإن هو مرّ بآية فيها نداء وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول لبيك ربّي وسعديك. إن كان ما يقرأه من الآي مما أمر الله به أو نهي عنه أضمر قبول الأمر والائتمار والانتها عن المنهي... وإذا كان موعظة اتّعظ بها؛ فإنّه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل¹. فنجد ههنا الزّركشي يؤكّد على أن كمال الترتيل لن يكون إلّا بالانفعال وفق المواقف من خوف وحزن وفرح، وغضب ويأس وأمل... إلخ، ويضاف إلى هذه الأحاسيس والمشاعر عنصر تعبيريّ مهم جدّا هو الدّراما "فلا شك أن (التراجيديا) من أهمّ مكونات الدّراما التي تنسجم مع عظمة القرآن الكريم ومكانته، فهي ترتبط بالأحداث الكبيرة، والشخصيات الرّاقية والغيبات التي تحاكي العقل والروح بطريقة سحرية عجيبة"²، كما أن الحزن في قراءة القرآن وسيلة للوصول بالمستمع إلى الخشوع في "قوله صلى الله عليه وسلم: (إن أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا سمعته يقرأ حسبه يخشى الله)"³، وما الطّابع الذي يغلب على أسلوب الترتيل القرآني إلّا واحد من الصّفات الملازمة لقارئ القراءات القرآنية عن طريق الأداء، فينسجم مع مكانة كلام الله سبحانه وتعالى بكلّ ما يحمله من موعظة وصولا إلى استنباط العبر من الأمم السّالفة، ومن أمثلتنا عن الجانب الأدائي الانفعالي التّعبري لقارئ القرآن ما يأتي:

*تنغيم الأمر والنهي: قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا أَلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُحْسِرُوا أَلْمِيزَانَ ﴾ الآية (09) من سورة الرّحمن، فتنغيم هذه الآية لا بدّ أن يكون بالأمر ثمّ النهي (أمر بالقسط ونهي عن الخسر).

*تنغيم الاستفهام: قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الآية (13) من سورة الرّحمن. فتنغيم هذه الآية الكريمة لا بدّ أن يكون بالاستفهام الذي لا يُراد منه إجابة؛ بل هو إنكاري.

¹ الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 01، ص 532، 533.

² علي عبد الله، التعبير الدرامي والتنغيم في ترتيل القرآن-القارئ عبد الباسط عبد الصّمد أمّوذجا، المجلة الأردنيّة للفنون، جامعة عمّان الأهلية الأردن، مجلد 06، العدد 01، 2013م، ص 12.

³ ينظر: عبد العزيز الشبراوي، موسوعة البيان لقراءة القرآن، دط، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص 12.

*تنعيم التعظيم: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الآية (01)، فتنعيم هذه الآية فيه نوع من المدد المعنوي الذي يراد به التعظيم والمبالغة فيه.

*تنعيم اليقين: قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾ والتنعيم هنا يكون لليقين والتأكيد، حيث لا مجال للشك والريب فيه.

*تنعيم الوعيد: قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الآية (31) من سورة الرحمن. تنعيم الآية الكريمة هنا يكون على شاكلة الوعيد.

*تنعيم نداء أمر وتنبية: قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَتَفَدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ الآية (33) من سورة الرحمن فتنعيم هذه الآية فيه نداء إرشاد وتنبية من غيره.

*تنعيم تخويف وترهيب: قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ الآية (35) من سورة الرحمن، فتنعيم الآية الكريمة يكون بطريقة ترهيبية تخويفية وصولاً إلى الدلالة المرجوة من هذه الآية القرآنية.

*تنعيم تشجيع وترغيب: قوله تعالى: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِن إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾

الآيات من (46 إلى 56) من سورة الرَّحْمَن، فهذه الآيات لا بدّ أن تكون نغماتها تحمل نوعاً من التّرعيب والتّشجيع قصد الوصول إلى المراد.

*تغيم تعجب: قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الآية (60) من سورة الرَّحْمَن فالتّغيم هنا يكون بطريقة تعجّبية، لا يراد منه الإجابة؛ لأنّ الإجابة واضحة ومتضمّنة داخل الآية لكلّ عاقل.

ونجد هذه التّناغم مطروحة عند غير العرب ويلقبونها "بالأهداف الأسلوبية"¹. حقيقة نلّفي أنّ التّغيم يكشف عن نوايا المتكلّم (القارئ)، وعن حالته التّفسيّة من خلال انفعالاته التي تنفّلت منه بطريقة لا واعية في صورة نطاقات تنغيميّة، والتي تشكل ما سمي بلحن الكلام"². هذا كلّ ما يتعلّق بالوظيفة الانفعالية التّعبيّية. لكن هناك وظيفة لا تقلّ أهميّة عن سابقتها ألا وهي الوظيفة التّركيبية.

2- الوظيفة التّركيبية: ويقصد بها "التّفريق بين أنواع الجمل ووظائفها التّحوية من خلال التّمييز بين أسلوب تركيبي وآخر، ولكلّ جملة قلب تنغيميّ خاصّ يجب إتباعه ومراعاته في النّطق، وإلاّ عدّ المتكلّم لاحقاً"³. فلكلّ نوع من الجمل طريقة في سياقة الصّوت ودرجاته من علوّ وإنخفاض وتعديل فرفع الصّوت يكون في جملة التّفني وبينما يعدّل مع الاستفهام لكنّ يخفض في الخبر؛ بل إنّ المهمّة لا تقتصر على التّمييز بين أبواب نحوية مختلفة؛ بل يقوم بدور الرّقيب (يفرض رقابة) على الصّرف والنّحو الغريبيين عن طريق إزالة الالتباس"⁴، وهناك من ذهب إلى أنّ التّغيم هو "المسؤول عن تحديد عناصر الجملة المكوّنة للمعنى النّحوي والصّرفي"⁵ عن طريق إزالة اللبس عامة:

¹ ينظر: brosnahan L.F . malberg . B. introduction phonetics (1970). p154

² أحمد البايي، دور التّغيم في التّواصل اللّساني، مجلّة علامات، الكليّة المتعدّدة التخصّصات، الرّشيدية، المغرب، العدد 36، دت، ص 03. (مقال على الأنترنت).

³ الفيومي أحمد عبد التّوّاب، أبحاث في علم أصوات اللّغة العربيّة، ط01، مطبعة السّعادة، 1991م، ص 187.

⁴ ينظر: أحمد البايي، دور التّغيم في التّواصل اللّساني، ص05.

⁵ سهل ليلي، التّغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السّياق، ص 12.

أ-التنغيم وإزالة اللبس الصرّفي: سبق وأن أكدنا دور المدود (الظاهر والمعنوي) في الجانب الانفعالي للتنغيم، إلا أن المدّ في المنظور الصرّفي يغيّر بنية الكلمة، وأيّ إنزياح عن الأصل في الأوزان الصرّفية فهو خروج عن الضوابط المألوفة، ومن أمثلة الخرق الصرّفي التي ذهب إليها ابن جنّي نلفي ما يلي:

*تنغيم سنفرغ أو سيفرغ: "ومن ذلك قراءة عيسى الثقفيّ: (سنفرغ لكم)-بكسر التّون وفتح الرّاء-وقراً (سنفرغ لكم) -بفتح التّون والرّاء- قتادة ويحيى بن عماره الزّارع والأعمش بخلاف وابن إدريس وقرأ (سيفرغ لكم) -بنصب الياء- أبو عمرو والأعرج، أبو حاتم عن الأعمش (سيفرغ لكم). قال أبو الفتح: (يقال فرغَ يفرغُ ، كدفعَ يدفعُ... إلخ) وأمّا (سيفرغُ) -بالياء- فالفاعل فيه اسم الله تعالى و(سيفرغُ) واضح"¹. حيث نجد ابن جنّي قد عدّد لنا قراءة (سنفرغ وسيفرغ) بتنغيمات مختلفة تباين معها الجانب الصرّفي بين الغائب والمتكلم، فيرفع اللبس عن القارئ والمستمع حسب المراد، وكذلك بين المعلوم والمجهول.

*تنغيم نحاسٍ و نحسٌ: "ومن ذلك قراءة ابن أبي بكرة (ونحسُ) -بفتح التّون وضمّ الحاء وتشديد السين رفع- قال أبو الفتح (نحسُ) أي: نُقتل بالعذاب، يُقال حسّ القوم يحسّهم حسّاً: إذا استأصلهم قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ ﴾ الآية (152) من سورة آل عمران؛ أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً"² وفيه الاختلاف بين الصيغة الصرّفية على وزن : (فعال) و(نفعال).

*تنغيم المنشآتُ والمنشياتُ: "فقرأ أهل المدينة(المنشآتُ)، وقراءة الكوفيين غير الكسائي (المنشياتُ)... وعن عاصم الحجدري أنّه قرأ (المنشياتُ). وهنا يختلف تنغيم الصيغة الصرّفية بين المفعول (المنشأ) والفاعل (المنشئ)"³.

¹ أبو الفتح عثمان ابن جنّي ، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ج1، ص 304.

² نفسه ، ج1، ص 304.

³ أبو جعفر النحاس ، إعراب القرآن ، ج04 ، ص 207.

تغيم رفر ف وعبقري: "ومن ذلك عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان وعلي الجحدري وابن محيصن... (رفارف خضر وعبقري حسان)، وقرأ خضراً... وروينا عن أبي حاتم (عبقري بفتح القاف)"¹.

*تغيم الرِّيحَانِ ورويحَان: "فقوله الرِّيحَان أصله رويحَان؛ لأنَّه من الرُّوح ولزم التَّخْفِيفُ فِي رِيحَان لَطَوْلُهُ وَلِلْحَاقِ الرِّيَادَتَيْنِ فِي آخِرِهِ"². وفيه الاختلاف بين الصَّيْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ تَشْدِيدًا وَتَخْفِيفًا بَيْنَ (فِعْلَان) وَ(فِيْعْلَان) وَهِيَ الْأَصْحَحُّ.

ب- التَّغْيِيمُ وَإِزَالَةُ اللَّبْسِ التَّحْوِي (الإعرابي): إذا كانت الأدبيات النحويَّة العربيَّة قد أسندت إلى العلامات الإعرابية مهمَّة التَّمْيِيزِ بَيْنَ المَقُولَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ، فَإِنَّ هَذِهِ المَهْمَةَ كَثِيرًا مَا تَتَعَثَّرُ بِسَبَبِ إِسْتِحَالَةِ أَوْ إِخْتِلَافِ حَوْلِ ظُهُورِ نَوْعٍ مَا مِنْ العَلَامَاتِ الإِعْرَابِيَّةِ لِسَبَبِ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَمِنْ هُنَا لَا يَبْدَأُ أَنْ تَتَدَخَّلَ المَصْنَفَاتُ التَّغْيِمِيَّةُ لِتُحَدِّدَ الفِعْلَ وَالفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ وَحَرَكَاتِهِمْ جَمِيعًا، وَمِنْ ذَلِكَ رَفْعُ اللَّبْسِ النَّحْوِيِّ وَأَمْثَلْتُنَا عَنْهَا:

1- تنغيم الفعل (تَخَسَّرُوا) وَ(تُخَسِّرُوا)، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كُلٌّ مِنَ العُكْبَرِيِّ فِي كِتَابِهِ (إِمْلَاءُ مَا مِنَّْ بِهِ الرَّحْمَنُ)، وَكَذَلِكَ أَبُو جَعْفَرِ النُّحَّاسِ (إِعْرَابُ الْقُرْآنِ)، وَابْنُ جَنِّيٍّ (المُخْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَازِ القُرْآءَاتِ)، فَالاخْتِلَافُ فِي تَغْيِيمِ الكَلِمَةِ يَجْعَلُهَا تَخْتَلِفُ بَيْنَ البِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَ البِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ.

2- تنغيم الاسم (الحبُّ) وَ(الحبُّ) وَ(الحبُّ)، وَ"و(الحبُّ) يَقْرَأُ بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى (النَّخْلِ)، وَيَقْرَأُ بِالنَّصْبِ وَأَصْلُهُ (خَلَقَ الحَبُّ)، وَيَقْرَأُ بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى (العَصْفِ)"³. فَالاخْتِلَافُ فِي التَّنَاغِيمِ يَجْعَلُ الإِعْرَابَ يَخْتَلِفُ مِنْ مَبْتَدَأٍ إِلَى مَفْعُولٍ بِهِ إِلَى إِسْمٍ مَعْطُوفٍ .

¹ ابن جني، المختسب في تبين وجوه شواذ القراءات، ج1، ص305، 306، وينظر: العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج02، ص252، 253.

² مكِّي ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج02، ص705.

³ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج02، ص251.

3- تنغيم الاسم (الرَّيْحَانُ) و(الرَّيْحَانِ)، "فمن رفع عطف على (فاكهة) ومن خفض عطف على (العصف)"¹، فتنوّع التَّنَاغِيم بين الرفع وخفض يغيّر من الموقع الإعرابي والمحلّ.

4- تنغيم (نحاس) و(نحاس) "قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع والكوفيّين بالرفع؛ لأنّه معطوف على (شواظ) أمّا بالخفض فهو معطوف على (نار)"².

5- تنغيم (ربُّ) و(ربّ) "فقوله ربُّ رفع على إضمار مبتدأ تقديره (هو ربُّ المشرقين)، وهناك من يحتمل جواز النَّصْب وتقدير الكلام (فبأيّ آلاء ربّكما، ربّ المشرقين...)؛ فيكون بدلاً"³، وتعدّد التَّنغِيمَات ههنا يجعله تارة في رفع خبر وتارة نصب لبدل.

لكن علينا أن لا نُهْمَل العلائق بين الكلمات نحو من صفة وتعليق وقول، وصلة وموصولها، ومضاف ومضاف إليه وبدل ومبدل منه... إلخ. فالتَّنغِيم يحافظ على العلاقة بين هذين العنصرين لبناء تركيب نحويّ سليم وأمثلتنا في ذلك:

1- الوصف: قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ ﴿٤٨﴾﴾، إذ "قال أبو حاتم لا أستحسن أن أفف عند (جنتان) حتى أقول (ذواتا أفنان) لأنه قد وصفها بذلك"⁴، ولا يمكننا الفصل بين الصّفة والموصوف فتكون التّغمة حينئذ بتنغيم واحد دون إنقطاع ووقف.

2- العطف: قوله تعالى الآية: ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ ۖ وَنَخْلٌ ۖ وَرُمَّانٌ ۖ ﴿٦٨﴾﴾ الآية (68) من سورة الرَّحْمَنِ، وقيل أن "النّخل والرّمان ليسا من الفاكهة، فالعرب تُعيد الشّيء بواو العطف اتساعاً لا لتفضيل"⁵،

¹ مكّي ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج 02، ص 704.

² أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 209.

³ ينظر: مكّي ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج 02، ص 704، 705، وينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 206.

⁴ النحاس، القطع والانتشاف، ص 705، 706.

⁵ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 04، ص 212، 213.

وهنا "عطف لجملتين متفتحتين"¹. وفي قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ ﴿٥٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٥٧﴾﴾ الآية (05 و 06) من سورة الرحمن، فالثانية معطوفة على الأولى ولا يجوز الفصل تنغيما ونحوا بن المعطوف والمعطوف عليه.

3-الحال: قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ (من 56 إلى 58) من سورة الرحمن وهنا لا يمكننا الفصل بين الحال وصاحبه "فلا يوقف على (الطرف)؛ لأن (لم يطمثهن) حالهن... (وكأهن) حال بعد حال"²، وعليه لا بد أن يكون التنغم دون انقطاع لاتصال بين الحال وصاحبه وصولا إلى المعنى.

3- الوظيفة الدلالية والبلاغية: ويقصد بها: "التفريق بين دلالات السلسلة الكلامية الواحدة، حيث أن التنغم يفرق الجملة الاستفهامية الواحدة إلى معان تتعدد بتعدد أنماطها التنغمية"³، كما أن للتنغم "وظيفة دلالية على معاني الجمل التأثيرية... لأن تُقال بنغمات متعددة، ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعان مختلفة... ولم يتغير فيها إلا التنغم وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح، وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية"⁴. وهذه القرائن هي الجسر الرابط بين الموضوع والدلالة (بين الكلام ومعناه).

"كما أن التنغم في الجملة العربية يوازي-من حيث الدلالة-عبارات بأكملها من قبيل إستمهال المتكلم للسامع، وإعلامه باستمرار الكلام. وذلك في باب التذكّر أو من قبيل إعلام السامع وإيقافه على مدى التفجّع والتحرّس على المندوب، وذلك في باب الندبة والإطالة لإفادة

¹ السجاوندي، علل الوقوف، 985.

² السجاوندي، علل الوقوف، ص 988.

³ أحمد البايي، القضايا النظرية، ج1، ص 267.

⁴ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 227.

الاستنكار والتعجب في باب الإنكار¹، وقد ركز رائد هذه النظرية (ابن جني) كثيرا على المدّ المعنوي* وأغراضه خاصة منها ما يخدمنا في سورة الرَّحْمَن ومثالنا في ذلك يقوم على أمرين:

1- المدّ المطلّ في الكلام خاصة عند النّهاية يفيد الاستنكار، وتوضيح لاستمرار الكلام لذلك نلّفني العديد من المقاطع الممدودة في نهاية كل آية من سورة الرَّحْمَن وفق أشكال مختلفة من (آن)، (آم)، (آر)... إلخ، فالممدود هنا غرضها إعجازيّ بلاغيّ هو استمهال المتكلم للسامع، وإعلامه باستمرار الكلام.

2- المدّ المطلّ في الكلام، والإطالة تفيد الاستنكار والتعجب، وهذا ما نلمسه من خلال تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٣﴾ الآية (13) من سورة الرَّحْمَن حوالي (31) مرّة، وكلّها تلج ضمن باب الإنكار؛ فالله عزّ وجلّ ينكر على النَّاس جحدهم لنعمه. لذلك تُستعمل كلمة (آلاء) (ربكمما) (تكذبان) حاملة في طيّاتها مدودا واستطالة.

3- كما أنّ "الدلالة تقتضي على الوعيد والإغلاظ نمطاً تنغيماً خاصاً يوظف الإشباع"²، فالمماثلة على الكلمة وإشباعها يفي بغرض الوعيد والتّهديد، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ﴿٣١﴾ الآية (31) من سورة الرَّحْمَن. وقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ﴿٣٥﴾ الآية (35) من سورة الرَّحْمَن. وقوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٤١﴾ الآية (41) من سورة الرَّحْمَن. فالإشباع ظاهر في الثقلان، شواظ نار، نحاس، تنتصران، بالنواصي و الأقدام... إلخ، وهذا النوع من الإشباع والمدّ يكون ضمناً وليس في آخر الكلمة .

¹ أحمد الباي، دور التنعيم في التواصل اللساني، ص 08.

* المدّ المعنوي هو من الأغراض الدلالية بعد التصويت، ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 03، ط 1983، ص 122، 133.

² ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج 01، ص 259.

4- ويقوم التّغيم بوظيفة دلالية من خلال تنوع الأنماط التّغيمية للبنية التركيبية الواحدة. فقد درج القدماء إلى تصنيف الإستفهام ضمن أصناف عديدة منها "دلالات بمعنى الخبر وأخرى بمعنى الإنشاء فأما التي بمعنى الخبر فيدخل تحتها: التّفني والإثبات والافتخار والتّوبيخ والعتاب والتّكثير والتّفجع... ويدخل في نطاق تلك بمعنى الإنشاء: الأمر والتّهي والتّحذير والتّعجب..."¹، كما أنّ الجملة الخبرية تختلف عن الإنشائية في طبيعة التلفظ؛ "لأنّ الجملة الخبرية تكون نبرتها العامة ميّالة إلى قطعية الحدوث، وإلى الصّرامة في تقدير الأحداث؛ ولذا فهي تتضمّن بعض المؤكّدات التي تعزّز للسامع وقوع ذلك الحدث؛ أمّا الجمل الإنشائية فإنّ نبرتها الصوتية تميل إلى نوع من التّلطف؛ لأنّه يقصد من ورائها التّأثير في السّامع وحمله على الالتزام والاستجابة"²، إنطلاقاً من هذا نكاد نجزم أنّ التّغيم الموسيقي الحاضر في الجمل هو المنفذ المؤدّي إلى الدّلالة المقصودة، ففي مبحث الإستفهام يكتسب التّغيم في سورة الرّحمن أهميّة عظيمة نظراً لوروده مكرّراً بحوالي (31)، مرّة إضافة إلى غيره من إستفهامات ضمنيّة قد يختلف تغيمها بين الصّاعد والهابط حسب الغرض المجازي فقد أطر التّغيم الصّاعد خروج الاستفهام إلى معنى الاستبعاد والافتخار والأمر والتّأكيد والتّبكيث والتّحذير والتّحضيص والتذكير والتشويق والتّعجب والتّعظيم والتّفخيم... في حين كانت النّعمة الهابطة تصحب خروج الاستفهام إلى معنى الاستبطاء والإسترشاد والاكتفاء والإنكار والإيأس والإيناس والتّجاهل والتّحقير والتّفجع والتّهكم والتّوبيخ والدّعاء والعتاب"³، ونلمس هذا من خلال تكرير قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ الآية (13)، فالنّعمة هنا هابطة؛ لأنّ الله عزّ وجلّ ينكر على خلقه إرتيابهم وشكّهم وتكذيبهم بنعمه عزّ وجلّ، فأمدّهم بالأدلة والبراهين من ترغيب وترهيب عن طريق تصوير مشاهد قرآنية لآياته الواضحة التي لا يمكن أن ينكرها العاقل، وهو ما أكده الزّركشي⁴ "فالاستفهام الذي يكون بمعنى الخبر هو ضربان أحدهما نفي. وإثبات، فالوارد للنّفي يسمى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير؛ لأنّه

¹ جلال الدّين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج 02، ص 79، 81.

² مزاحم مطر حسين، أثر التّغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني _الاستفهام أمودجا، مجلّة القادسية، الآداب والعلوم التربويّة، المجلد 06، العددان 03 و 04، 2007م، ص 41.

³ نفسه، ص 43. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، ج 01، ص 191، 193.

⁴ الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 02، ص 344.

يطلب بالأول إنكار المخاطب وبالثاني لإقراره به " وقد "يستعمل الإنكار كذلك للتقرير والتكذيب"¹. نجد مجسداً في الآية السابقة الذكر، فهو تكذيب لمعشر الجن والإنس، وتقرير لنعمه وآياته.

5- وهناك من الدلالة التنغيمية للنهي الممزوج بالنداء فهو بمثابة الأمر، وقد "يأتي الأمر والنهي بلفظ الخبر"²، ونلمس هذا في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠١﴾﴾ الآية (09). وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾﴾ الآية (33)، حيث أنه في الآية الأولى أمر بإقامة الوزن بالقسط وحذر ونبه من الخسران، أما في الثانية فهو بطريقة خبرية يستعمل النداء لمعشر الجن والإنس معاً، أمراً إليهم بالنفوذ والهروب إن أمكنهم ذلك مع تنبيههم أنهم لن يستطيعوا ذلك إلا بسطان (يعني بقدرة قادر)، فهو يخبرهم بشيء محقق آنفاً.

من خلال هذا نجد أن المعاني تصبح تتلعب بالألفاظ، فيما يكون التنغيم بخاصة والأداء بعامة دليلاً على الدلالات والمقاصد، هنا يمكننا القول: إن التنغيم يقوم برفع اللبس الدلالي بين الجمل.

المبحث الثالث: أنواع التنغيم في سورة الرحمن: (دراسة تحليلية لصوت الشيخ عبد الرحمن السديس)

حقيقة أن الأذن الإنسانية تسمع وتستلذ درجات الأصوات على اختلافاتها ضمن توالي المقاطع الصغرى والكبرى، صعوداً وهبوطاً واستقراراً؛ فإن التنغيم يشتمل توالي المقاطع وفق درجات مختلفة منها: **التغمة الصاعدة**: وهي درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علواً منها و يرمز لها بـ(↑)، **التغمة الهابطة**: وهي وجود درجة عالية في المقطع أو أكثر تليها

¹ حسن جمعة، جمالية الخبر والإنشاء - دراسة جمالية بلاغية نقدية، ص 153، 154.

² أحمد البايي، القضايا التطريزية، ج 01، ص 282.

درجة أكثر انخفاضاً منها ويمز لها بـ(↓)، التَّعْمَةُ المستوية: ومعناها وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها محدّدة، وقد تكون هذه الدّرجات قليلة أو متوسّطة أو كثيرة يرمز لها بـ(←)¹.

إنّ كلّ نَظْمٍ تَغِيْمِيّ يتكوّن من عدد فونيمات الطبقيّة الصوتيّة، وإنّ لم يُتبع النّطق مباشرة بنطق آخر، فإنّ الصّوت يحبو ويستمرّ في ذلك حتّى يصل إلى الوقف.

1-التعريف بالشيخ عبد الرحمن السديس: " هو عبد العزيز عبد الرحمن ابن عبد العزيز بن عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز بن محمّد بن عبد الله (الملقب بالسديس)، ويرجع نسبه إلى (عترّة) القبيلة المشهورة، ولد في الرياض عام 1392 هـ.

-نشأته ودراسته:- نشأ في الرياض والتحق بمدرسة المثنى بن حارثة الابتدائية، ثم بمعهد الرياض العلمي. وكان من أشهر مشايخه فيه: الشيخ عبد المنيف، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن التويجري وغيرهما. - حفظ القرآن في سنّ الثانية عشرة، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرّج فيها عام 1403هـ. - عُيّن معيدا في كلية الشريعة بعد تخرّجه فيها في قسم أصول الفقه، وفي عام 1404 هـ صدر التّوجيه الكريم بتعيينه إماما وخطيبا في المسجد الحرام، وفي 1409هـ تحصّل على درجة الماجستير ثم الدكتوراه في 1416 هـ.

-أعماله الدّعوية:- دروس بعد صلاة المغرب في المسجد الحرام في فنون العقيدة والفقه والتفسير والحديث مع المشاركة في الفتوى. - عضو في العديد من الهيئات منها ما رشّحه لها العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، وهي الهيئة الشّرعية للإغاثة الإسلاميّة التابعة لرابطة العالم الإسلامي.

-مؤلّفات وأبحاثه: له إهتمامات علميّة عديدة منها:

- المسائل الأصوليّة المتعلقة بالأدلة الشّرعيّة التي خالف فيها ابن قدامة الغزالي.

- الواضح في أصول الفقه (دراسة وتحقيق)

¹ إمراة الحسن، أنواع التّغيم في سورة الزّمر-دراسة تحليليّة صوتيّة في تقويم مرثّل عبد الرحمن السديس، دط، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلاميّة بمالانج، كلية العلوم الإنسانيّة والثّقافة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2010م، ص 25، 26.

- دور العلماء في تبليغ الأحكام الشرعية
- التعليق المأمول على ثلاثة الأصول.
- تهذيب بعض موضوعات الأصول على منهج السلف رحمهم الله (العناية بإبراز أصول الحنابلة رحمهم الله، وخدمة تحقيق بعض كتب التراث في ذلك)¹.

2-تحليل التنغيم في سورة الرحمن:

بعدها استمعنا بتمعن لترتيل عبد الرحمن السديس، مع النظر إلى المصحف من سورة الرحمن مع احترام توالي وتتابع الآيات الكريمة لاكتشاف أنواع التنغيم وتحليلها فوجدت:

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرَّحْمَنُ ﴿١﴾) (↑). في هذه الآية تقع قمة التنغيم الصاعد على (الرحمن)، وهي جملة إخباريّة.

(عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾) (←) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم المستوي على (القرآن)، وهي جملة خبريّة تعود على ما قبلها، فهي متعلّقة بها.

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾) (←) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم المستوي على (الإنسان)، وهي جملة خبريّة تقريرية تعود كذلك على ما قبلها، فهي متعلّقة بها.

(عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (البيان) وهي جملة خبريّة تعود كذلك إلى (الرحمن)، فهي متعلّقة بها وكانت النعمة على الوقفة النهائية التامة.

¹ ينظر: امرأة الحسني، أنواع التنغيم في سورة الزمر-دراسة تحليلية صوتية ، ص 33، 37. وينظر: موقع للأترنيت:

<http://vb.altareekt.com/t40776/13pm>

(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ نَحْسَبَانِ ﴿٥٠﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (حسبان) وهي جملة تقريرية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٥١﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (يسجدان) وهي جملة تقريرية كذلك، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٥٢﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (الميزان) وهي جملة خبرية تأكيدية، وكانت في الوقفة النهائية.

(أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٥٣﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (الميزان)، وهي جملة خبرية تأكيدية وتبهيية في آن واحد، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٥٤﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (الميزان)، وهي جملة أمر وهي في آن واحد، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿٥٥﴾) (↑) في هذه الآية تقع قمة التنغيم الصاعد على (الأنام) وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿٥٦﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (الأكمام)، وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿٥٧﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (الريحان) وهي جملة خبرية تأكيدية، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٣﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِيمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾) (↑) في هذه الآية تقع قمة التَّغْيِيمِ الصّاعد على (كالفخار)، وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النَّهائية الكافية.

(وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِيمِ الهابط على (نار)، وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٦﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِيمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾) (←) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِيمِ المستوي على (المغربين) وهي جملة تقريرية إثباتية تأكيدية، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِيمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِيمِ الهابط على (يلتقيان) وهي جملة خبرية إثباتية، وكانت في الوقفة النَّهائية الكافية.

(بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِيمِ الهابط على (يبغيان) وهي جملة تقريرية إثباتية تأكيدية، وكانت في الوقفة النَّهائية الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١١﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده

(تَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٢﴾) (↑) في هذه الآية تقع قمة التنغيم الصّاعد على (المرجان) وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٣﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده

(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿١٤﴾) (↑) في هذه الآية تقع قمة التنغيم الصّاعد على (الأعلام) وهي جملة خبرية تقريرية تشبيهية، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٥﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾) (↑) في هذه الآية تقع قمة التنغيم الصّاعد على (فان) وهي جملة تقريرية تأكيدية إثباتية، وكانت في الوقفة النهائية الخفيفة لتعلّقها بما بعدها.

(وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾) (←) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم المستوي على (الإكرام) وهي جملة تقريرية تأكيدية إثباتية، وكانت في الوقفة النهائية التامة لتمام المعنى.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده .

(يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾) (←)(←) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ ضمن موضعين مستويين هما (الأرض) وهي جملة استفهامية، وكذلك صوت (شأن) وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٠﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده .

(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (الثقلان) وهي جملة خبرية تقريرية تنبيهية فيها نوع من الوعيد المؤكَّد، وكانت في الوقفة النَّهائية الجائزة.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٣٢﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده.

(يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾) (↑) (↓) وتقع هنا قَمَّةُ التَّغْيِمِ ضمن موضعين. صاعدة على (فانفذوا) وهي جملة نداء وأمر شرطي، وكانت في الوقفة النَّهائية التامة، وهابطة على (سلطان) وهي جملة نهي واستثناء، وكانت في الوقفة النَّهائية الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٤﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّةُ التَّامَّةُ ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده .

(يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٢٥﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (تنتصران) وهي جملة خبرية تأكيدية إثباتية تقريرية بها ملامح النَّفْيِ، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّةُ التَّامَّةُ.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٦﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّةُ التَّامَّةُ ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده .

(فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٢٧﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (الدَّهَانِ) وهي جملة شرطية تقريرية، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّةُ الكافية نظرا لتعلقها بجواب الشرط.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّةُ التَّامَّةُ ما لم يتعلَّق ما قبلها بما بعده .

(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٩﴾) (↑) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّغْيِمِ الصَّاعِدِ على (جان) وهي جملة جواب شرط، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّةُ الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٤﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّة التَّامَّة ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده .

(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٥﴾) (↑)(↑) وفي هذه الآية تقع قمة التَّغْيِمِ الصَّاعِدِ ضمن موضعين على (سيماهم) وهي جملة خبرية إثباتية، وكانت في الوقفة الضمنية وصاعدة على (الأقدام) وهي جملة خبرية تقريرية مؤكدة، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّة الجائزة .

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٦﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّة التَّامَّة ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده .

(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٧﴾) (↑) وفي هذه الآية تقع قمة التَّغْيِمِ الصَّاعِدِ على (المجرمون) وهي جملة إثباتية تأكيدية، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّة التَّامَّة .

(يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَأَنْ ﴿٤٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التَّغْيِمِ الهابط على (آن) وهي جملة تقريرية خبرية، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّة التَّامَّة .

(فَبِأَيِّ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التَّغْيِمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة إستفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّة التَّامَّة ما لم يتعلَّق ما قبله بما بعده .

(وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٥٠﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التَّغْيِمِ الهابط على (جنتان) وهي جملة تقريرية إثباتية، وكانت في الوقفة النَّهَائِيَّة للمقرىء .

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّنْغِيمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّنْغِيمِ الهابط على (أفنان) وهي جملة خبرية وصفية وكانت في الوقفة النهائية للمقرىء.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّنْغِيمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّنْغِيمِ الهابط على (تجريان) وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥١﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّنْغِيمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّنْغِيمِ الهابط على (زوجان) وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قَمَّةُ التَّنْغِيمِ الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(مُتَّكِبِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾) (←)(↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغم الهابط ضمن موضعين، مستوية على (استبرق) وهي جملة خبرية تقريرية، وكانت في الوقفة النهائية الجائزة، وهابطة على (دان) وهي جملة خبرية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٥﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(فِيهِنَّ قَنَصَرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾) (↑) وفي هذه الآية تقع قمة التنغم الصاعد على (جان) وهي جملة خبرية تقريرية إثباتية، وكانت في الوقفة النهائية الخفيفة لتعلّقها بما بعدها.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٧﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغم الهابط على (المرجان) وهي جملة خبرية تشبيهية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٩﴾) (←) وفي هذه الآية تقع قمة التنغم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾) (↑) وفي هذه الآية تقع قمة التنغم الصاعد على (الإحسان) وهي جملة استفهامية إنكارية، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦١﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (جنتان) وهي جملة خبرية استئنافية، وكانت في الوقفة النهائية التامة.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٣﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(مُدَّاهَمَتَانِ ﴿٦٤﴾) (↑) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الصاعد على (مداهمتان) وهي جملة خبرية وصفية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٥﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾) (↑) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الصاعد على (نضّاختان) وهي جملة خبرية إثباتية، وكانت في الوقفة النهائية الخفيفة لتعلّق المعنى.

(فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٧﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(فِيهِمَا فَنَكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (رمان) وهي جملة خبرية إثباتية، وكانت في الوقفة النهائية الخفيفة لتعلّق المعنى.

(فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٦﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٦٧﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (حسان) وهي جملة خبرية إثباتية، وكانت في الوقفة النهائية الخفيفة؛ لأنّ ما بعدها صفات لها.

(فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٦﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٦٧﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (الخيام) وهي جملة خبرية إثباتية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية لتعلّقها بما بعدها.

(فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٧﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(لَمْ يَطْمِئِنِّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٦٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (جانّ) وهي جملة خبرية وصفية، وكانت في الوقفة النهائية الكافية لتعلّقها بما بعدها.

(فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٦٥﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٦٦﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (حسان) وهي جملة خبرية وصفية، وكانت في الوقفة النهائية التامة لتمام المعنى.

(فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (تكذبان) وهي جملة استفهامية غرضها الإنكار، وكانت في الوقفة النهائية التامة ما لم يتعلّق ما قبله بما بعده .

(تَبَرَّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾) (↓) وفي هذه الآية تقع قمة التنغيم الهابط على (الإكرام) وهي جملة خبرية تقريرية تأكيدية، وكانت في الوقفة النهائية التامة لتمام المعنى، وختاماً للسورة القرآنية الكريمة.

3- جدول توضيحي للتنغيم في سورة الرحمن:

| التنغيم الصاعد | | | |
|----------------|----------|-----------|-------------------------|
| الرقم | الكلمة | رقم الآية | نوع الجملة |
| 01 | الرحمن | 01 | إخبارية |
| 02 | للأنام | 10 | خبرية تقريرية |
| 03 | الفخار | 14 | خبرية تقريرية |
| 04 | المرجان | 22 | خبرية تقريرية |
| 05 | الأعلام | 24 | خبرية تقريرية تشبيهية |
| 06 | فان | 26 | تقريرية تأكيدية إثباتية |
| 07 | فانفذو | 33 | نداء وأمر شرطي |
| 08 | جانّ | 39 | جواب شرط |
| 09 | سيماهم | 41 | خبرية إثباتية |
| 10 | الأقدام | 41 | خبرية تقريرية تأكيدية |
| 11 | المجرمون | 43 | إثباتية تأكيدية |
| 12 | جانّ | 56 | خبرية تقريرية إثباتية |
| 13 | الإحسان | 60 | استفهامية إنكارية |

| | | | |
|---------------------------------|----|-------------------------|----|
| مدھامتان | 64 | خبرية وصفية | 14 |
| نضّاختان | 66 | خبرية إثباتية | 15 |
| التّغيم المستوي (المسطح) | | | |
| القرآن | 02 | خبرية | 01 |
| الإنسان | 03 | خبرية | 02 |
| المغربين | 17 | تقريرية اثباتية تأكيدية | 03 |
| الإكرام | 27 | تقريرية اثباتية تأكيدية | 04 |
| الأرض | 29 | استفهامية | 05 |
| شأن | 29 | تقريرية | 06 |
| استبرق | 54 | خبرية تقريرية | 07 |
| التّغيم الهابط | | | |
| البيان | 04 | خبرية | 01 |
| حسبان | 05 | تقريرية | 02 |
| يسجدان | 06 | تقريرية | 03 |
| الميزان | 07 | خبرية تأكيدية | 04 |
| الميزان | 08 | خبرية تأكيدية تنبيهية | 05 |
| الميزان | 09 | أمرية بها هي | 06 |
| الأكمام | 11 | خبرية تقريرية | 07 |
| الرّيحان | 12 | خبرية تأكيدية | 08 |
| تكذّبان | 13 | استفهامية إنكارية | 09 |
| نار | 15 | خبرية تقريرية | 10 |
| تكذّبان | 16 | استفهامية إنكارية | 11 |
| تكذّبان | 18 | استفهامية إنكارية | 12 |
| يلتقيان | 19 | خبرية إثباتية | 13 |

| | | | |
|-------------------|----|---------|----|
| تقريرية إثباتية | 20 | يغيان | 14 |
| إستفهامية إنكارية | 21 | تكذبان | 15 |
| إستفهامية إنكارية | 23 | تكذبان | 16 |
| إستفهامية إنكارية | 25 | تكذبان | 17 |
| إستفهامية إنكارية | 28 | تكذبان | 18 |
| إستفهامية إنكارية | 30 | تكذبان | 19 |
| خبرية تنبيهية | 31 | الثقلان | 20 |
| إستفهامية إنكارية | 32 | تكذبان | 21 |
| فهي واستثناء | 33 | سلطان | 22 |
| إستفهامية إنكارية | 34 | تكذبان | 23 |
| تأكيدية إثباتية | 35 | تنتصران | 24 |
| إستفهامية إنكارية | 36 | تكذبان | 25 |
| شرطية تقريرية | 37 | الدهان | 26 |
| إستفهامية إنكارية | 38 | تكذبان | 27 |
| إستفهامية إنكارية | 40 | تكذبان | 28 |
| إستفهامية إنكارية | 42 | تكذبان | 29 |
| خبرية تقريرية | 44 | آن | 30 |
| إستفهامية إنكارية | 45 | تكذبان | 31 |
| تقريرية إثباتية | 46 | جنتان | 32 |
| إستفهامية إنكارية | 47 | تكذبان | 33 |
| خبرية وصفية | 48 | أفنان | 34 |
| إستفهامية إنكارية | 49 | تكذبان | 35 |
| خبرية تقريرية | 50 | تجريان | 36 |
| إستفهامية إنكارية | 51 | تكذبان | 37 |

| | | | |
|----|---------|----|-----------------------|
| 38 | زوجان | 52 | خبرية تقريرية |
| 39 | تكذبان | 53 | إستفهامية إنكارية |
| 40 | دان | 54 | خبرية |
| 41 | تكذبان | 55 | إستفهامية إنكارية |
| 42 | تكذبان | 57 | إستفهامية إنكارية |
| 43 | المرجان | 58 | خبرية تشبيهية |
| 44 | تكذبان | 59 | إستفهامية إنكارية |
| 45 | تكذبان | 61 | إستفهامية إنكارية |
| 46 | جنتان | 62 | خبرية استئنافية |
| 47 | تكذبان | 63 | إستفهامية إنكارية |
| 48 | تكذبان | 65 | إستفهامية إنكارية |
| 49 | تكذبان | 67 | إستفهامية إنكارية |
| 50 | رمان | 68 | خبرية إثباتية |
| 51 | تكذبان | 69 | إستفهامية إنكارية |
| 52 | حسان | 70 | خبرية إثباتية |
| 53 | تكذبان | 71 | إستفهامية إنكارية |
| 54 | الخيام | 72 | خبرية إثباتية |
| 55 | تكذبان | 73 | إستفهامية إنكارية |
| 56 | جان | 74 | خبرية وصفية |
| 57 | تكذبان | 75 | إستفهامية إنكارية |
| 58 | حسان | 76 | خبرية وصفية |
| 59 | تكذبان | 77 | إستفهامية إنكارية |
| 60 | الإكرام | 78 | خبرية تقريرية تأكيدية |

فاعتماداً على ما سبق ذكره حول درجات التّغيم في سورة الرّحمن يمكننا أن نقول: إنّ هناك حوالي (82) موضعاً مُنعمًا ضمن (78) آية، ينقسم بين أعلاها حضوراً ألا وهي النّعمة الهابطة مقدّرة بـ (60) مرّة، ثمّ النّعمة الصّاعدة بـ (15) مرّة وصولاً إلى المسطّحة بـ (07) مرّات، وهو ما يعكس حقيقة الوظائف التّعبيريّة الانفعاليّة والتركيبيّة وصولاً إلى الدّلالة المنشودة لسورة الرّحمن إنطلاقاً من تصويت المقرئ المُجيد عبد الرّحمن السّديس.

خاتمة

خاتمة

إنّ تحديد الهدف ورسم الغاية يُساعدان لبلوغ المرام، ولقد حرصت على أن تكون الغاية من البحث خدمة اللسان العربيّ على العموم، وكتاب الله عزّ وجلّ على وجه الخصوص، لذلك أعملت الفكر في رصد المعارف البائيّة للغرض من القرآن الكريم، فعملت على دراسة كلاً من الوقف والتّنعيم من اختلافات القراءات القرآنية محاولاً إستنطاق سورة الرّحمن (عروس القرآن)، فاختبرت بعض الفرضيات قصد التّأكد من صلاحيتها وخلصت إلى مجموعة من التّائج عن طريق البحث والتّنقيب أهمّها:

1- الوقف ليس إجراء عفويّاً يقوم به القارئ على وجه التّشهي، بل هو عنصر أدائيّ يخضع لقواعد مضبوطة تربطه بالإعراب والمعنى، لهذا لا يمكننا إهماله وقوفاً عند العلائق بين الملفوظ والمقصود.

2- إنّ علماء القراءة واللّغة أسهموا بشكل كبير في تقديم منهج متكامل للأداء القرآني قائم على أصول صوتيّة، وقد إستطاعوا تسجيل مجموعة من الظواهر الصوتيّة البائيّة، والموقعة لتلاوة القرآن الكريم أهمّها: الوقف والتّنعيم.

3- الوقف هو العنصر الفارق في تحديد العناصر اللّغوية للجملّة الدّالة على المعنى المقصود، فيقسّم التّركيب وبيّنه عن طريق الأداء اللازم لإنجاز سلسلة كلاميّة ما.

4- إنّ حكم الوقف يرتبط إرتباطاً وثيقاً بقرائن تختلف باختلاف التّفسير والإعراب والقراءة، فالوقف عند العلماء لم يكن من جنس الرواية، بل كانت هناك مرونة في تحديد مواضعه عن طريق الاجتهاد والتّرجيح.

5- إنّ للوقف والتّنعيم وظائف إنفعاليّة تعبيرية، تركيبية، دلاليّة وبلاغيّة تسوق مستويات اللّغة الصوتيّة والصّرفية والتّحوية والدّلالية والبلاغيّة، فيزول اللبس والغموض والإبهام وتندفع التوهّمات المفسدة لهم جميعاً.

6- تشكّل قراءة القرآن الصّحيحة حلقة الوصل الأهمّ بين التّزليل الحكيم في آياته البيّنات والمستمع المتلقّي عن طريق الظواهر الصوتيّة كالوقف والتّنعيم لصنع تنوّع إيقاعيّ، ومن ذلك بلوغ مستوى التّعبير عن مضامين الرّسائل القرآنيّة المتوخّاة.

خاتمة

- 7- الحفاظ على درجات التنغيم وتنوعاتها من صاعدة وهابطة ومسطحة يبعث في المستمع نوعاً من الخشوع والحزن والانفعال والفرح... إلخ حسب تطرير الآيات الكريمة التي تساهم في فنية التصوير والتعبير عن المشهد .
- 8- تنزود الحروف العربية أثناء تصويتها بشحنات إيقاعية تجعلها تنفرد عن باقي اللغات الأخرى عن طريق الخفة المتولدة من الأنسجة الموشحة للتصوص القرآنية على وجه الخصوص.
- 9- إن الوقف والتنغيم مكوّنان إيقاعيان لأنواع المقاطع وتواليها وصولاً إلى التنوع والتوازي والتوازن المراد، فكلاهما يعملان على تنظيم القول وبناء المكوّن التركيبي؛ بل وقد يُجبران التركيب على إعادة النسيج وصولاً إلى سلطة الإيقاع الحاضرة في كلّ كلام باستمرار.
- 10- ذروة التنغيم القرآني تقوم على أثر كلّ من جرس الألفاظ وتكرارها لحركاتها، حروفها، مقاطعها، كلماتها، آياتها وفواصلها عن طريق تنوع الإيقاع الموسيقي للقرآن الكريم قصد إحداث اللذة والتفاعل مع الدلالة.
- 11- عدم وقوع صوتين متّحدين أو متماثلين جنباً لجنب في الكلمة القرآنية؛ لأنّ رصّها مع بعضها يحدث صعوبة في النطق، وحين حدوثها يُتخلّص منها بتناسق الحركات، أو بزيادة حركة، أو تحريك ساكن تحريكاً مناسباً.
- 12- قد دبّ في روح النصّ القرآني نوع من الخفة المتولدة عن التّمائل والتوازي بين مخارج الحروف وصفاتها من جهر وهمس (فسيفساء)، إذ تعدّ من الأنسجة الموشحة والمعبرة عن ما خفي من مجاهله.
- 13- إنّه لا تكرار ولا حشو في كلم القرآن، فكلّ مفردة وكلّ آية موضوعة ضمن التّظم لفوائد إيقاعية ودلالية وبلاغية، وبتحريفها يحتلّ التوازن وتضطرب المعاني ويشدّ الإيقاع، ومن فوائد التّكرار (التكرير): التذكير والتدبّر والتأكيد والتقرير والتنبية والتّهويل...
- 14- ورود بعض الحروف في فواصل القرآن له دلالات إضافة إلى التوازن الإيقاعي، وهو ما نجده يتنوّع في سورة الرّحمن بين (آن)، (آم) و(آر).

خاتمة

15- تساهم أحكام التلاوة مثل الوقف والتنغيم في تجميل الألفاظ والسيّاقات صوتيًا بتوقعها، وتساهم أيضًا في إظهار الدلالة وتقوية المعاني، وإعطائها القدرة على تحريك النفوس والتأثير فيها وإبعاد التوهّمات المفسدة لها.

فمن خلال ما سبق ذكره يتبيّن لنا أنّه لكلّ من الوقف والتنغيم مكانة في قراءات القرآن لا يمكن إغفالها من خلال الوظائف التي يؤديها كلّ منهما، والجمال الذي يُحدثانه شرط الدقّة في الملاحظة والاستماع، وهذه هي جملة النتائج المتوصّل إليها، التي قد تفتح بدورها المجال لبحوث ودراسات أُخرى في ميدان الوقف والتنغيم. ولا نجزم بالقول أنّنا قد استوفينا جميع الجوانب في دراستنا المتواضعة هذه؛ لأنّ ذلك أمر نسبيّ ولكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان.

وفي الأخير نأمل أن تظللّ مساعي الجهد المبذول في الدرس الصوتي للقرآن الكريم متواصلة على أن يعقب بحثنا بدراسات أخرى قصد التبحّر فيه، فهو باعث الرّوح من مرقد الحروف والأسطر والعبارات.

الملاحق

الملاحق

1. Aesthetics: الأستطيقا أو علم الجمال
2. Aisthesis: كلمة يونانية تعني الإحساس أو (عالم الأحاسيس)
3. Apicales alveolaire الأسنانية اللثوية
4. Avialairs liquides اللثوية المائعة
5. Bilabiales الشفوية المزدوجة
6. Consonnes زمرة الأصوات الصامتة
7. Falling نغمة مستوية
8. Fricatives الأصوات الرخوية أو الاحتكاكية
9. Inter dentales بين الأسنانية
10. Intonation contour منحنى تنغيميّ عام
11. Intonation التنغيم
12. Joncture المفصل
13. Labiodantales الشفوية الأسنانية
14. Laryngales الحنجريّة
15. Level تنغيم مرتفع
16. Levels PLs التدرج صعودا للواحدة
17. Liquides الحروف المائعة
18. Morphology تركيب الكلمات
19. Nasales الأصوات الأنفية (الخيثوميّة)
20. Oclusive الأصوات الشديدة الانفجارية
21. Offriquées الحروف الشديدة الرخوة
22. Pause السكّنة

الملاحق

23. Pharyngales الحلقية
24. Phonème الفونيم
25. Phonétique علم الأصوات
26. Phonologie الفونولوجيا
27. Poste palatales الحنكية الخلفية
28. Prépalatales الحنكية الأمامية
29. Rising tone تنغيم منخفض
30. Sonantes الجرسية
31. Sound الصوت
32. Sourdes الأصوات المهموسة
33. Soureles الأصوات المجهورة
34. Stop الوقفة
35. Syllabe* المقطع الصوتي
36. TCs Terminal contour نهاية عبارة
37. Traits Distinctifs صفات تمييزية
38. Transition الانتقال
39. Velaires اللهوية
40. Velorisation الإطباق
41. Voyelles زمرة الأصوات الصائتة

* المنقول من الأصل اللاتيني syllaba الذي يعود إلى اللفظ اليوناني syllabé وهي الصيغة التي عرّفها ابن رشد. ينظر: أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط01، دار المعرفة الجامعية، 1999م، ص 213.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

● القرآن الكريم:

1. مصحف برواية حفص عن قراءة الإمام عاصم بن أبي النجود ،عنيت بطبعه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة 1424 هـ.
2. مصحف برواية ورش عن قراءة الإمام نافع المدني ،عنيت بطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، مطبعة فضالة ، 1400هـ .

● المصادر:

1. ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1 تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1995م.
 2. الأجهوري عطية بن عطية ، إرشاد الرحمن لأسباب النزول والتاسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن، مجلد: 02، ط01، دار ابن خرم ، بيروت، لبنان ، 2009م.
 3. أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن _دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، دط، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 1992م .
 4. الأحمدي موسى بن محمد الملياني، معجم الأفعال المتعدية بحرف ، ط1، دار العلم للملايين ، 1979م .
 5. الأزراي تقي الدين أبي بكر علي عبد الله الحموي ، خزنة الأدب، ج1، تحقيق: عصام شعيتو، ط1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1887م.
 6. الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق : أحمد عبد العليم الجاوي ، دط ، الدار المصرية للتأليف والنشر، دت.
 7. الأشموني أحمد بن عبد الكريم.
- منار الهدى في الوقف والابتدا ، ط2 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، 1983م .

قائمة المصادر والمراجع

8. - منار الهدى في بيان الوقف والإبتدا ، دط ، دار المصحف، دمشق، سورية ، دت .
9. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، أعدّه للنشر محمد أحمد خلف الله، دط، مكتبة الأنجلو
مصرية، القاهرة، 1970م .
10. الإمام المارغني، تحفة المقرئين والقارئین، رسالة بهامش النجوم الطوالع على الدرر اللوامع.
11. إمراة الحسنی ، أنواع التنعيم في سورة الزمر_دراسة تحليلية صوتية في تقويم مرتل عبد الرحمن
السديس ، دط ، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية بمالانج ، كلية العلوم الإنسانية
والثقافة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م .
12. الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم ، إيضاح الوقف والابتداء، ج1 ، تحقيق: محي الدين عبد
الرحمن رمضان ، دط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1390هـ ، 1971م .
13. أنس بن مالك ، الموطأ ، صححه ورقمه ونشره محمد فؤاد عبد الباقي ، ج1 ، دط، دار إحياء
الكتب العربية، 1370هـ، 1951م.
14. البايبي أحمد ، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج
01 ج02، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م .
15. البقاعي أبو الحسن ، كتاب الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات ، تحقيق: محمد مطيع
الحافظ ، ط1، دار الفكر ، بيروت ودار الفكر، دمشق، 1466هـ، 1996م .
16. البكري أبو عبيد ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ج1 ، تحقيق: إحسان عباس، عبد
المجيد عابدين، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
17. التواتي بن التواتي ،
- القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقهاء الإسلاميين ، دط ، دار الوعي للنشر
والتوزيع ، الرويبة ، الجزائر، 2008م .
18. - المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ط2، دار الوعي، الجزائر
2008م .

قائمة المصادر والمراجع

19. الثعالبي عبد الرحمن ،
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج4، تحقيق: عمّار الطّالبي ، دط ، المؤسسة الوطنيّة
للكتاب ، الجزائر ، دت .
20. - فقه اللّغة وسرّ العربيّة، دط ، دار الفكر، بيروت ، دت .
21. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ،
- البيان والتبيين، ج 1 ، دط ، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان ، 1968م.
22. - البيان والتبيين،، ج3، ج1، ج1 تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، ط4، ط5 مكتبة
الخانجي ، القاهرة، 1969م ، 1985م، دت (..على التّوالي).
23. الجرجاني أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد ،
- ديوان الحماسة، ج2، تحقيق: محمد التّنجي، دط ، دار الكتاب العربي ،
بيروت، 1995م.
24. - دلائل الإعجاز، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان 1995م.
25. الجزري أبو السّعادات المبارك بن محمّد ، النّهاية في غريب الأثر، ج2 ، تحقيق: طاهر أحمد
الرّازي، محمود محمد الطنّاجي، ط2، المكتبة العلميّة ، بيروت: 1399هـ/1979م.
26. ابن الجزري الإمام شهاب الدّين أبي بكر أحمد بن محمّد بن محمّد الدّمشقي ،
- تقريب النّشر في القراءات العشر، تحقيق: إبراهيم عطوة ، ط1، عرض الباب الحلبي
مصر، 1961م.
27. - منجد المقرئين ، تحقيق: عبد الحيّ الفرماوي ببعض التصرف ، ط2، القاهرة ، دت .
28. - شرح طيبة النّشر في القراءات العشر، ضبطه وعلّق عليه: أنس مهره ، ط2 ، دار الكتب
العلميّة، بيروت، لبنان، 2000م .
29. - التّمهيد في علم التّجويد ، تحقيق: فغانم قدوري محمد ، ط4 ، مؤسّسة الرّسالة ، 1997م .
30. ابن جنّي أبو الفتح عثمان ،
- سرّ صناعة الإعراب،، ج 01 ، تحقيق: حسن هندراوي ، ط01، دار القلم ، دمشق، 1985م

قائمة المصادر والمراجع

31. - الخصائص ، ج1، تحقيق: محمد علي النجّار ، دط ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، دت.
32. - الخصائص، ج2، تحقيق، محمّد علي النجّار ، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983م.
33. - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج2، تحقيق: علي النّجدي ناصف، عبد الحلّيم النجّار، عبد الفتّاح إسماعيل شلي ، دط ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء كتب السنّة، القاهرة، مصر، 1994م.
34. الجوزي أبو الفرج جمال الدّين بن علي بن جعفر ، المدّش ، ج1 ، تحقيق: مروان قبّاني، ط2 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت 1985م.
35. الجوهري محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي زين العابدين ، مختار الصّحاح ، ج1، دط ، دار الكتب العلميّة ، 2002م.
36. الحسن بن محمد بن الحسن الصّغاني، العباب الزّآخر واللبّاب الفآخر ، تحقيق: الشّيخ حسن آل ياسين ، دط ، مطبعة دار الرّشيد العراق ، 1981م .
37. الحصري محمود خليل ، معالم الاهتداء في الوقف والابتداء، دط ، مطابع شركة الشّروق ، القاهرة ، دت.
38. حياة بن خليل بن محمّد بن حسنين ، المبتكر المفيد في علم التّجويد ، ط4، دار المحمّدي للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، 2009م .
39. أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط ، ج5 ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، أحمد النجولي ، ط1، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان ، 2001م.
40. أبو حيان التّوحّيدي ،
- المقابسات ، تحقيق : حسن السندوي ، ط1 ، المطبعة الرّحمانية ، مصر، 1929م .
41. - المقابسات ، ط2 ، دار الأدب ، بيروت ، 1989م .
42. - مثالب الوزيرين ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، دط ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دت.

قائمة المصادر والمراجع

43. ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، إعراب القراءات السبع وعللها، ج2 ، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1992م.
44. ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين ، مقدّمة العلامة ابن خلدون ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان، 1424 هـ/ 2003م .
45. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، مجلد: 05 ، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دط، مطبعة الرسالة، الكويت، 1400هـ، 1980م .
46. الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد ، المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، ط2 ، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1987م .
47. الرازي فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي:المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج21 ، قدّم له: خليل محي الدين الميس، دط، دار الفكر ، بيروت لبنان، 1995م.
48. ابن رشيق،العمدة ، ج1، تحقيق : محمد يحيى بن عبد الحميد ، ط5 ، دار الجليل ، بيروت ، 1980م.
49. الرمّاني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ،
- التّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، ط2 ، دار المعارف بمصر، 1969م .
50. - رسالتان في اللّغة، ج1، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دط ، دار الفكر للنشر والتّوزيع، عمان ، 1984م .
51. الرّمّة ، ديوان ذي الرّمّة، تصحيح وتنقيح: كارليل هندي هيس مكارتي ، دط، طبع لكلية كامبردج ، 1337هـ، 1919م .
52. الزبيدي ، تاج العروس من جوهر القاموس، مج24 ، مجموعة من المحققين ، مادّة وقف، دط، حكومة الكويت ، دت.
53. الزّرقاني محمّد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج1 ، دط ، مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة ، القاهرة ، 1980م.
54. الزّركشي بدر الدين محمد بن عبد الله

قائمة المصادر والمراجع

- البرهان في علوم القرآن ، ج03، تحقيق: أبي الفضل الدميّاطي، ط01، القاهرة ، دار الحديث، 2006م .
55. - البرهان في علوم القرآن، ج01، تحقيق: أحمد أبو الفضل ، دط، دار المعرفة، بيروت ، 1972م.
56. الزركلي خير الدين ، الأعلام (قاموس تراجم المشهورين)، ج7، ط3، بيروت، لبنان، 1969م.
57. الزمخشري، أساس البلاغة ، ج01، راجعه وقدم به إبراهيم قلاطي، دط، طبعة دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، دت . وط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.
58. السّجّاوندي أبو عبد الله محمد بن طيفور ،
- علل الوقوف ، ج1 ، ط1 ، مكتبة الرّشد-الرياض، 1994م.
59. - علل الوقوف، ج1، تح: بن محمد العيدي، ط2 ، مكتبة الرّشد، الرياض، السعودية، 2006م
60. السّخّاوي ، جمال القراء وكمال الإقراء ، ج2، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي، ط1، دار البلاغة ، بيروت، لبنان، 1993م.
61. سناء حميد البيّاتي ، التّنغيم في القرآن الكريم ، دراسة صوتيّة ، جامعة بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي للدراسات الإسلاميّة ، 2007م .
62. السيّد رزق الطويل، في علوم القراءات_مدخل ودراسة وتحقيق ، ط1 ، المكتبة الفيصلية ، مكّة المكرّمة ، 1985م .
63. سيّد قطب ، التّصوير الفنّي في القرآن ، دط ، دار الشّروق، القاهرة _ طبعات مختلفة (محمّل من الموقع الإلكتروني: www.al_mostafa.com).
64. السيوطي عبد الرّحمن الحافظ جلال الدّين ،
- الإتقان في علوم القرآن ، ج02، تحقيق: مرسي عبد الحميد، عوض هيكّل، ط1، دار السّلام للطباعة والنّشر، القاهرة، 2008م .

قائمة المصادر والمراجع

65. - أسباب النزول_ لباب التّقول في أسباب النزول ، ط1 ، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، لبنان، 2002م.
66. - المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، ج1 ، تحقيق: فؤاد علي منصور. ط1، دار الكتب العلميّة ، بيروت، 1998م .
67. - مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع _ بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتمها، ط1، مكتبة دار المنهاج للنّشر والتّوزيع ، الرياض السعوديّة، 1426هـ .
68. الشّافعي محمد بن إدريس ، الأمّ ، ج4 ، دط ، مطبعة محمّد زهري النّجار ، مصر ، دت.
69. شعبان محمّد إسماعيل ، القراءات_أحكامها ومصدرها ، ط1، دار السّلام للطباعة والنّشر، 1406هـ، 1986م .
70. الشّوكاني محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج5 ، دط ، دار الفكر بيروت ، لبنان ، دت.
71. الصّاوي أحمد المالكي ، حاشيّة العلامة الصّاوي على تفسير الجلالين، ج4، دط ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت، لبنان، دت .
72. الطّبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج8 ، دط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، دت .
73. الطّيب دبه ، مبادئ اللّسانيات البنيويّة_دراسة تحليليّة إستمولوجيّة، دط ، جمعيّة الأدب للأستاذة الباحثين، دت .
74. عبد الرّحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي السعيد ، أسرار العربيّة ، ج1 ، تحقيق ، فخر صالح قدارة ، ط1 ، دار الجليل ، بيروت، 1995م.
75. عبد الكريم الخطيب،
- نظرات في سورة الرّحمن ، ط1، إصدار عن مؤسّسة أخبار اليوم ، السعوديّة، 2001م .
76. - إعجاز القرآن، ج2، ط1 ، دار الفكر العربي، مصر ، 1964م.
77. عبد الكريم الموصلّي أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله ، المثل السائر، ج1 ، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1988م .

قائمة المصادر والمراجع

78. العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين
- إملاء ما منّ به الرَّحْمَنُ، ج 01، 02، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1979م.
79. - إملاء ما منّ به الرَّحْمَنُ من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1986م
80. - مسائل خلافيّة في النّحو، ج 01، تحقيق: محمّد خير الحلواني، ط1، دار الشّرق العربي، بيروت، 1992م.
81. الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد، الحجّة في علل القراءات السبع، ج 1، تحقيق: علي التّجدي ناصف، عبد الحلّيم النّجار، عبد الفتّاح شبلي، ط2، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1983م.
82. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، مادّة وقع، دط، دار الجليل، بيروت، لبنان، دت.
83. القبّاقبي بن أبي بكر شمس الدّين بن عبد الله (777هـ-849هـ)، إيضاح الرّموز ومفتاح الكنوز - الجامع للقراءات الأربعة عشر، تحقيق: فرحات عيّاش، ط5، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، 1995م.
84. ابن قتيبة أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الكوفي المروزي الدّينوري، أدب الكاتب، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، ط4، المكتبة التجاريّة، مصر، 1963م.
85. القرطاجني أبو الحسن حازم،
- مناهج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب خوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
86. - مناهج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب خوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
87. القرطبي أبو عبد الله بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ج10، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1993م.
88. القزويني، الإيضاح في البلاغة، دط، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت.

قائمة المصادر والمراجع

89. القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 2، تحقيق: يوسف علي طويل، ط1، دار الفكر ، دمشق 1987م.
90. ابن القيم، روضة المحبين ، دط، دار الكتب العلميّة،بيروت ، 1983م.
91. ابن كثير الحافظ عماد الدين القرشيّ الدمشقيّ ، تفسير القرآن العظيم ، مج4 ، قدّم له: عبد القادر الأرنؤوط ، ط2 ، مكتبة دار الفيحاء بدمشق ، مكتبة دار السّلام بالرياض ، 1418هـ ، 1998م.
92. الكرمانى أبي العلاء ، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، تحقيق:عبد الكريم مصطفى مدلج ، ط1 ، دار ابن الحزم للطباعة والنّشر ، بيروت، لبنان، 2001م .
93. الكرمانى محمود بن حمزة ، أسرار التّكرار في القرآن _ المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دط، دار الفضيلة، دت .
94. كمال بشر ، علم الأصوات ، د ط ، دار الغريب ، ت. ن ، 2000 م .
95. كمال الدّين عبد الغنى المرسي ، فواصل الآيات القرآنيّة ، ط1 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1999م .
96. المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تغيّر المعاني النحويّة من خلال سورة النّساء ، ط1، دار الوعي للنّشر والتّوزيع، الرويبة ، الجزائر ، 1432هـ/2011م .
97. المتنبّي أحمد بن الحسين ، الدّيوان، شرح ناصيف اليازجي، دط ، دار المعرفة، بيروت، دت
98. مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرّحمن بن محمّد بن قاسم وابنه محمّد ، مج 13 ، دط ، دار عالم الكتب للطباعة والنّشر ، الرّياض ، 1412هـ.
99. مراد عبد الرّحمن مبروك ، من الصّوت إلى النصّ_نحو نسق منهجيّ لدراسة النصّ الشعري ، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002م.
100. مرتاض عبد الملك ،
- نظام الخطاب القرآني_تحليل سيميائي مركّب لسورة الرّحمن ، ط01 ، دار هومة للنّشر والتّوزيع ، الجزائر، 2001م .

قائمة المصادر والمراجع

101. - الأدب الجزائري القديم_دراسة في الجذور ،ط3، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، دت.
102. المزيني خالد سليمان ، المحرّر في أسباب نزول القرآن_من خلال الكتب التسعة ، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، محرّم 1427هـ
103. ابن منظور،لسان العرب ،مادّة وقع ،مج11،دط،صادر بيروت،لبنان،سط24 ،مج8 ،دت.
104. مصطفى صادق الرافعي ،
- تاريخ آداب العرب_إعجاز القرآن، ج2، ط2 ، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،1974م.
105. - إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة ، ط8، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
106. المعافري أبو بكر بن العربي ، أحكام القرآن، ج3، تحقيق: عليب محمد البجاوي،دط،دار المعرفة،بيروت،دت.
107. مكّي بن أبي طالب أبو محمد حمّوش بن مختار ، مشكل إعراب القرآن، ج2 ، ط2، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1405هـ.
108. ملّا علي القارئ ، المنح الفكرية في شرح المقدّمة الجزرية ، دط ، مطبعة مصطفى الباوي الحلبي ، 1367هـ ، 1948م .
109. النحاس أبو جعفر أحمد بن يونس المرا ، إعراب القرآن ،ج04، علّق عليه:عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط1، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت،1421هـ.
110. النحاس أبو جعفر بن محمّد اسماعيل ، القطع والائتناف ، تحقيق: عبد الرّحمن المطرودي ، ط1، دار عالم الكتب، السعودية، 1992م.
111. النيسابوري أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني ، مجمع الأمثال،ج1 ، تحقيق: محمد محي الدّين عبد المجيد، ط2، دار المعرفة ، بيروت ،1988م.
112. أبو هلال العسكري ،
- الصناعتين_الكتابة و الشّعْر ، تحقيق : علي محمد البخاري ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط ، المكتبة العصريّة ، صيدا ، بيروت ، دت .

قائمة المصادر والمراجع

113. - الفروق في اللغة، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط07، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1991

م

114. الواحدي أبي الحسن علي بن محمد بن علي ، أسباب نزول القرآن ، رواية: بدر الدين الأريغاني ، ط1، دار الميمان ، السعودية، 2005م .

● المراجع:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1999 م .
2. إبراهيم محمد الجرمي ، معجم علوم القرآن_علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات ، ط1 ، دار القلم، دمشق، 1422هـ، 2001م.
3. أحمد أمين ، النقد الأدبي ، تقديم محمد طاهر مدور، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1967م.
4. أحمد فتحي عامر، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، دط ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، 1975م .
5. أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط01، دار المعرفة الجامعية، 1999م .
6. أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءته ، ط2 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1427هـ/2006م .
7. أدونيس، مقدّمة الشعر العربي، ط3، دار العودة ، بيروت، لبنان، 1979م.
8. أفنان عبد الفتاح النجار، إشباع الحركات في العربية بين الممارسة والتعليل ، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008 م .
9. الأنصاري ابن هشام ، نزهة الطّرف في علم الصرف ، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي ، دط ، مكتبة الزّهاء، القاهرة، 1990م .
10. الباجي أبو الوليد ، إحكام الفصول في أحكام الأصول ، مج1، تح: عبد المجيد التركي، ط2 ، دم ، 1995م.

قائمة المصادر والمراجع

11. بهجت عبد الواحد الشّخلي ، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز ، مج09 ، تحقيق: فضلت الحديد، ط1، مكتبة دنديس ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمّان ، 2001م.
12. تامر سلوم ، نظرية اللّغة والجمال في النّقد الأدبي ، ط01 ، دار الحوار للنشر والتّوزيع ، سورية اللاذقية ، 1993م .
13. تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة ، دط، دار الثقافة ، الدّار البيضاء، 1974م .
14. توفيق الزّبيدي ، مفهوم الأدبية في التّراث التّقدي ، ط2 ، منشورات عيون المقالات، الدّار البيضاء، 1987م .
15. التّونجي محمّد ، المعجم المفصّل في الأدب ، ج2، ط1 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت، 1413هـ ، 1993م .
16. الثّقفي أحمد بن إبراهيم بن الزّبير ، البرهان في تناسب سور القرآن ، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلّاح ، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية ، محرّم 1428هـ —
17. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1404هـ، 1984م.
18. حافظ محمد عبد الحي ، القواعد المشجّرة في فنّ القراءات العشر المتواترة ، تقديم عبد الرزاق الحلبي ، محمد كريم راجح، دط ، دار الكلم الطيّب ، دمشق ، بيروت ، 1428هـ ، 2007م .
19. حامد صالح الرّبيعي ، القراءة النّاقدة في ضوء نظريّة النّظم ، دط ، جامعة أمّ القرى ، مكّة المكرّمة، مركز بحوث اللّغة العربيّة وآدابها، 1417هـ/1996م .
20. حجازي محمود فهمي ، مدخل إلى علم اللّغة ، دط ، دار الثّقافة، القاهرة، 1978م .
21. حسام البهنساوي ، علم الأصوات ، ط1، مكتبة الثّقافة الدينيّة ، القاهرة ، مصر، 1425هـ، 2004م .
22. حساني أحمد ، مباحث في اللّسانيات ، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1994م .
23. حسن جمعة، جماليّة الخبر والإنشاء _ دراسة جمالية بلاغية نقدية، دط ، منشورات إتحاد الكتّاب العرب ، دمشق، 2005م .

قائمة المصادر والمراجع

24. حسن الغربي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر — ط01 ، إفريقيا الشرق ، المغرب، 2001م .
25. حسن عباس ، خصائص الحروف العربية ، د ط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1998م .
26. حسني عبد الجليل يوسف ، التمثيل الصوتي للمعاني _دراسة نظرية و تطبيقية في الشعر الجاهلي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1418هـ/1998م .
27. حلمي خليل ، مقدمة لدراسة علم اللغة ، ط 01 ، دار المعرفة الجامعية، 1999م .
28. الحمد غانم قدوري ، الدراسات عند علماء التجويد، ط1، دار عمّار، عمان ، 2003م .
29. الخوسكي زين كامل
- لغويّات، ط01، دار المعرفة الجامعية ، 1999م .
30. - لسانيّات من اللسانيّات ، د ط، جامعة الإسكندرية ، 2002م .
31. ذهبية محو الحاج ، لسانيّات التلقظ و تداوليّة الخطاب ، د ط ، دار الأمل للطباعة و النشر ، 2005م .
32. رابح بوحوش: البنية لبردة البصري، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993م .
33. أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقي الدين المصري ، إتفاق المباني وإفتراق المعاني، ج1 ، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، ط1، دار عمار ، عمان، 1985م.
34. رجب عبد الجواد إبراهيم ، موسيقى اللغة ، ط1، دار الآفاق العربية ، مدينة نصر ، القاهرة، 1423هـ /2003م .
35. رمضان محي الدين ، وجوه الإعجاز الموسيقي في القرآن ، ط1، عمان، دار الفرقان ، 1982م.
36. سعدي أبو حبيب، المعجم الفقهي، ط2 ، دار الفكر دمشق ، سوريا ، 1419هـ/1998م .
37. سعيد الأفغاني ، في أصول النحو، دط ، منشورات جامعة البعث، 1991م .

قائمة المصادر والمراجع

38. سعيد الحذري الشرتوني اللبناني ، أقرب الموارد في فصحح العربية و الشوارد، دط، بيروت، دت
39. سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ، دط، إربد، عالم الكتب الحديثة، 2005م .
40. سيد البحراري : العروض و إيقاع الشعر العربي _ محاولات إنتاج معرفة علمية ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتابة القاهرة، 1993م .
41. الشبراوي عبد العزيز ، موسوعة البيان لقراءة القرآن ، دط ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م .
42. الشيخ حسن والي ، كتاب الإملاء، ج1 ، دط، دار الكتب المصرية ، القاهرة (مصور)، دت.
43. صابر عبد الدائم ، موسيقى الشعر العربي بين التطور و الثبات ، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م .
44. صائل رشدي شديد ، عناصر تحقيق الدلالة في العربية _ دراسة لسانية ، ط1 ، الأهلية للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2004م .
45. صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام ، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986م.
46. الصباغ محمد بن لطفی ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ط3 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1410هـ، 1990م .
47. صبحي الصالح ،
- مباحث في علوم القرآن ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1983م.
- مباحث في علوم القرآن ، ط19 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1996م.
48. صبر حسن محمد أبو سليمان ، عمدة البيان في تجويد القرآن ، ط1، دار عالم الكتب ، الرياض، 1997م .
49. صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات _ الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني ، ط01 ، زهراء الشرق ، القاهرة ، 2006م .

قائمة المصادر والمراجع

50. صبيح التميمي ، دراسات لغوية في التراث القديم ، صرف نحو تركيب دلالة ، مناهج بحث ، ط01 ، 2003م .
51. الصغير محمد بن عبد الله ، دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، ط01، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1997م .
52. الطبري محمد بن جريري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج1 ، قدم له: خليل الميس، ضبط وتخرّيج: صدقي جميل العطار، دط ، دار الفكر ، بيروت، لبنان، 1995م.
53. الطوفي نجم الدين بن سعيد ، شرح مختصر الروضة ، مج2 ، ط1، دار الرسالة ، بيروت، لبنان، 1410هـ .
54. عبد الجليل عبد القادر ،
- الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، 1418هـ، 1998م .
55. - الأصوات العربية_ سلسلة الدراسات اللغوية، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م.
56. عبد الزهرة زبون حمود الربيعي ، تنعيم الجملة في القرآن الكريم ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، العراق ، 2013م .
57. عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي ، ط02 ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، 1405هـ ، 1985م .
58. عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ، ط3 ، مكتبة وهبية ، 1416هـ، 1996م .
59. عبد القادر منصور ، موسوعة علوم القرآن ، ط1 ، منشورات دار القلم العربي ، حلب ، سورية ، 1422هـ ، 2002م.
60. عبد الهادي صافي ، مقالات في بلاغة القرآن الكريم ، ط1 ، دار الإرشاد للنشر ، حمص، التّاعورة، 2010م .
61. عظيمة محمد عبد الخالق، المعني في تصريف الأفعال، دط ، دار الحديث، القاهرة ، 1988م
62. علي حسين البوّاب ، القراءات القرآنية والأحاديث الشريفة ، دط ، دار الفرقان للتوزيع والنشر ، عمّان ، الأردن، 1983م .

قائمة المصادر والمراجع

63. علي عبد المعطي محمد، راوية عبد المنعم عباس، الحس الجمالي وتاريخ التدوَّق الفني عبر العصور، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م.
64. علي محمد الضَّبَاع، الإضاءة في أصول القراءة، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1420هـ، 1999م.
65. علي مهنا، لسان اللسان_تهذيب لسان العرب، ج2، دط، دار الكتب العلمية 1413هـ/1993م.
66. عمر خليفة بن إدريس، البنية الإيقاعية في شعر البحتري_دراسة نقدية تحليلية، ط1، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، 2003م.
67. العمري محمد، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، ط1، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1990م.
68. عميش العربي، خصائص الإيقاع الشعري _ بحث في الكشف عن آليات تركيب لغة الشعر، دط، دار الأديب للنشر والتوزيع، 2005م.
69. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد،
- إحياء علوم الدين، ج1، ط3، دار القلم، بيروت، لبنان، دت.
70. - معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دط، شركة الشهاب للنشر والتوزيع الجزائر، تحت رقم 272 ت ن : 1989/04/08م.
71. غنيمي هلال محمد، قضايا معاصرة في الأدب والتقد، دط، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دت.
72. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر بيروت، 1399هـ/1979م.
73. ابن الفاصح علي، سراج القارئ المبتدئ وتذكرة القارئ المنتهى، دط، مكتبة الباني الحلبي القاهرة، دت.
74. الفراهي عبد الحميد، مفردات القرآن، تحقيق: محمد أيوب الإصلاحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

قائمة المصادر والمراجع

75. فوزي محمد الشايب ، قراءات وأصوات ، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع ، إربد الأردن. 2012 م .
76. الفيومي أحمد عبد التّوّاب، أبحاث في علم أصوات اللّغة العربيّة ، ط01 ، مطبعة السّعادة ، 1991م .
77. مايو عبد القادر محمود ، البلاغة المعاصرة _ معالم اللّغة العربيّة الفصحى لليافعين (مجموعة مقالات) ، تحقيق : أحمد عبد الله فرهود ، ط1 ، دار القلم العربي ، 2004 م .
78. مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة ، مج1، دط ، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة ، مصر ، 2003م.
79. محمد أحمد حنفي ، الموسيقى العربيّة قبل الإسلام حتى سيّد دويش ، دط، محيط الفنون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة، دت.
80. محمّد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ، ط2 ، المكتب الإسلامي، بيروت ، دار عمّار ، عمّان ، 1986م .
81. محمد زغلول سلام، النقد الأدبي الحديث ، دط، دار المعارف بمصر، القاهرة، دت.
82. محمّد سمير اللّبيدي ، أثر القرآن والقراءات في النّحو العربي، دط، دار الكتب الثقافيّة، الكويت، دت.
83. محمّد شاعري ، المختصر المفيد في قواعد التّجويد، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م .
84. محمد الصّادق فحماوي، البرهان في تجويد القرآن ، دط ، مكتبة الجامعة الأزهرية ، القاهرة ، 1972م .
85. محمد عبد الله الهبّاد ، الموسيقى في اللّغة و الأدب _ دراسة في كتاب التّصوير الفنّي في القرآن ، ط1 ، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 2009م .
86. محمد علي أبو ريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة. دط، الدار القوميّة للطباعة والنّشر، القاهرة، 1964م.

قائمة المصادر والمراجع

87. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1364 هـ .
88. محمد محمود عبد الله ، جمال القرآن وهيمته على التاريخ والعلوم ، دط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، دت .
89. محي الدين عبد القادر ، كفاية المستفيد في فنّ التجويد، دط، دارالعلم للملأين، دت .
90. مرتاض محمد ، مفاهيم جمالية في الشعر العربي_محاولة نظريّة تطبيقية ، دط، ديوان المطبوعات الجامعية ، دت .
91. المسدي عبد السلام ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، دط ، الدار التونسية للنشر، باب الخضراء، تونس، أوت 1986 م .
92. مصطفى ديب البغا ، محي الدين ديب مستو ، الواضح في علوم القرآن ، ط2 ، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، حلبوني ، 1418هـ-1998م .
93. مصطفى مندور ، اللغة بين العقل والمغامرة ، دط، منشأة المعارف ، الإسكندرية، مصر ، 1974 م .
94. ممدوح عبد الرحمن ، المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دط، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994 م .
95. متاع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، دط ، الناشر مكتبة وهيبة، عابدين القاهرة، دت .
96. ميشال إميل بديع يعقوب . المعجم المفصل في اللغة و الأدب، مج2 ، ط1. دار العلم للميادين ، بيروت ، دت .
97. ميشال عاصي ، الفنّ والأدب ، ط3 ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، لبنان ، 1980م
98. نبيل رشاد،العلاقات التصويرية بين الشعر والفنّ الإسلامي، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت
99. النمر عبد المنعم ، علوم القرآن الكريم ، ط2 ، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، 1983 م .

قائمة المصادر والمراجع

100. هادي نهر، علم الأصوات التّطقي _دارسات وصفية وتطبيقية ، ط1، عالم إربد للكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 1432هـ / 2011م .
101. هالة محبوب خضر، علم الجمال وقضاياها ، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر ، الإسكندرية، 2006م.
102. الهبيطي محمّد بن أبي جمعة ، تقييد وقف القرآن ، تحقيق: الحسن بن محمّد وكّاك ، ط1 ، مطبعة النّجح الجديدو ، الدّار البيضاء، 1411هـ، 1991م.
103. ياسوف أحمد ، جمال المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتّفسير، ط1 ، دار المكتبي، سورية ، دمشق، 1994م .
104. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، ج1 ، تحقيق: محمّد شاكر ،عبد السّلام محمد هارون، ط 4 ، دار المعارف القاهرة، 1949م.

● الكتب المترجمة:

1. جان كوهن ، بنية اللّغة الشعريّة ، ترجمة: محمد الوالي ومحمد العمري ، ط1، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، المغرب ، 1986م .
2. جان برتيليمي، بحث في علم الجمال، ترجمة أنور عبد العزيز، دط، دارفهمضة مصر، القاهرة، 1970م
3. جمال الدّين بن الشّيخ ، الشعريّة العربيّة ، ترجمة: مبارك حنون، محمد الوالي، محمّد أوراغ ، ط1، دار توبقال للنّشر 1989م .
4. جون ماري جويو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، ترجمة: سامي الدروبي، ط2، دار اليقظة العربيّة ، دمشق، 1965م.
5. رولان بارت ، مبادئ في علم الأدلّة، ترجمة: محمد البكري، دط، كليّة الآداب ، مراكش، الدّار البيضاء، فبراير 1986م .
6. ستولينتر جيروم ، التّقد الفنيّ_دراسة جمالية وفلسفية ، ترجمة: فؤاد زكريا ، ط2 ، مطبعة جامعة عين الشّمس ، 1974م.

قائمة المصادر والمراجع

7. ماريو باي،
- أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار عمر، ط1، منشورات جامعة طرابلس، 1973م .
8. - أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب ، القاهرة، 1419 هـ 1998م .

● المجلات والدوريات:

1. أحمد البايي ، دور التنعيم في التواصل اللساني ، مجلة علامات ، الكلية المتعددة التخصصات ، الرشيديّة ، المغرب ، العدد36 ، دت ، (مقال على الأنترنت) .
2. أمينة طيبي ، نظرية الفونيم والنصّ الشعري _ دراسة تطبيقية ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي بلعباس مكتبة الرّشاد للطباعة والتّوزيع ، العدد 02 ، 2002م، 2003م .
3. حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ، المعجم الوسيط ، مجلة مجّع اللغة العربيّة، مج:2 ، ط2 ، مطابع دار المعارف، مصر، 1393هـ ، 1973م.
4. الحوارنة يوسف عبد الله ، التنعيم والدلالة في اللغة العربية ، مجلة الموقف الأدبي، العدد 31/369، يناير 2002م .
5. سامي عوض ، عادل نعامة ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلميّة، مج28، العدد01، 2006م.
6. سليمان إبراهيم العسكري، أزمة العربية أم أزمة التعريب ، مجلة العربي، مطابع الشروق ، القاهرة ، العدد: 545 ، أبريل 2004م.
7. سهل ليلي ، التنعيم وأثره في إختلاف المعنى ودلالة السيّاق ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد السابع ، جوان 2010م .
8. شهرزاد كامل سعيد ، النغمة في اللغة العربيّة ، مجلة جامعة دمشق، مج 27 ، ملحق 2011م.

قائمة المصادر والمراجع

9. علي عبد الله ، التعبير الدرامي والتنغيم في ترتيل القرآن_القارئ عبد الباسط عبد الصمد
أمودجا ، المجلة الأردنية للفنون ، مجلد 06 ، جامعة عمّان الأهلية الأردن ، العدد 01 ، 2013م
10. عمّار أمين الددوّ ، كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله لأبي القاسم بن جبارة الهذلي ، مجلة
الشريعة والقانون، مجلس النشر العلمي، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، العدد 34،
أفريل، 2008م
11. فاروق حمادة ، القرآن الكريم ميزان المعرفة الإنسانية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، العدد 14 ، 1988م
12. كمال أحمد غنيم و رائد الدايدة، ، جماليات الموسيقى في النصّ القرآني ، مجلة الجامعة
الإسلامية للبحوث الإنسانية ، مجلد 22، جامعة فلسطين ، العدد 02، 2012م .
13. مجلة روضة الجندي ، الناشر: المركز الثقافي للإيصال والإعلام والتوجيه ، مطبعة العاشور
للجيش، العدد 279 ، جانفي 2003م .
14. مزاحم مطر حسين،، أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني _ الاستفهام أمودجا
، مجلة القادسية ، المجلد 06، الآداب والعلوم التربوية ، العددان 03 و 04 ، 2007م .
15. المهدي بوروبة، ، الدراسة المقطعية في التراث ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، المؤسسة
الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، العدد 01 ، ماي 2005م .
16. نعيم الباقي ، عودة إلى موسيقى القرآن ، مجلة التراث العربي ، فصيلة تصدر عن اتحاد الكتاب
العرب، دمشق ، العدد 25 ، السنة 07، 1984م .
17. هايل محمد طالب، ، ظاهرة التنغيم في التراث العربي ، مجلة التراث العربي ، جامعة البعث
سورية، العدد 91 ، 2010م .

● أطروحات الدكتوراه:

1. إسماعيل علوي إسماعيل، دكتوراه: مبحث الجمال في النقد الأدبي خلال القرنين الرابع
والخامس الهجريين، شعبة اللغة العربية، كلية الآداب الرباط، 1989م، 1990م.

قائمة المصادر والمراجع

2. سعيد ربيع ، دكتوراه :الوقف والابتداء وأثرها في توجيه النصّ القرآني_دراسة نظريّة وتطبيقية، إشراف: زين العابدين محمّد بلافريج ، جامعة الحسن الثاني ، عين الشقّ ، الدار البيضاء ، 2001م ،
3. المصطفى سفياني، دكتوراه : إختلافات القراءة القرآنيّة وأثره على الوقف ، إشراف: التّهامي الرّاجحي الهاشمي ، جامعة محمّد الخامس ، الرباط ، 2006م، 2007م .
4. نجيب العماري، دكتوراه :القراءة والانسجام الصّوتي _ تحليل الظاهرة ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف الشيخ الدكتور التهامي الرّاجحي الهاشمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة ، الرباط ، 2006م ، 2007م .

● المخطوطات:

1. الأزهري خالد (905هـ)، الحواشي الأزهرية، مخطوطتان خاصّتان مصوّرتان بالمكتبة الوطنيّة بالمغرب للإطلاع .
2. أبي القاسم الهذلي ، الكامل في القراءات الخمسين ، مخطوط مصوّر ، يوجد أصله بالأزهر، 465 ورقة .
3. كنوز أطفاف البرهان في رموز أوقاف القرآن- مخطوط خاصّ ومصوّر بجامعة الإمام محمّد سعود بالرياض رقمها: 1139.

● المراجع الأجنبية:

1. **brosnahan L.F . malberg . B.** 1970 . introduction -phamétics
2. **Gleason.**An introduction to descriptive linguistics.
3. **Jones, Daniel** ,(1967)An out Line of Englishe phonetics. comblidge,
4. **Karcevsky.s.**(19314).Sur la phonologie de la phrase.in (T.C.L.P.Y° ?

قائمة المصادر والمراجع

5. **Rossi**.Met al.(1981).P190
6. **Selkirk, EO** (1984) phonology and syntax. The relation between sound and structure
7. **Stockwell.R.P.**(1972).P86.87

● مقالات و مواقع للأنترنت:

1. **عليان بن محمد الحازمي** ، التّنعيم في التّراث العربي ، عن الموقع الإلكتروني .
2. **محمد عمر حويّه** ، مقال :نزل القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به ، مديريّة مركز الدّراسات القرآنيّة، مجمع الملك فهد للطّباعة ، المدينة المنوّرة ، 2003م .
3. [mag23f19htm.shariravag,majalat. ww494.edu.sa](http://mag23f19htm.shariravag.majalat.ww494.edu.sa)
4. [موقع للأنترنت: http://vb.altareekt.com/t40776/13pm](http://vb.altareekt.com/t40776/13pm)

فہرِس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

- مقدمة ص 06
- مدخل : العربية لغة القرآن المنعم ص 12
- الباب الأوّل: (النظري) ص 15
- الفصل الأوّل: جماليّات أصوات القرآن الكريم ص 16
- المبحث الأوّل: عرض مفهوماتي لكلّ من الجمال والصّوت ص 19
- 1- الجمال لغة و اصطلاحا ص 20
- 2- الصّوت لغة و اصطلاحا ص 24
- 3- جمال الصّوت وصواتة الجمال ص 27
- المبحث الثاني: إسهام المفردة القرآنيّة في الجمال السّمعي ص 28
- 1_ جمال المفردة في الأدب ص 28
- 2_ خصوصية المفردة القرآنية ص 29
- 3_ جماليّات الحركات والمدود في القرآن الكريم ص 30
- المبحث الثالث: الصّوت بين القديم والحديث: ص 35
- 1- لمحة موجزة عن دراسة الصّوت لدى اللّغويين والنقاد العرب القدامى ص 35
- أ_ مخارج الحروف ص 36
- ب_ صفات أصوات الحروف ص 40
- 2- لمحة موجزة عن دراسة الصّوت لدى اللّغويين والنقاد العرب المحدثين ص 42
- أ_ مخارج الأصوات ص 44

فهرس الموضوعات

- ب_ صفات أصوات الحروف ص 45
- 3- جوهر الدّراسة الصّوتية ومزاياها ص 47
- المبحث الرابع: الجمال في القرآن الكريم ص 49
- 1_ مدلول الجمال في القرآن عند سيّد قطب ص 49
- 2_ جمال اللفظ والمعنى القرآني. ص 52
- 3- موسيقى اللفظ القرآني عند سيّد قطب ص 53
- 4_ الوزن الإيقاعيّ في القرآن عند سيّد قطب ص 55
- أ_ الإيقاع لغة ص 55
- ب_ اصطلاحًا ص 55
- ت- الإيقاع الخارجي والداخلي ص 56
- 5_ التّناسب الصّوتي في القرآن ص 60
- أ_ التّناسب اللفظي و المعنوي ص 60
- ب_ تناسب الفواصل القرآنيّة ص 62
- 6- جمال اللغة ولغة الجمال البلاغي الإيقاعي (التّساوق) ص 66
- الفصل الثاني: بين الوقف والتّنعيم في القرآن الكريم ص 70
- المبحث الأوّل: القيمة التّعبيرية للصّوت داخل اللفظ الذي يرد فيه ص 74
- 1- تأثير الأداء الصّوتي على الدّلالات والمعاني (الإيقاعيّة) ص 83

فهرس الموضوعات

- 2- البعد السيمائي للصوت ص 84
- المبحث الثاني: اشتغال الوقف بالقرآن وجوانبه السحرية: ص 88
- 1_ الوقف القرآني: أولاً: الوقف لغة ص 88
- ثانياً: الوقف اصطلاحاً ص 90
- أ- الوقف في علوم القرآن (عند القراء وأهل التجويد) ص 91
- ب- الوقف في اصطلاح الفقهاء ص 92
- ج- الوقف في اصطلاح اللغويين (المفصل) ص 92
- 2_ أنواع الوقف و أقسامه: ص 94
- النوع الأول: الوقف الضروي: ص 94
- أ- الوقف الاضطراري ص 95
- ب- الوقف الاختباري ص 95
- ت- الوقف الانتظاري ص 95
- النوع الثاني: الوقف الاختياري: ص 96
- أ- الجائز: ص 96
- 1- الوقف التام ص 96
- 2- الوقف الكافي ص 97
- 3- الوقف الحسن ص 98
- ب- التبيح ص 98
- 3_ أحكام الوقف وفق الأقسام ص 99

فهرس الموضوعات

- 4_وظائف الوقف في القرآن الكريم: (أغراض الوقوف وغاياتها) ص 105
- 5_علامات ورموز الوقف القرآني. ص 107
- 1_ الرّموز المفردة ومعانيها ص 108
- 2_ الرّموز المركّبة ومعانيها ص 108
- 6_ مذاهب القراء في تعيين مواضع الوقف ص 110
- المبحث الثالث: اشتغال التّخيم بالقرآن وجوانبه السّحرية: ص 113
- 1_ التّخيم القرآني: ص 113
- أولاً: التّخيم لغة ص 113
- ثانياً: التّخيم اصطلاحاً: ص 114
- 2_ بين التّخيم والتّخيم: ص 118
- 3_ أنواع التّخيم: ص 119
- أولاً: التّخيم الأدائي: ص 120
- ثانياً: التّخيم الدلالي: ص 120
- أ_ التّخيم التّعبيري: ص 121
- ب_ التّخيم التّحوي: ص 122
- 4_ أهميّة التّخيم في القرآن الكريم: ص 123
- 5_ وظائف التّخيم في القرآن الكريم: ص 125
- 1- الوظيفة الانفعاليّة التّعبيرية: ص 126

فهرس الموضوعات

- 128 ص 2- الوظيفة التركيبية:
- 130 ص 3- الوظيفة الدلالية:
- 133 ص 6_ التنعيم في القراءات القرآنية:
- 134 ص 7_ بين الوقف و التنعيم:
- المبحث الرابع: القراءات القرآنية وتنوعاتها: ص 136
- 1_ القرآن الكريم وعلاقته بعلم القراءات ص 137
- 2_ تعريف القراءات القرآنية: لغة و اصطلاحا ص 138
- 3_ أنواع القراءات القرآنية: ص 140
- أ_ القراء السبعة ص 143
- ب_ الأئمة الثلاثة المكملون للعشرة ص 148
- ت_ الأربع الشواذ ص 150
- 4_ فوائد اختلاف القراءات وتنوعها ص 152
- الباب الثاني: (التطبيقي) ص 153
- الفصل الثالث: تجليات الوقف في سورة الرحمن ص 154
- المبحث الأول: أسباب النزول في القرآن: ص 158
- 1_ الحكمة من معرفة أسباب النزول ص 158
- 2_ فرش سورة الرحمن: (برواية حفص عن عاصم) ص 160
- المبحث الثاني: سورة الرحمن عروس القرآن : ص 162

فهرس الموضوعات

- 1_التعريف بسورة الرحمن: معنى السورة ص 162
- 2_سورة الرحمن عروس القرآن ص 163
- 3_سبب نزول سورة الرحمن ص 163
- 4_نظرات في سورة الرحمن (التناسب): ص 164
- أ_التناسب بين المطلع والخاتمة ص 164
- ب_التناسب بين سورتَي الرحمن والقم ص 164
- 5_أهم ما فسّر من آي سورة الرحمن على يد النبي صلى الله عليه وسلم ص 164
- 6_فضل قراءة سورة الرحمن ص 166
- المبحث الثالث: تنوع الوقف في سورة الرحمن: ص 167
- 1_جدول يوضح مدى اختلاف العلماء حول مواضع وأنواع الوقف في سورة الرحمن . ص 167
- أ_مواضع الوقف التام في سورة الرحمن: ص 173
- ب_مواضع الوقف الكافي في سورة الرحمن: ص 175
- ت_مواضع الوقف الحسن /الجائز في سورة الرحمن: ص 177
- 2_أهم الاختلافات في القراءات لسورة الرحمن (فرش الحروف) ص 178
- 3_نظرة القراء على اختلافهم في قراءة سورة الرحمن ص 182
- المبحث الرابع: أثر الوقف في توجيه النص من ناحية الإعراب والمعنى ضمن قراءات مختلفة لسورة الرحمن: ص 183
- 1_أثر الوقف المستقل وتعدد مواضعه ضمن قراءات مختلفة لسورة الرحمن: ص 183
- _الوقف وتوجيه العلاقات النحوية انطلاقاً من اختلاف القراءات: ص 183
- أ_وظائف الوقف في توجيه المعاني في سورة الرحمن: ص 187
- _الوظيفة الأولى:الوقف وتكثير المعنى: ص 187

فهرس الموضوعات

- _ الوظيفة الثانية: الوقف للفصل بين متباين المعاني: ص 190
- _ الوظيفة الثالثة: الوقف والوصل لضبط الإعراب والمعنى، ودفع التوهّمات المفسدة لهما: ص 192
- * البدل، النهي، النفي، تعلق الظرف والكلام بما قبله، تعلق الظرف والكلام بما بعده، الوصف (التعت)، الاستفهام، العطف، الحال: ص 192
- ب_ الوقف وعنصر العلامة الإعرابية: ص 200
- 1_ الوقف وتنوع الفعل بين الضمّ والفتح فقط: ص 201
- 2_ الوقف وتنوع حركة الفعل بين الضمّ والكسر: ص 202
- 3- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والفتح والكسر: ص 202
- 4- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والفتح فقط: ص 203
- 5- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الضمّ والكسر فقط ص 203
- 6- الوقف وتنوع حركة الاسم بين الفتح والكسر: ص 204
- ت_ الوقف وعنصر الصيغة الصرفية: ص 204
- 1- تنوع الصيغة الصرفية بين الغيبة والامتكلم: ص 205
- 2- تنوع الصيغة الصرفية بين البناء للمعلوم والمجهول: ص 206
- 3- تنوع الصيغة الصرفية بين الاستفهام والخبر: ص 206
- 4- تنوع الصيغة الصرفية بين الأمر والتعليل: ص 207
- 5- تنوع الصيغة الصرفية بين التشديد والتخفيف: ص 207
- 6- تنوع الصيغة الصرفية بين الجمع والإفراد: ص 208
- 7- تنوع الصيغة الصرفية بين فعّال وفاعل: ص 209
- 8- تنوع الصيغة بين الفاعل والمفعول: ص 210
- الفصل الرابع : الأداء التنغمي في عروس القرآن ص 211
- المبحث الأول: النغم والتنغم في سورة الرحمن: ص 214
- 1_ علاقة الوقف بالتنغم من خلال سورة الرحمن: ص 214

فهرس الموضوعات

- 2_ زوافد التنغيم في سورة الرَّحمن: ص 216
- _ جدول إحصائية الحروف المكرورة في سورة "الرَّحمن" وأهم صفاتها: ص 118
- _ دراسة و تحليل الأصوات: المجهورة، المهموسة، الانطلاقية: ص 223
- _ المنحنيات والأعمدة، تحليلها والتعليق عليها: ص 230
- ب_ التكرار والتكرير: ص 235
- _ تكرار الحركات: ص 236
- _ تكرار الحروف: ص 236
- _ تكرار الكلم: ص 237
- _ تكرار الجمل: ص 238
- _ فوائد وأغراض التكرار في سورة الرَّحمن: التأكيد، التقرير، التنبية، قصد دخول الكلام، التعظيم والتحويل، وتعدد المتعلق: ص 239
- ت- المقطع الصوتي ص 242
- ث- المناسبة الصوتية للفاصلة القرآنية: (نغم الفواصل) ص 248
- . 1- تعريف الفاصلة ص 248
- . 2- مناسبة الفواصل تحقيقاً للتناغم والإيقاع ص 249
- ج- تنوع البنى الإيقاعية في سورة الرَّحمن ص 250
- المبحث الثاني: وظائف التنغيم في سورة الرَّحمن ص 252
- 1_ الوظيفة الانفعالية التعبيرية ص 252
- تنغيم الأمر والنهي، تنغيم الاستفهام، تنغيم التعظيم، تنغيم اليقين، تنغيم الوعيد، تنغيم نداء أمر وتنبية، تنغيم تخويف وترهيب، تنغيم تشجيع وترغيب، تنغيم التعجب ص 253
- . 2_ الوظيفة التركيبية ص 255
- أ_ التنغيم وإزالة اللبس الصرفي ص 255

فهرس الموضوعات

- ب_ التّنغيم وإزالة اللبس النّحوي (الإعرابي): الوصف، العطف، الحال ص 257
- . 3_ الوظيفية الدلالية والبلاغية ص 259
- المبحث الثالث: أنواع التّنغيم في سورة الرّحمن: (دراسة تحليلية لصوت الشّيخ عبد الرّحمن السّديس) ص 262
- 1_ التّعريف بالشّيخ عبد الرّحمن السّديس ص 263
- 2_ تحليل التّنغيم في سورة الرّحمن ص 264
- 3_ جدول توضيحي للتّنغيم في سورة الرّحمن ص 274
- الخاتمة : عرض لأهمّ نتائج البحث ص 278
- الملاحق : ص 282
- قائمة المصادر والمراجع : ص 285
- فهرس الموضوعات: ص 308